الدواء العاجل

فى دفع العدو الصائل

للامام المحقق شيخ الاسلام محمد بن على الشوكانى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد واياك نستعين * ونصلى على رسولك الأمين * وآله الطاهرين * وصحبه الراشدين *

أما بعد فانها قد دلت الأدلة القرآنية والأحاديث الصحيحة النبوية ان العقوبة العامّة لاتكون إلا بأسباب أعظمها التهاون بالواجبات وعدم اجتناب المقبحات فان انضم الى ذلك ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من المكلفين به لاسيما أهل العلم والأمر القادرين على إنفاذ الحق ودفع الباطل كانت العقوبة قريبة الحدوث ولا حاجة بنا ههنا الى ايراد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فهى معروفة عند المقصر والكامل :

فاذا عرفت هذا فاعلم أنه يجب على كل فرد أن ينظر فى أحوال نفسه وما يصدر عنه من أفعال الخير والشر فان غلب شره على خيره ومعاصيه على حسناته ولم يرجع الى ربه ويتخلص من ذنبه فليعلم أنه بين

مخالب العقوبة وتحت أنيابها: وأنها واردة عليه وواصلة عن قريب اليه: وهكذا من كان له متعلق بأمر غيره من العباد اما عموما أو خصوصا فعليه أن يتفقد أحوالهم ويتأمل ماهم فيه من خير وشر فان وجدهم منهمكين فى الشر واقعين فى ظلمة المعاصى غير مستنيرين بنور الحق فهم واقعون فى عقوبة الله لهم وتسليطه عليهم ولاسيما اذا كانوا لايأتمرون لمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر هذا على فرض أن داعى الخير لم يزل يدعوهم اليه والناهى عن الشر لايزال ينهاهم عنه وهم مصممون على غيهم سادرون[1] فى جهلهم: فان كان من يتأهل للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر معرضا عن ذلك غير قائم بحجة الله ولا مبلغ لها الى عباده فهو شريكهم فى جميع ما اقترفوه من معاصى الله سبحانه مستحق للعقوبة للمعجلة والمؤجلة قبلهم كما صح فى قصة من تعدى السبت من أتباع موسى عليه السلام فان الله تعالى ضرب من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بسخط عذابه ومسخهم قردة وخنازير[2] مع أنهم لم

---

(١) اى مستمرون فى جهلهم هكذا فى القاموس

(٢) وحاصل القصة على ماحكاه ابن جرير الطبرى وغيره عن ابن عباس ان الله تعالى نهى بنى اسرائيل ان يصيدوا السمك يوم السبت فاحتالوا على صيدها سرا زمانا طويلا حتى صادوها علانية وصار القوم ثلاثة أصناف صنف منهم خالف الأمر وانتهك حرمة الله وصرد على المعصية: وصنف من اهل التقية قال ويحكم اتقوا الله ونهوهم عما كانوا يصنعون: وصنف لم يأكل الحيتان ولم ينه عما صنعوا وقال لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم لسخطنا اعمالهم ولعلهم يتقون فبينما هم على ذلك اصبحت تلك البقية الصالحة التى أمرت ونهت فى أنديتهم ومساجدهم وفقدوا الناس فلا يرونهم فقال بعضهم لبعض ان للناس لشأنا فانظروا ماهو فذهبوا ينظرون فى دورهم فوجدوها مغلقة عليهم قد دخلوا ليلا فغلقوها على انفسهم فاصبحوا فيها قردة وخنازير وانهم ليعرفون الرجل بعينه وا

يفعلوا مافعله المعتدون من الذنب بل سكتوا عن ابلاغ حجته والقيام بما أمرهم به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

والحاصل أنه لافرق بين من فعل المعصية وبين من رضى بها ولم يفعلها وبين من لم يرض بها لكن ترك النهى عنها مع عدم المسقط لذلك عنهم ومن كان أقدر على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كان ذنبه أشد وعقوبته أعظم ومعصيته أفظع بهذا جاءت حجج الله وقامت براهينه: ونطقت به كتبه: وأبلغته الى عباده رسلُهُ: ولما كان الأمر هكذا بلا شك ولا شبهة عند من له تعلق بالعلم وملابسة للشريعة المطهرة وكان ذلك من قطعيات الشريعة وضروريات الدين فكرت فى ليلة من الليالى فى هذه الفتن التى قد نزلت بأطراف هذا القطر اليمنى وتأججت نارها وطار شررها حتى أصاب كل فرد من ساكنيه منها شواظ واقل ماقد نال من هو بعيد عنها ما صار مشاهداً معلوما من ضيق المعاش وتقطع كثير من اسباب الرزق وعقر المكاسب حتى ضعفت أموال الناس وتجاراتهم ومكاسبهم وأفضى الى ذهاب كثير من الأملاك وعدم نفاق نفايس الأموال: وحبائس الذخائر ومن شك فى هذا فلينظر فيه بعين البصيرة حتى تدفع عنه رِيَبُ الشكِ بطمأنينة اليقين هذا حال من هو بعيد عنها لم تطحنه بكلكلها ولا وطئته

للقرد والمرأة بعينها وانها لقردة والصبي بعينه وانه لقرد فالشباب مسخوا قردة والشيوخ خنازير نعوذ بالله من ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وما يحصل للامة من التنكيل بها والقتل لها بسبب ترك ذلك وهذا مشاهد لايحتاج الى دليل :

بأخفافها * وأما من قد وفدت عليه وقدِمت اليه وخبطته بأشواظها وطوته بأنيابها واناخت وقرت بناحيته كالقطر اليمانى وما جاوره فيالله كم من بحار دم أراقت : ومن نفوس أزهقت ومن محارم هتكت ومن أموال أباحت : ومن قرى ومدائن طاحت بها الطوائح وصاحت عليها الصوائح : بعد أن تعطلت وناحت بعرصاتها المقفرات النوائح :

فلما تصورت هذه الفتنة أكمل تصور وان كانت متقررة عند كل أحد أكمل تقرر ضاق ذهنى عن تصورها فانقلبت الى النظر فى الأسباب الموجبة لنزول المحن وحلول النقم من ساكنى هذا القطر اليمنى على العموم من دون نظر الى مكان خاص أو طائفة معينة فوجدت أهلها مابين صعدة وعدن ينقسمون الى ثلاثة أقسام * القسم الأول رعايا يأتمرون بأمر الدولة وينتهون بنهيها لايقدرون على الخروج عن كل مايرد عليهم من أمر ونهى كائن ما كان * القسم الثانى طوائف خارجون عن أوامر الدولة متغلبون فى بلادهم * الطائفة الثالثة أهل المدن كصنعا وذمارو هم داخلون تحت أوامر الدولة : ومن جملة من يصدق على غالبهم اسم الرعية ولكنهم يتميزون عن سائر الرعايا بماسيأتى ذكره :

فاما القسم الأول وهم الرعايا فأكثرهم بل كلهم إلا النادر الشاذ لايحسنون الصلاة ولا يعرفون مالا تصلح الا به ولا تتم بدونه من أذكارها وأركانها وشرائطها وفرائضها بل لايوجد منهم من يتلو سورة الفاتحة تلاوة مجزئة إلا فى أندر الأحوال ومع هذا فالاخلال بها والتساهل فيها قد صار دأبهم وديدنهم : فحصل من هذا أن غالبهم

لايحسن الصلاة ولا يصلى : وطائفة منهم لاتحسن الصلاة وأنما تصلى صلاة غير مجزئة فلا فرق بينه وبين من تركها : وأما من يحسنها ويواظب عليها فهو أقل قليل بل هو الغراب الأبقع والكبريت الأحمر : وقد صح عن معلم الشرائع «انه لم يكن بين العبد وبين الكفر الا ترك الصلاة» فالتارك للصلاة من الرعايا كافر وفى حكمه من فعلها وهو لايحسن من أذكارها وأركانها ما لا تتم الا به لأنه أخل بفرض عليه من أهم الفروض وواجب من آكد الواجبات وهو لايعلم مالاتصلح الصلاة[1] الا به مع امكانه ووجود من يعرفه بهذه الصلاة وهى أهم أركان الاسلام الخمسة وآكدها : وقدصار الأمر فيها عند الرعايا هكذا : ثم يتلوها الصيام وغالب الرعايا لايصومون وان صاموا فى النادر من الأوقات وفى بعض الأحوال فربما لايكمل شهر رمضان صوما الا القليل ولاشك أن تارك الصيام على الوجه الذى يتركونه كافر : وكم يعد العادمن واجبات يخلون بها وفرائض لايقيمونها ومنكرات لايجتنبونها

(١) الحديث رواه مسلم والامام احمد بن حنبل عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما بلفظ « قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » ورواه ابو داود والنسائى ايضا ولفظه « ليس بين العبد وبين الكفر الا ترك الصلاة » ورواه الترمذي ولفظه « قال بين الكفر والايمان ترك الصلاة » ورواه ابن ماجه ولفظه « قال بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » ومما يدل على ان ترك الصلاة كفر ما رواه ابو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن صحيح عن بريدة رضى الله عنه « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» ورواه ايضا ابن ماجه والامام احمد وابن حبان فى صحيحه : والحاكم وقال صحيح لانعرف له علة : والله اعلم:

وكثيرا ما يأتى هؤلاء الرعايا بالفاظ كفرية فيقول هو يهودى ليفعلن كذا وليفعل كذا ومرتد تارة بالقول وتارة بالفعل وهو لا يشعر: ويطلق امرأته حتى تبين منه بالفاظ يديم التكلم بها: كقوله امرأته طالق ما فعل كذا أو لقد فعل كذا: وكثير منهم يستغيث بغير الله تعالى من نبي أو رجل من الأموات أو صحابي ونحو ذلك: ومع هذه البلايا التى تصدر منهم والرزايا التى هم مصرون عليها لايجدون من ينهاهم عن منكر ولا يأمرهم بمعروف:

وقد صار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل ولاية متحصرا فى ثلاثة أشخاص: عامل: وكاتب: وحاكم * فأما العامل فلا عمل له الا فى استخراج الأموال من أيدى الرعايا من حلها ومن غير حلها وبالحق وبالباطل: وقد استعان على ذلك بالمشايخ الذين هم العرفاء المنصوص عليهم من معلم الشريعة أنهم فى النار فيتسلط كل واحد منهم على من تحت يده من المستضعفين فيصنع به كما أراد وكيف أحب وهو مفوض فى أموالهم من طريق العامل فيأخذ مايشاء ويدفع مايشاء وليس الأمر والنهى الا فى هذه الخصلة على الخصوص ولم يسمع على تطاول الأيام وتعاقب السنين أن فرداً من أفراد العمال أمر الرعايا بما أوجب الله من الفرائض التى لا فسحة فيها كالصلاة والصيام أو نهاهم عن شيء من المنكرات التى يرتكبونها بل قد جرت عادة كثير من العمال أن يأخذ فى مقابل الصلاة شيئا من السحت: وهكذا فى الأشياء التى هى منكرات مجمع على تحريمها كالزنا والسرقة وشرب المسكرات

اذا وقع بعض الرعية فى شىء كان له العقوبة من العامل على ذلك أن يأخذ شيئا من مال من فعل ذلك بل وقوع الرعايا فى هذه للمعاصى أحب الأشياء الى العامل لأنه يفتح له ذلك باب أخذ الأموال فيتكاثر عنده السحت ويتوفر له المقبوض فانظر أى فاقرة فى الدين كانت ولاية مثل هذا العامل وأى قاصم لظهور الصالحين وأى شر فى العالم وأى بلاء صب على دين الله تولية رجل لايأمر بفعل ما اوجب الله ولا ينهى عن فعل ماحرم الله بل يَوَدُّ ذلك ويفرح به لينال حظا من السحت ويصل الى شىء من الحرام فهل أقلت الأرض مما اظلت السماء أفسد لدين الله وأجرأ على معاصيه من هذا : وهل ممن مشى على رجلين أخسر صفقة منه واخبث سعيا : وناهيك برجل لو كفر من تحت ولايته من الرعايا كفر فرعون لكان يرضيه من ذلك نزر حقير من السحت بل ذلك أحب اليه من صلاح الرعايا وتمسكهم بدين الاسلام وقبولهم الشريعة لأنه لاينفق سوق ظلمه ويدرعليه ثَدْىُ سُحْته الا بوقوع الرعايا فى مخالفة الشرع وخروجهم عن سبيل الرشاد : وقد ينضم الى هذه المخازى منه والفضائح له ان يرابى على رؤوس الاشهاد ربا مجمعا على تحريمه : ويصحب جماعة من العاملين بالربا فيأخذ منهم عند الحاجة بالزيادة من الربا ويضيفها على الرعية ويسلط هؤلاء العاملين بالربا على الضعفاء : وهل أقبح من هذا الذنب وأشد منه فأنه الذنب الذى توعد الله عليه بالحرب لفاعله كما هو بين فى كتابه [1] وليس الحرب من الله نزول الحجارة من السماء بل تسليط بعض عباده على بعض حتى يسحتهم

يعذابه : وينزل بهم غضبه ويسلط عليهم من يسفك دماءهم ويهتك محارمهم : وقد يضم عامل السوء الى هذه المخازى مخازى أخر فينظر منه الرعايا محرمات يرتكبها ومحارم ينتهكها جرأة على الله فيسن للرعايا سنن الشر ويفتح عليهم أبواب الفجور :

واما الكاتب فليس له من الأمر الا جمع ديوان يكتب فيه المظالم التى يأخذها العامل من الرعايا ولا تحقيق عليهم بل المقصود من وضعه أن لا يكتم العامل من تلك الأموال التى اجتاحها : والمظالم التى اختطفها حتى لا يشاركه فيها غيره ويشاركه بذنبه من ينال منها نصيبا ممن يده فوق يده :

وأما ثالث الثلاثة وهو القاضى فهو عبارة عن رجل جاهل للشرع إما جهلا بسيطا أو جهلا مركبا وان يشتغل بشيء من الفقه فغاية ما يعرفه منه وكيل الخصومة وممارس الحضور فى مواقف الخصومات من مسائل تدور فى الدعوى والاجابة وطلب اليمين والبينة : وليس له فى العلم غير هذا لا يعرف حقا ولا باطلا ولا معقولا ولا منقولا ولا دليلا ولا مدلولا ولا يعقل شيئا من أمور الشرع فضلا عن غيرها من أمور العقل ولكنه اشتاق الى أن يدعى قاضيا ويشتهر اسمه فى الناس ويرتفع بين معارضيه وأهله فعمد الى الثياب الجيدة فلبسها وجعل على رأسه عمامة كالبرج وأطال ذيل كمه حتى صار كالخرج ولزم السكينة

(١) وهذه العادة جارية فى القطر المصرى ايضا وقد علل بعضهم ذلك بانه ينبغى للعالم ان يطول ثيابه ويعظم عمامته ليعرف انه عالم فيسأل ويستفتى وهذا قول مزيف وتعليل فاسد فان معلم الشريعة نهى عن ذلك وتوعد فاعله والله اعلم :

والوقار: واستكثر من قول نعم ويعنى: وجعل له سبحة طويلة يديرها فى يده ثم جمع له من الحطام قدرا واسعا وذهب به يدور فى الأبواب ويتردد فى السكك واستعان بالشفعاء بعد أن أرشاهم ببعض من ذلك المال ليشترى له هذا المنصب الجليل الذى هو بعد النبوة فى مكان يترجم عن كتاب الله وسنة رسوله الأمين ثم يذهب هذا الجاهل البائس الى قطر من الأقطار الوسيعة فيأتى اليه أهل الخصومات أفواجا فيحكم بينهم بحكم الطاغوت وهو فى الصورة حكم الشرع: لأن هذا القاضى المخذول لا يعرف من الشرع الا اسمه ولا يدرى من الشرع بشىء بل يجهل حده ورسمه فتنتشر عنه فى ذلك القطر الواسع من الطواغيت ماتبكى عيون الاسلام: وتتصاعد عنده زفرات الأعلام: وكيف يهتدي الى فصل الحكومات بالحق جاهل اشترى هذا المنصب كما يشترى مايباع فى الأسواق من المتاع فولاية مثل هذا المخذول وتحكمه فى الشريعة المطهرة هى خيانة على الله وعلى رسوله وعلى كتابه وعلى العلم وأهله وعلى الدين والدنيا: ولا فرق بين من بعث مثله ليحكم لجهله وبين من بعث رجلا من أهل الطاغوت العارفين بالمسالك الطاغوتية كابن فرج وفصيله والغزى ونحوهم من حكام الطاغوت بل بعث هذا أعظم عند الله ذنبا وأشد معصية لأنه كان فى الصورة قاضيا من قضاة الشرع الشريف وحاكما من حكامه مولىً ممن اليه الولاية العامة فكان فى ذلك تغريرا على الناس ومخادعة لهم: فانجذبوا اليه ليحكم بينهم بشرع الله فحكم بينهم بالطاغوت فقبلوه بناء منهم انه حكم الشرع بخلاف بعث

حاكم من حكام الطاغوت فانه وان كان من المعصية والجراءة على الله بالمكان الذى لايخفى لكنه لا تغرير فى بعثه على العباد ولا مخادعة لهم وربما يجتنبه من يحتسب اذا لم يجتنبوه كلهم جميعا وينفروا عنه ويأبوا عنه: وكفى بهذا عبرة وموعظة يقشعر منها من فى قلبه (١) قوم يعقلون (وَذَكِّرْ فَاِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) هذا حال هذا القاضى الذى هو من قضاة النار ومن عصاة الملك الجبار فيما يتولاه من الخصومات:

وأما سائر ماهو موكول الى قضاة الشرع من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والأخذ على يد الظالم وارشاد الضالّ وتعليم الجاهل والدفع عن الرعية مِن ظلم مَن يظلمها والمكاتبة لامام المسلمين بما يحدث فى القطر الذى هو فيه مما يخالف الشريعة المطهرة فلا يقدر هذا القاضى الشقىّ على شىء من هذه الأمور سواء أكان حقيرا أم كبيرا: بل غاية أمره ونهاية حاله أن يبقى فى ذلك القطر يشاهد الظالم بعينه وقد ينفذها بقلمه ويعين عليها بفمه وهو تارك لما أوجب الله عليه وعلى أمثاله من الأمر بالمعروف: والنهى عن المنكر: فهو فى الحقيقة ضال مضل شيطان مريد بل أضر على عباد الله من الشيطان ومن أين للشيطان وأنى له أن يظهر للناس فى صورة قاض ثم يفوض فى قطر من الأقطار فيه الوف مؤلفة من عباد الله فيحكم بينهم بالطاغوت بصورة الشرع ثم يكون شهيدا على مايحدث بذلك القطر ومعينا عليه: وموسعا لدائرته من دون أن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر بل لايجرى

(١) لعل هنا سقطا تقديره مثقال خردلة من ايمان وترجف منه قلوب قوم الخ:

قلمه قط فيما فيه جلب خير للرعية أو دفع شر عنهم : بل هو مادام فى هذا المنصب لاهمة ولا مطلب له الا جمع الحطام من الخصوم تارة بالرشوة وتارة بالهدية وتارة بما هو شبيه بالتلصص : ثم يدافع عن المنصب الذى هو فيه ببعض من هذا السحت الذى يجمعه ويتوسع فى دنياه بالبعض الآخر فهذا أمر لايقدر عليه الشيطان ولا يتمكن منه ولا يبلغ كيده لبنى آدم اليه وهذا يكفى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد :

وإذا كان هذا حال حكام الشريعة * وماهم عليه هو ماقدمنا الاشارة اليه * وحال عاملهم وكاتبهم وقاضيهم هذه الصفة فانظر بعقلك واعمل صافى فكرك هل مثل هؤلاء متعرضون لسخط الله وعقوبته وحلول نقمه أم مستحقون للطفه وتوفيقه : وصرف العقوبة عنهم : ودفع الفتن الذاهبة بالأموال والأنفس منهم (وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)[١] ولله الحجة البالغة (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَاتَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ)[٢] :

واذا قد تقرر لك أحوال هـذا القسم الأول من الثلاثة الأقسام التى قدمنا لك ذكرها فلنبين لك حال القسم الثانى وهو حكم أهل البلاد الخارجـة عن أوامر الدولة ونواهيها كبلاد القبلة والمشرق ونحو ذلك : اعـلم رحمك الله أن جميع ماذكرنا لك فى القسم الأول وهم الرعايا من ترك الصلاة وسائر الفرائض الشرعية الا الشاذ النادر على تلك الصفة فهو أيضا كائن فى البلاد الخارجة عن أوامر الدولة ونواهيها بل الأمر فيهم أشد وأقطع فانهم جميعا لايحسنون الصلاة ولا القراءة ومن كان

١ ـ الكهف ٤٩
٢ ـ فاطر ٤٥

يقرأ فيهم فقراءته غير صحيحة : ولسانه غير صالح : وبالجملة فالفرائض الشرعية بأسرها من غير فرق بين أركان الاسلام الخمسة وغيرها مهجورة عندهم متروكة بل كلمة الشهادة التى هى مفتاح الاسلام لا ينطق بها الناطق منهم الا على عوج : ومع هذه ففيهم من المصائب العظيمة والقبائح الوخيمة : والبلايا الجسيمة أمور غير موجودة فى القسم الأول :

منها أنهم يحكمون ويتحاكمون الى من يعرف الأحكام الطاغوتية منهم فى جميع الأمور التى تنوبهم وتعرض لهم من غير انكار ولا حياء من الله ولا من عباده : ولا يخافون من أحد بل قد يحكمون بذلك بين من يقدرون على الوصول اليهم من الرعايا ومن كان قريبا منهم : وهذا الأمر معلوم لكل أحد من الناس لا يقدر أحد على انكاره ودفعه وهو أشهر من نار على علم : ولا شك ولا ريب أن هذا كفر بالله سبحانه وتعالى وبشريعته التى أمر بها على لسان رسوله واختارها لعباده فى كتابه وعلى لسان رسوله : بل كفروا بجميع الشرائع من عند آدم عليه السلام الى الآن : وهؤلاء جهادهم واجب وقتالهم متعين حتى يقبلوا أحكام الاسلام ويذعنوا لها ويحكموا بينهم بالشريعة المطهرة ويخرجوا من جميع ما هم فيه من الطواغيت الشيطانية : ومع هذا فهم مصرون على أمور غير الحكم بالطاغوت والتحاكم اليه وكل واحد منها على انفراده يوجب كفر فاعله وخروجه من الاسلام وذلك اطباقهم على قطع ميراث النساء [1]

---

(١) وهذه العادة القبيحة جارية ايضا فى القطر المصرى فنهم من يمنع الانثى المتزوجة خوفا من ان يسطو الزوج على نصيبها من الميراث : ويورث الأنثى البكر : وبعضهم يمنع

واصرارهم عليه وتعاضدهم على فعله: وقد تقرر فى القواعد الاسلامية ان منكر القطعي وجاحده والعامل على خلافه تمردا أو عنادا أو استحلالا أو استخفافا كافر بالله: وبالشريعة المطهرة التى اختارها الله تعالى لعباده:

ومع هذا فغالبهم يستحل دماء المسلمين وأموالهم ولايحترمها ولا يتورع عن شيء منها وهذا مشاهد معلوم لكل أحد لاينكره جاهل ولا عاقل ولا مقصر ولا كامل: ففيهم من آثار الجاهلية الجهلاء أشياء كثيرة يعرفها من تتبعها:

فمن ذلك اقسامهم بالأوثان كما يسمع كثير منهم يقول قائلهم أى وثن اذا أراد أن يحلف والمراد بهذا الوثن هو الوثن الذى كانت الجاهلية تعبده: وقد ثبت عن الشارع صلى الله عليه وآله وسلم «أن من حلف بملة غير ملة الاسلام فهو كافر(١)»

وبالجملة فكم يعد العاد من فضائح هؤلاء الطاغوتية وبلاياهم وفى هذا المقدار كفاية ولا شك ولاريب أن ارتكاب هؤلاء لمثل هذه الأمور الكبيرة من أعظم الأسباب الموجبة للكفر السالبة للايمان التى

مطلقا ومنهم من يمنعها ميراث الارض دون المنقولات ولا غرابة من وقوع ذلك فى القطر اليمنى او غيره لان الجهل ضارب أطنابه لقلة العلماء العارفين وانما العجب من وقوع ذلك بين ظهرانى العلم: والعلماء ساكتون انا لله وانا اليه راجعون

(٢) رواه البخاري ومسلم بلفظ «من حلف بملة غير الاسلام كاذبا فهو كما قال» الحديث مطولا ورواه ابو داود والترمذي والنسائى وابن ماجه: وفى رواية لابى داود عن ابن عمر «قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من حلف بغير الله فقد أشرك» ورواه الترمذى وحسنه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «من حلف بغير الله فقد كفر او اشرك» ورواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما: وهو كبيرة من الكبائر:

يتعين على كل فرد من أفراد المسلمين انكارها ويجب على كل قادر أن يقاتل أهلها حتى يعودوا الى دين الاسلام : ومعلوم من قواعد الشريعة المطهرة ونصوصها أن من جرد نفسه لقتال هؤلاء واستعان بالله وأخلص له النية فهو منصور وله العاقبة فقد وعد الله بهذا فى كتابه العزيز (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ)[1] (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)[2] (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[3] ﴿ فإن حزب الله هم الغالبون ﴾[4] (وَجُنْدُ اللَّهِ هُمُ الْمَنْصُورُونَ) (فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ)[6]

فان ترك من هو قادر على جهادهم فهو متعرض لنزول العقوبة مستحق لما أصابه فقد سلط الله على أهل الاسلام طوائف عقوبة لهم حيث لم ينتهوا عن المنكرات : ولم يحرصوا على العمل بالشريعة المطهرة كما وقع من تسليط الخوارج فى أول الاسلام : ثم تسليط القرامطة والباطنية بعدهم : ثم تسليط الترك حتى كادوا يطمسون الاسلام : وكما يقع كثيرا من تسليط الفرنج ونحوهم فاعتبروا يا أولى الأبصار ان فى هذا لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :

والحاصل أنه لاخروج لمن كان قادرا على اصلاح هذا القسم والقسم الأول وهم الرعايا الا يبذل مال فى اصلاح الرعايا وتعليمهم فرائض الاسلام والزامهم بها والأخذ على الولاة فى الأقطار أن يكون معظم سعيهم وغاية هممهم هو دعاء من يتولون عليه من الرعايا الى ماأوجبه الله عليهم ونهيهم عما نهاهم الله عنه : وانتخاب القضاة فى كل قطر أولا

١ - الحج ٤٠
٢ - محمد ٧
٣ - الأعراف ١٢٨
٤ - المائدة ٥٦
٥ - المائدة : ٥
٦ - البقرة ١٩٣

ممن جمع الله لهم بين العلم والعمل : والزهد والورع: ويكونون ثانيا من الباذلين نفوسهم لاصلاح الرعايا وتعليمهم فرائض الله ودفع المظالم الواردة عليهم التى لاسبيل لها فى الشريعة المطهرة ويقبضون ماأوجب الله عليهم ويدفعونه الى امام المسلمين فان فى ذلك ماهو أنفع من الأشياء التي تؤخذ على وجه الظلم وعلى طريقة الجور : والخير كل الخير فى موافقة الأمور الشرعية : والشر كل الشر فى مخالفتها

ومن جملة ماياأخذون عليهم اصلاح عقائدهم وأن ينبؤهم أن الله هو الضار النافع القابض الباسط وأن لاينفع ولا يضر غيره : ويزجروهم عن الاعتقادات الباطلة ويجعلون فى كل قرية معلما صالحا يعلم أهلها العلوم على الوجه الشرعى ويأمروهم بالمواظبة على الصلاة فى أوقاتها ويدعوا ذلك المعلم أن يعلمهم سائر الفرائض التى أوجبها الله عليهم ويلزموهم ويحبسون من لم يأت بما فرض الله عليه أو لم يجتنب مانهاه الله عنه ويكون ذلك عزيمة صحيحة مستمرة وأمراً ضابطاً دائما : ولا يكون هذا مثل ماكان من الأمر لاهل ضلعا ثم بطل قبل مضى اسبوع فأن الامور الشرعية والفرائض الدينية هى التى شرع الله نصب الائمة والسلاطين والقضاة لها ولم يشرع نصب هؤلاء لجمع المال من غير وجهه ومصادرة الرعايا فى اموالهم باضعاف ما اوجبه الله عليهم وترك الزامهم بفرائض الله تعالى التى من جملتها الصلاة والصوم والحج والزكاة واخلاص النية والتوحيد لله : وترك نهيهم عما نهاهم الله عنه من المعاصى التى صاروا يفعلونها ويقرون عليها مما هو معلوم لكل أحد وليس على إمام المسلمين ووزرائه إلا

انتخاب العمال والقضاة والزامهم بأن يكـون معظم أشتغالهم بتدبير الرعايا بما شرعه الله فى الأموال والأبدان وفى الدين والدنيا : ثم بعد الزامهم بذلك ينظرون من قام به من العمال والقضاة فيحسنون الى من قام بهذا الأمر منهم: ويبذل فيه وسعه ويُقرّونه على ولايته ويعزلون من لم يقم به ويبذل فيه وسعه : فبهذا يدفع اللهُ الشرورعن البلاد والعباد ويحول بينهم وبين من قد صار فى بعض اطراف من الطوائف التى تقاتل عباد الله مقاتلة أهل الشرك المحقق بل يتجاوزون ذلك الى مالا يبيحه الشرع كما بلغ أنهم يقتلون النسآء الحوامل والصبيان ويشقون بطون الحوامل فان الشارع صلى لله عليه وآله وسلم نهى عن مثل هذا وزجر عنه [1] ولم يحل للمسلمين أن يقتلوا صبيان المشركين ونساءهم :

وأما العمال والقضاة والذين صاروا يتولون البلاد فى هذه الأعصار فهم من أعظم الأسباب الموجبة لنزول العقوبة وتسليط الأعداء وذهاب البلاد والعباد وسفك الدماء واستحلال الحرام : وكيف لايقع هـذا التسليط وعاملُ البلاد على هذه الصفة التى قدمنا ذكرها :ومن أول

«١» خرج ابو داود فى سننه عن انس « ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاتقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ولاتغلوا وضموا غنائمكم واصلحوا واحسنوا ان الله يحب المحسنين» وروى الامام احمد فى مسنده عن الأسود بن سريع « قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لاتقتلوا الذرية فى الحرب فقالوا يارسول الله او ليس هم اولاد المشركين قال او ليس خياركم اولاد المشركين » وروى البخارى ومسلم واصحاب السنن الأربعة عن ابن عمر « قال وجدت امرأة مقتولة فى بعض مغازى النبي صلى الله عليه واله وسلم فنهى رسول الله عن قتل النساء والصبيان » فانظر الى محاسن هذه الشريعة ومكارم اخلاق نبيها واقتد بذلك :

معاصيه ومساويه ومعاندته لله: وتعرضه لغضبه وسخطه انه يطالب تلك الولاية بالأموال يقدمها من أموال المرابين فيقع فى الربا الذى هو من أعظم المعاصى الموجبة للحرب من الله قبل أن يخرج من بيته ويقبض مرسوم ولايته وقد يكون الذى ولاه عالما بأن ذلك المال هو عين الربا فيقعان جميعا فى غضب الله ولعنته قبل المباشرة للولاية: واذا كان هذا أول مايفتتح به هذه الولاية الملعونة فما ظنك بما يحدث بعد ذلك من الظلم والجور والعسف واهمال ما أخذه الله على الولاة من ارشاد الضالّ من الرعايا وهداية الجاهل : وهكذا ولاية القاضى الشيطان فى هذه الازمان فانها تفتتح بشيء من السحت يدفعه هذا القاضى الملعون الذى هو من قضاة النار الى من ولاه بعد أن يستعين بالسفهاء فكيف يفلح هذا القاضى الجاهل للشرائع الذى اشتري هذا المنصب الدينى بماله وقام فى حصوله وقعد مع أن الشارع صلوات الله عليه وسلامه نهى ان يتولى القضاء من طلبه[1] فضلا عمن اشتراه بماله

---

(١) الحديث اخرجه البخارى فى غير موضع مطولا ومختصرا ولفظه « عن ابى موسى قال اقبلت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعى رجلان من الأشعريين فقلت ماعلمت انهما يطلبان العمل فقال لن اولا نستعمل على عملنا من اراده » ورواه ايضا مسلم وابو داود والنسائى: قال القرطبي رحمه الله هذا نهى وظاهره التحريم كما قال صلى الله عليه وآله وسلم « لاتسأل الامارة وانا والله لانولى على عملنا هذا احدا يسأله ويحرص عليه » فلما اعرض عنهما ولم يولهما لحرصهما ولى ابا موسى الذى لايحرص عليها : والسائل الحريص يوكل اليها ولا يعان عليها : قال العلامة العينى فلان الذى يطلب العمل انما يطلبه غالبا لتحصيل الاجرة التى شرعت له وهذا كان فى ذلك الزمان : واما الذى يطلب العمل فى زماننا هذا فلا يطلبه الا لتحصيل الاموال سواء كان من الحلال أو الحرام وللأمر والنهى بغير طريق شرعى بل غالب من يطلب العمل انما يطلبه بالبرطيل والرشوة ولا سيما فى مصر فان الأمر فاسد جدا فى العمال فيها حتى ان اكبر القضاة يتولون بالرشوة وهذا غير خاف على أحد فنسأل الله العفو والعافية اه : فانظر

وكيف يصلح الرعايا كلا والله بل هو بلاء صبه الله على العباد صبا: ومحنة امتحنهم الله بها: وسبب من أسباب تعجيل العقوبة لهم ولمن ولاه عليهم من أهل الامر:

أما القسم الثالث من الاقسام الثلاثة التى ذكرناها وهم الساكنون فى المدن فهم وان كانوا أبعد الناس من الشر وأقربهم الى الخير لكن غالبهم وجمهورهم عامة جُهَّالٌ يهملون كثيرا مما أوجبه الله عليهم من الفرائض جهلا وتساهلا:

فمن ذلك أنهم يصلون غالب الصلوات فى غير اوقاتها فيأتون بصلاة الفجر حال طلوع الشمس وبعدها وبصلاة العصر قرب الغروب: وبصلاة العشائين اما جمعا فى وقت الأولى أو فى وقت الأخرى ومع هذا فهم لايحسنون أركان الصلاة ولا أذكارها الا الشاذ النادر منهم: ويتعاملون فى بيعهم وشرائهم معاملات يخالفون فيها المسلك الشرعي وكثيرا مايقع منهم الربا ويتكلمون بالألفاظ الكفرية وينهمك كثير منهم فى معاصي صغيرة وكبيرة: وهم أقرب الناس الى الخير وأسرعهم قبولا للتعليم اذا وجدوا من يعزم عليهم عزيمة مستمرة دائمة غير منقوصة فى

ايها القارىء الى كلام هذا الامام وقد كان فى القرن التاسع وقد وجد فى زمنه كثير من اهل العلم والفضل العاملين كالحافظ العراقى وابن حجر العسقلانى وغيرهما من اهل الحل والعقد فما بالك بهذا العصر عصر الانقلاب من الهدى الى الضلالة ومن الصلاح الى الفسق والفجور: ومن الورع الى أكل اموال الناس بانواع الحيل وجميع اصناف المكر والخداع: ومن اقامة شعائر الله فى المساجد الى ترك الصلاة جورا علنا. ومن لباس التقوى الى التزين بلباس الأنثى والخنثى المشكل من انواع الحرير وضروب الذهب. وغير ذلك مما لايحسن ذكره فى هذا المقام نسأل الله التوفيق لما جاء به الدين الحنيف والسلامة من مخالفته.

أقرب وقت كما يقع ذلك كثيرا : ومن عدا العامة فمن لم يكن منه اشتغال بالعلم ولا مجالسة لأهله حكمه حكم العامة فى دينه بل هو واحد منهم وان كان له نسب شريف وبيت رفيع : وربما هذا الذى كان يظن فى نفسه أنه خارج عن العامّة وداخل فى الخاصّة متعلق بشىء من الولايات الدينية والدنيوية وهو يخبط خبط عشواء : ويظلم البلاد والعباد جهلا منه أو تجاهلا وجزاؤه على الله والواجب على امام المسلمين حَفِظَهُ اللهُ وعلى أعوانه افتقاد هؤلاء والبحث عن مباشراتهم : وعن كيفية معاملتهم ممن يتولون عليه او يتوسطون له : وكون بعض هؤلاء المتولين للأعمال أو المتوسطين على شىء من العلم لايكون موجبا لترك البحث عن أحواله والتفتيش على معاملته بمن هو متول عليهم أو متوسط لهم فان كونه عالما أو متعلما لايوجب له العصمة ولا يسد عنه باب الاختبار والبحث فان كثيرا من العلماء من يكون علمه حجة عليه ووبالا له والدنيا مؤثرة وحبها رأس كل خطيئة والله المسؤل أن يلهم امام المسلمين أقام الله به أركان الدين الى القيام بما أرشدناه اليه فى هذه الرسالة وابلاغ الجهد فى احوال هذه الأحكام التى ذكرناها فانه اذا فعل ذلك صلحت له أحوال الدين والدنيا ودفع الله عن رعاياه كل محنة ولم يسلط عليهم غيره قط كائنا من كان وليس في هذا مشقة عليه ولا نقص فى دنياه بل هو الدواء المجرب لتوفر الخير : وتضاعف المدد : وصفو العيش وراحة القلب وطول العمر واتساع البلاد واذعان العباد : بهذا جاءت الشريعة المطهرة وقطعت كلياتها وجزئياتها : وفى هذا المقدار كفاية وبالله التوفيق

تمت الرسالة والحمد لله

رسالة
فى العقل والروح
للعلامة تقى الدين ابن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . سئل شيخ الاسلام الامام العلاّمة تقى الدين احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رضى الله عنه عن العقل الذى للانسان هل هو عرض ؟ وما هى الروح المدبرة لجسده ؟ هل هى النفس وهل لها كيفية تعلم ؟ وهل هى عرض أو جوهر ، وهل يعلم مسكنها من الجسد ، ومسكن العقل ، فأجاب :

الحمد لله رب العالمين . العقل فى كتاب الله وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين هو أمر يقوم بالعاقل سواء سمى عرضاً أو صفة ليس هو عيناً قائمة بنفسها سواء سمى جوهراً أوجسما أو غير ذلك : وانما يوجد التعبير باسم العقل عن الذات العاقلة التى هى جوهر قائم بنفسه فى كلام طائفة من المتفلسفة الذين يتكلمون فى العقل والنفس ويدّعون ثبوت عقولٍ عشرة كما يذكر ذلك من يذكره من

أتباع ارسطو أو غيره من المتفلسفة المشائين : ومن تلقى ذلك عنهم من المنتسبين الى الملل :

وقد بسط الكلام على هؤلاء فى غير هذا الموضع وبيّن أن مايذكرونهُ من العقول والنفوس والمجرّدات والمفارقات والجواهر العقلية لايثبت لهم منه الاّ نفس الانسان وما يقوم بها من العلوم وتوابعها ، فان أصل تسميتهم لهذه الأمور مفارقات هو مأخوذ من مفارقة النفس البدن بالموت وهذا أمر صحيح فان نفس الميت تفارق بدنه بالموت وهذ مبنى على أن النفس قائمة بنفسها تبقى بعد فراق البدن بالموت منعمة أو معذبة وهذا مذهب أهل الملل من المسلمين وغيرهم وهو قول الصحابة والتابعين لهم باحسان وسائر أئمة المسلمين ، وان كان كثير من أهل الكلام يزعمون أن النفس هى الحياة القائمة بالبدن : ويقول بعضهم هى جزء من أجزاء البدن كالريح المترددة فى البدن أو البخار الخارج من القلب :

ففى الجملة النفس المفارقة للبدن بالموت ليست جزأ من أجزاء البدن ولا صفة من صفات البدن عند سلف الأمة وأئمتها : وانما يقول هذا وهذا من يقوله من أهل الكلام المبتدع المحدث من أتباع الجهمية والمعتزلة ونحوهم : والفلاسفة والمشاؤون يقرون بأن النفس تبقى اذا فارقت البدن لكن يصفون النفس بصفات باطلة فيدعون أنها اذا فارقت البدن كانت عقلا والعقل عندهم هو المجرد عن المادة وعلائق المادة ، والمادة عندهم هى الجسم ، وقد يقولون هو المجرد عن التعلق بالهيولى

والهيولى فى لغتهم هو بمعنى المحل : ويقولون المادة والصورة . والعقل عندهم جوهر قائم بنفسه لايوصف بحركة ولا سكون ولا تتجدد له أحوال ألبتة :

تحقيق قولهم ان النفس اذا فارقت البدن لايتجدد لها حال من الأحوال لاعلوم ولا تصورات : ولا سمع ولا بصر ولا ارادات : ولا فرح وسرور ولا غير ذلك مما قد يتجدد ويحدث بل تبقى عندهم على حال واحـدة أزلاً وأبداً كما يزعمونه فى العقل والنفس : ثم منهم من يقول ان النفوس واحدة بالعين : ومنهم من يقول هى متعددة : وفى كلامهم من الباطل ماليس هذا موضع بسطه :

وانما المقصود التنبيه على مايناسب هذا الموضع فهم يسمُّون مااقترن بالمادّة التى هى الهيولى وهى الجسم فى هذا الموضع نفساً كنفس الانسان المدبرة لبدنه : ويزعمون ان للفلك نفساً تحركه كما للناس نفوس لكن كان قدماؤهم يقولون ان نفس الفلك عَرَض قائم بالفلك كنفوس البهائم وكما يقوم بالانسان الشهوة والغضب لكن طائفة منهم كابن سينا وغيره زعموا أن النفس الفلكية جوهر قائم بنفسه كنفس الانسان ومادامت نفس الانسان مدبرة لبدنه سموها نفساً فاذا فارقت سموها عقلاً لأن العقل عندهم هو المجرد عن المادة وعن علائق المادة : وأما النفس فهى المتعلقة بالبدن تعلق التدبير والتصريف :

وأصل تسميتهم هذه مجردات هو مأخوذ من كون الانسان يجرد الأمور العقلية الكلية عن الأمور الحسية المعينة فانه اذا رأى

أفراداً للانسان كزيد وعمرو عَقَلَ قدراً مشتركاً بين الاناسيّ وبين الانسانية الكلية المشتركة المعقولة فى قلبه : واذا رأى الخيل والبغال والحمير وبهيمة الأنعام وغير ذلك من أفراد الحيوان عقل من ذلك قدراً كلياً مشتركاً بين الأفراد وهى الحيوانية الكلية المعقولة : واذا رأى مع ذلك الحيوان والشجر والنبات عقل من ذلك قدراً مشتركا كلياً وهو الجسم النامى المغتذى وقد يسمون ذلك النفس النباتية : واذارأى مع ذلك سائر الأجسام العلوية الفلكية والسفلية العنصرية عَقَلَ من ذلك قدراً مشتركاً كلياً هو الجسم العام المطلق : واذا رأى ماسوى ذلك من الموجودات عقل من ذلك قدراً مشتركاً كلياً وهو الوجود العام الكلى الذى ينقسم الى جوهر وعَرَض وهذا الوجود هو عندهم موضوع العلم الأعلى الناظر فى الوجود ولواحقه وهى الفلسفة الأولى والحكمة العليا عندهم :

وهم يقسمون الوجود الى جوهر وعرض : والأعراض يجعلونها تسعة أنواع هذا هو الذى ذكره أرسطوا : وأتباعه يجعلون هذا من جملة المنطق لأن فيه المفردات التى ينتهى اليها الحدود المؤلفة : وكذلك من سلك سبيلهم ممن صنف فى هذا الباب كابن حزم وغيره * وأماابن سينا وأتباعه فقالوا « الكلام فى هذا لايختص بالمنطق » فأخرجوها منه وكذلك من سلك سبيل ابن سينا كابى حامد والسهروردى المقتول والرازى والآمدى وغيرهم . وهذه هى المقولات العشر التى يعبرون عنها بقولهم : الجوهر : والكم : والكيف : والاين : ومتى

والاضافة : والوضع : والملك : وأن يفعل : وأن ينفعل : وقد جمعت في بيتين وهي

زيدٌ الطويلُ الأسودُ بنُ مالك * في داره بالامس كان متكي

في يده سيفٌ نضاه فانتضا * فهذه عشر مقولات سوا

وأكثر الناس من أتباعه وغير أتباعه أنكر واحصر الأعراض في تسعة أجناس وقالوا إن هذا لايقوم عليه دليل : ويثبتون إمكان ردها الى ثلاثة والى غير ذلك من الأعداد ، وجعلوا الجواهر خمسة أنواع : الجسم والعقل والنفس والمادة والصورة ، فالجسم جوهر حسيّ والباقية جواهر عقلية ، لكن مايذكرونه من الدليل على إثبات الجواهر العقلية انما يدل على ثبوتها في الأذهان لافي الأعيان ،

وهذه التي يسمونها « المجردات العقلية » ويقولون : الجواهر تنقسم الى ماديات ومجردات فالماديات القائمة بالمادة وهي الهيولى وهي الجسم ، والمجردات هي المجردات عن المادة ، وهذه التي يسمونها المجردات أصلها هي هذه الأمور الكلية المعقولة في نفس الانسان كما أن المفارقات أصلها مفارقة النفس البدن ، وهذان أمران لاينكران لكن ادعوا في صفات النفس وأحوالها أمورا باطلة ، وأدعوا أيضا ثبوت جواهر عقلية قائمة بأنفسها ويقولون فيها : العاقل والمعقول والعقل شيء واحد كما يقولون مثل ذلك في رب العالمين فيقولون : هو عاقل ومعقول وعقل ، وعاشق ومعشوق وعشق ، ولذيذ وملتذ ولذة : ويجعلون الصفة عين الموصوف ، ويجعلون كل صفة هي الأخرى فيجعلون نفس

العقل الذى هو العلم نفس العاقل العالم ، ونفس العشق الذى هو الحب نفس العاشق المحب ، ونفس اللذة هى نفس العلم ونفس الحب ، ويجعلون القدرة والارادة هى نفس العلم فيجعلون العلم هو القدره وهو الارادة وهو المحبة وهو اللذة ، ويجعلون العالم المريد المحب الملتذ هو نفس العلم الذى هو نفس الارادة وهو نفس المحبة وهو نفس اللذة ؟ فيجعلون الحقائق المتنوعة شيئا واحدا ويجعلون نفس الصفات المتنوعة هى نفس الذات الموصوفة ، ثم يتناقضون فيثبتون له علما ليس هو نفس ذاته كما تناقض ابن سينا فى اشاراته : وغيره من محققيهم ، وبسط الكلام فى الرد عليهم بموضع آخر :

والمقصود أنهم يعبرون بلفظ العقل عن جوهر قائم بنفسه ويثبتون جواهر عقلية يسمونها المجردات والمفارقات للمادة ، واذا حقق الأمر عليهم لم يكن عندهم غير نفس الانسان التى يسمونها الناطقة وغير مايقوم بها من المعنى الذى يسمى عقلا . وكان أرسطو واتباعه يسمون الربّ عقلا وجوهرا وهو عندهم لايعلم شيأ سوى نفسه ولا يريد شيئا ولا يفعل شيئا ويسمونه المبدأ والعلة الأولى لان الفلك عندهم متحرك للتشبه به أو متحرك الشبه بالعقل ، فحاجة الفلك عندهم الى العلة الأولى من جهة أنه متشبه بها كما يتشبه المؤتم بالامام والتلميذ بالاستاذ ، وقد يقول انه يحركه كما يحرك المعشوق عاشقه ليس عندهم أنه أبدع شيئا ولا فعل شيئا ، ولا كانوا يسمونه واجب الوجود ولا يقسمون الوجود الى واجب وممكن ويجعلون الممكن هو موجودا قديما أزليا كالفلك عندهم

وانما هذا فعل ابن سينا وأتباعه وهم خالفوا فى ذلك سلفهم وجميع العقلاء وخالفوا أنفسهم أيضا فتناقضوا فانهم صرحوا بما صرح به سلفهم وسائر العقلاء من أن الممكن الذى يمكن أن يكون موجودا وان يكون معدوماً، لايكون الا محدثاً مسبوقا بالعدم . وأما الأزلى الذى لم يزل ولا يزال فيمتنع عندهم وعند سائر العقلاء ان يكون ممكنا يقبل الوجود والعدم بل كل ما قَبِلَ الوجودَ والعدم لم يكن الا محدثا وهذا مما يستدل به على ان كل ماسوى الله فهو محدث مسبوق بالعدم كائن بعد ان لم يكن كما بسط فى موضعه : لكن ابن سينا ومتبعوه تناقضوا فذكروا فى موضع آخر أن الوجود ينقسم الى واجب وممكن وان الممكن قد يكون قديماً ازليا لم يزل ولا يزال يمتنع عدمه ويقولون هو واجب بغيره وجعلوا الفلك من هذا النوع فخرجوا عن إجماع العقلاء الذين وافقوهم هم عليه فى اثبات شىء ممكن يمكن ان يوجد وأن لايوجد وانه مع هذا يكون قديماً أزلياً أبديا ممتنع العدم واجب الوجود بغيره فان هذا ممتنع عند جميع العقلاء . وذلك بيّن فى صريح العقل لمن تصور حقيقة الممكن الذى يقبل الوجود والعدم كما بسط فى موضعه :

وهؤلاء المتفلسفة انما تسلطوا على المتكلمين الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم لأن هؤلاء لم يعرفوا حقيقة مابعث اللهُ به رسوله . ولم يحتجوا لما نصروه بحجج صحيحة فى المعقول فقصر هؤلاء المتكلمون فى معرفة السمع والعقل حتى قالوا إن الله لم يزل لايفعل شيئا ولا يتكلم بمشيئته ثم حدث ماحدث من غير تجدد سبب حادث : وزعموا دوام

امتناع كون الرب متكلماً بمشيئته ثم حدث ماحدث من غير تجدد سبب حادث وزعموا دوام امتناع كون الرب متكلما بمشيئته فعّالا لما يشاء لزعمهم امتناع دوام الحوادث ثم صار أئمتهم كالجهم بن صفوان وأبى الهذيل العلاف الى امتناع دوامها فى المستقبل والماضى : فقال الجهم بفناء الجنة والنار : وقال أبو الهذيل بفناء حركاتهما وانهم يبقون دائماً فى سكون : ويزعم بعض من سلك هذه السبيل أن هذا هو مقتضى العقل وأن كل ماله ابتداء فيجب أن يكون له انتهاء . ولما رأوا الشرع قد جاء بدوام نعيم اهل الجنة كما قال تعالى (أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا) وقال (إِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ) ظنوا انه يجب تصديق الشرع فيما خالف فيه اهل العقل ولم يعلموا ان الحجة العقلية الصحيحة لاتناقض الحجة الشرعية الصحيحة بل يمتنع تعارض الحجج الصحيحة سواء كانت عقلية أو سمعية أو سمعية وعقلية . بل اذا تعارضت حجتان دل على فساد إحداهما أو فسادهما جميعاً :

وصار كثير منهم الى جواز دوام الحوادث فى المستقبل دون الماضى وذكروا فروعاً عرف حذاقهم ضعفها كما بسط فى غير هذا الموضع: وهو لزومهم أن يكون الرب كان غير قادر ثم صار قادرا من غير تجدد سبب يوجب كونه قادرا وانه لم يكن يمكنه ان يفعل ولا يتكلم بمشيئته ثم صار الفعل ممكنا له بدون سبب يوجب تجدد الامكان . واذا ذكر لهم هذا قالوا كان فى الأزل قادراً على مالم يزل فقيل لهم القادر لايكون قادرا مع كون المقدور ممتنعا بل القدرة على الممتنع ممتنعة وانما يكون قادراً على مايمكنه ان

يفعله فاذا كان لم يزل قادراً فلم يزل يمكنه أن يفعل :

ولما كان اصل هؤلاء هذا صاروا فى كلام الله على ثلاثة أقوال :فرقة قالت الكلام لايقوم بذات الرب بل لايكون كلامه الا مخلوقا لانه إما قديم واما حادث ويمتنع أن يكون قديماً لانه متكلم بمشيئته وقدرته والقديم لايكون بالقدرة والمشيئة : واذا كان الكلام بالقدرة والمشيئة كان مخلوقاً لايقوم بذاته إذ لو قام بذاته كانت قد قامت به الحوادث والحوادث لاتقوم به لانها لو قامت به لم يخل منها ومالم يخل من الحوادث فهو حادث : قالوا اذ بهذا الأصل أثبتنا حدوث الأجسام : وبه ثبت حدوث العالم (قالوا) ومعلوم ان مالم يسبق الحادث لم يكن قبله اما معه واما بعده . وما كان مع الحادث او بعده فهو حادث :

وكثير منهم لم يتفطن للفرق بين نوع الحوادث وبين الحادث المعين فان الحادث المعين والحوادث المحصورة يمتنع أن تكون أزلية دائمة : ومالم يكن قبلها فهو إما معها وإما بعدها : وما كان كذلك فهو حادث قطعاً . وهذا لايخفى على أحد :

ولكن موضع النظر والنزاع نوع الحوادث . وهو أنه هل يمكن أن يكون النوع دائما فيكون الرب لايزال يتكلم أو يفعل بمشيئته وقدرته أم يمتنع ذلك ؟ فلمّا تفطن لهذا الفرق طائفة قالوا : وهذا أيضا ممتنع لامتناع حوادث لاأوّل لها : وذكروا على ذلك حججا كحجة التطبيق وحجة امتناع انقضاء مالانهاية له وأمثال ذلك : وقد ذكر عامة

ماذكر فى هذا الباب وما يتعلق به فى مواضع غير هذا الموضع ولكل مقام مقال .

وأولئك المتفلسفة لما رأوا أن هذا القول مما يعلم بطلانه بصريح العقل وأنه يمتنع حدوث الحوادث بدون سبب حادث ويمتنع كون الرب يصير فاعلا بعد أن لم يكن وأن المؤثر التام يمتنع تخلف أثره عنه ـ ظنوا أنهم اذا أبطلوا هذا القول فقد سلم لهم ماادعوه من قدم العالم كالأفلاك وجنس المولودات ومواد العناصر : وضلوا اضلالاً عظيما خالفوا به صرائح العقول وكذبوا به كل رسول فان الرسل مطبقون على أن كل ماسوى الله محدث مخلوق كائن بعد أن لم يكن . ليس مع الله شيء قديم بقدمه وأنه خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام . والعقول الصريحة تعلم أن الحوادث لابد لها من محدث : فلولم تكن الا العلة القديمة الأزلية المستلزمة لمعلولها لم يكن فى العالم شيء من الحوادث . فان حدوث ذلك الحادث عن علة قديمة أزلية مستلزمة لمعلولها ممتنع : فانه اذا كان معلولها لازما لها كان قديما معها لم يتأخر عنها فلا يكون لشيء من الحوادث سبب اقتضى حدوثه فتكون الحوادث كلها حدثت بلامحدث وهؤلاء فروا من أن يحدثها القادر بغير سبب حادث وذهبوا الى أنها تحدث بغير محدث أصلاً لاقادر ولا غير قادر . فكان مافروا اليه شراً مما فروا منه : وكانوا شراً من المستجير من الرمضاء بالنار :

واعتقد هؤلاء أن المفعول المصنوع المبتدع المعين كالفلك يقارق فاعله أزلاً وأبداً لايتقدم الفاعل عليه تقدما زمانيا : وأولئك قالوا بل

المؤثر التام يتراخى عنه أثره ثم يحدث الأثر من غير سبب اقتضى حدوثه فأقام الأولون الأدلة العقلية الصريحة على بطلان هذا كما أقام هؤلاء الأدلة العقلية الصريحة على بطلان قول الآخرين : ولا ريب أن قول هؤلاء أهل المقارنة أشدفسادا ومناقضة لصريح المعقول وصحيح المنقول من قول أولئك أهل التراخي * والقول الثالث الذى يدل عليه المعقول الصريح ويقرّ به عامّة العقلاء ودل عليه الكتاب والسنة وأقوال السلف والأئمة لم يهتد له الفريقان : وهو أن المؤثر التام يستلزم وقوع اثره عقب تأثره التام لايقترن به ولا يتراخى كما طلقتَ المرأة فطلقت . وأعتقتَ العبدفعتق . وكسرتَ الاناء فانكسر وقطعتَ الحبل فانقطع: فوقوع العتق والطلاق ليس مقارنا لنفس التطليق والاعتاق بحيث يكون معه ولا هو أيضا متراخ عنه بل يكون عقبه متصلا به : وقد يقال هو معه ومفارق له باعتبار أنه يكون عقبه متصلاً به كما يقال هو بعده متأخر عنه باعتبار أنه انما يكون عقب التأثير التام : ولهذا قال تعالى (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[١] فهو سبحانه يكوّن مايشاء تكوينه فاذا كوّنه كان عقب تكوينه متصلا به لايكون مع تكوينه فى الزمان ولا يكون متراخيا عن تكوينه بينهما فصل فى الزمان بل يكون متصلا بتكوينه كاتصال أجزاء الحركة والزمان بعضها ببعض :

وهذا مما يستدل به على أن كل ماسوى الله حادث كائن بعد أن لم يكن : وان قيل مع ذلك بدوام فاعليته ومتكلميته : وهذه الأمور

١ - يس ٨٢

مبسوطة فى غير هذا الموضع . والمقصود هنا أن هذا هو أصل من قال القرآن محدث ومن قال ان الرب لم يقم به كلام ولا ارادة بل ولا علم بل ولا حياة ولا قدرة ولا شيء من الصفات : فلما ظهر فساد هذا القول شرعا وعقلا قالت طائفة ممن وافقهم على أصل مذهبهم هو لايتكلم بمشيئته وقدرته بل كلامه أمر لازم لذاته كما تلزم ذاته الحياة : ثم منهم من قال هو معنى واحد لامتناع اجتماع معانى لانهاية لها فى آن واحد وامتناع تخصيصه بعدد دون عدد : وقالوا ذلك المعنى هو الأمر بكل مأمور والخبر عن كل مخبر عنه إن عبر عنه بالعربيه كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا : وقالوا: ان الأمر والنهى صفات للكلام لا أنواع له . فان معنى آية الكرسى آية الدين و(قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)[1] و (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ)[2] معنى واحد :

فقال جمهور العقلاء لهم : تصور هذا القول يوجب العلم بفساده وقالوا لهم : موسى سمع كلام الله كله أو بعضه . إن قلتم كله لزم أن يكون قد علم علم الله . وإن قلتم بعضه فقد تبعض : وقالوا لهم : اذا جوزتم أن تكون حقيقة الخبر هى حقيقة الأمر وحقيقة النهى عن كل منهى عنه . والأمر بكل مأمور به هو حقيقة الخبر عن كل مخبر عنه: فجوّزوا أن تكون حقيقة العلم هى حقيقة القدرة : وحقيقة القدرة هى حقيقة الارادة فاعترف حذاقهم بأن هذا لازم لهم لامحيد لهم عنه : ولزمهم امكان أن تكون حقيقة الذات هى حقيقة الصفات وحقيقة الوجود الواجب هى حقيقة الوجوب الممكن ، والتزم ذلك طائفة منهم فقالوا :

١ ـ الاخلاص ١

٢ ـ المسد ١

الوجود واحد ، وعين الوجود الواجب القديم الخالق هو عين الوجود الممكن المخلوق المحدَث:

وهذا أصل قول القائلين بوحدة الوجود كابن عربي الطائى وابن سبعين وأتباعهما كما بسط فى مواضع : ومن هؤلاء القائلين بأنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته مع قيام الكلام به من قال : كلامه المعين حروف وأصوات معينة قديمة أزلية لم تزل ولا تزال : وزعموا أن كلاً من القرآن والتوراة والانجيل حروف وأصوات قديمة أزلية لم تزل ولا تزال ، فقال لهم جمهور العقلاء : معلوم بالاضطرار أن الباء قبل السين والسين قبل الميم فكيف يكونان معاً أزلاً وأبداً : ومعلوم أن الصوت المعين لا يبقى زمانين فكيف يكون أزليا لم يزل ولا يزال فقالت الطائفة الثالثة ممن سلك مسلك أولئك المتكلمين : بل نقول أنه يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته كما دل على ذلك الكتاب والسنة واجماع السلف والأئمة وان لزم من ذلك قيام الحوادث به فلا محذور فى ذلك لا شرعا ولا عقلا بل هذا لازم لجميع طوائف العقلاء وعليه دلت النصوص الكثيرة : وأقوال السلف والأئمة . ويقول انه يتكلم بمشيئته وقدرته بالقرآن العربى وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى كما دلت على ذلك النصوص وأقوال السلف لكن يقول انه لم يكن فى الازل متكلما ويمتنع أن يكون لم يزل متكلما بمشيئته وقدرته لأن ذلك يستلزم حوادث لا أول لها . وهو أصل هؤلاء. فقيل لهم معلوم ان الكلام صفة كمال لا صفة نقص وأن من يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يكون قادرا على الكلام بمشيئته وقدرته

وحينئذ فمن لم يزل متكلما بمشيئته أكمل ممن صار قادراً على الكلام بعد ان كان لايمكنه أن يتكلم : وقالوا لهم اذا قلتم تكلم بعد أن كان الكلام ممتنعا من غير أن يكون هناك سبب أوجب تجدد قدرته وتجدد امكان الكلام له قلتم أنه لم يزل غير قادر على الكلام ولم يزل الكلام غير ممكن له ثم صار قادراً يمكنه أن يتكلم بمشيئته من غير حدوث شيء : وهذا مخالفة لصريح العقل : وسلب لصفات الكمال عن البارى وجعله مثل المخلوق الذى صار قادراً على الكلام بعد أن لم يكن قادراً عليه :

والسلف والأئمة نصوا على أن الرب تعالى لم يزل متكلما اذا شاء وكما شاء كما نص على ذلك عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة الدين وسلف المسلمين وهم الذين قالوا بان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق . لم يقل أحد منهم أنه لايتكلم بمشيئته وقدرته . ولا قال أحد منهم أنه مخلوق بائن عنه . ولا قال أحد منهم أنه صار متكلما أو قادراً على الكلام بعد ان لم يكن كذلك : وقد بسطت هذه الأمور فى موضع آخر . والمقصود أن هذه الأقوال التى قالها هؤلاء المتكلمون من الجهمية والمعتزلة والكلابية والكرامية والسالمية : ومن وافقهم من المتأخرين الذين انتسبوا الى بعض الائمة الأربعة وخالفوا بها اجماع السلف والأئمة : وماجاء به الكتاب والسنة وخالفوا بها صريح المعقول الذى فطر الله عليه عباده هى التى سلطت أولئك المتفلسفة

الدهرية عليهم لكن قول الفلاسفة أعظم فساداً فى المعقول والمنقول :

فصل

والمقصود هنا أن اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء انما هو صفة وهو الذى يسمى عرضا قائم بالعاقل : وعلى هذا دل القرآن فى قوله تعالى (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[١] * وقوله (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا)[٢] * وقوله (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)[٣] ونحو ذلك مما يدل على أن العقل مصدر عَقَلَ يعقل عقلا ، واذا كان كذلك فالعقل لايسمى به مجرد العلم الذى لم يعمل به صاحبه : ولا العمل بلا علم بل انما يسمى به العلم الذى يعمل به والعمل بالعلم : ولهذا قال أهل النار (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ)[٤] وقال تعالى (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا)[٢] . والعقل المشروط فى التكليف لابد أن يكون علوما يميز بها الانسان بين ماينفعه وما يضره : فالمجنون الذى لايميز بين الدراهم والفلوس : ولا بين أيام الأسبوع : ولايفقه مايقال له من الكلام ليس بعاقل : أما من فهم الكلام وميز بين ماينفعه وما يضره فهو عاقل :

ثم من الناس من يقول : العقل هو علوم ضرورية : ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم . والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا ، وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التى فى الانسان

١ ـ البقرة ٧٣
٢ ـ الحج ٤٦
٣ ـ البقرة ١١٨
٤ ـ الملك ١٠

التى بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما ان العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء كما أن فى العين قوة بها يبصر : وفى اللسان قوة بها يذوق : وفى الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء :

ومن الناس من ينكر القوى والطبائع كما هو قول أبى الحسن ومن اتبعه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم: وهؤلاء المنكرون للقوى والطبائع ينكرون الأسباب أيضا ويقولون ان الله يفعل عندها لابها فيقولون ان الله لايشبع بالخبز ولا يروى بالماء ولا ينبت الزرع بالماء بل يفعل عنده لابه : وهؤلاء خالفوا الكتاب والسنة واجماع السلف مع مخالفة صريح العقل والحس فان الله قال فى كتابه (وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إذا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ المَاءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ المَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[1] فأخبر أنه ينزل الماء بالسحاب ويخرج الثمر بالماء : وقال تعالى (وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيَى بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوتِها)[2] وقال (وَنَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكاً فَأَنْبَتْنا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الحَصِيدِ)[3] وقال (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ)[4] وقال (قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ)[5] وقال (يَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهذا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِى بِهِ كَثِيراً)[6] ومثل هذا فى القرآن

١ ـ الأعراف ٥٧
٢ ـ البقرة ١٦٤
٣ ـ ق ٩
٤ ـ التوبة ١٤
٥ ـ المائدة ١٥-١٦
٦ ـ البقرة ٢٦

كثير ، والناس يعلمون بحسهم وعقلهم أن بعض الأشياء سبب لبعض كما يعلمون أن الشبع يحصل بالأكل لا بالعد : ويحصل بأكل الطعام لا بأكل الحصى : وأن الماء سبب لحياة النبات والحيوان كما قال (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) وأن الحيوان يروى بشرب الماء لا بالمشى ، ومثل ذلك كثير : ولبسط هذه المسائل موضع آخر :

فصل

والروح المدبرة للبدن التى تفارقه بالموت هى الروح المنفوخة فيه وهى النفس التى تفارقه بالموت ، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما نام عن الصلاة «ان الله قبض ارواحنا حيث شاء وردها حيث شاء»[آ] وقال له بلال يارسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك : وقال تعالى (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى)[٢] ٭

قال ابن عباس وأكثر المفسرين : يقبضها قبضين قبض الموت وقبض النوم ثم فى النوم يقبض التى تموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى حتى يأتى أجلها وقت الموت : وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا نام « باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه أن أمسكت نفسى فاغفر لها وأرحمها وأن أرسلتها فاحفظها بما

١ ـ الأنبياء ٣٠
٢ ـ الزمر ٤٢

(آ) الحديث رواه البخارى مطولا ومسلم وغيرهما الا انه بلفظ « ان الله قبض ارواحكم » الخ

تحفظ به عبادك الصالحين » وقد ثبت فى الصحيح «أن الشهداء جعل الله أرواحهم فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة ثم تأوى الى قناديل معلقة بالعرش » وثبت أيضا بأسانيد صحيحة « ان الانسان اذا قبضت روحه فتقول الملائكة اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرجى راضية مرضيا عنكِ : ويقال أخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث أخرجى ساخطة مسخوطا عليك * وفى الحديث الآخر « نسمة المؤمن طائر تعلق من ثمر الجنة ثم تأوى الى قناديل معلقة بالعرش » فسماها نسمة . وكذلك فى الحديث الصحيح حديث المعراج « ان آدم عليه السلام قبل يمينه أسودة وقبل شماله أسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى » وان جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم « هذه الاسودة نسم بنيه . عن يمينه السعداء وعن يساره الأشقياء » وفى حديث على « والذى فلق الحبة وبرأ النسمة » وفى الحديث الصحيح « إن الروح اذا قبض تبعه البصر »[1] فقد سمى المقبوض وقت الموت ووقت النوم روحا ونفسا . وسمى المعروج به الى السماء روحا ونفسا . لكن تسمى نفسا باعتبار تدبيره للبدن وتسمى روحا باعتبار لطفه فان لفظ « الروح » يقتضى اللطف ولهذا يسمى الريح روحا . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « الريح من روح الله »[2] أى من الروح التى

(١) رواه مسلم وابن ماجه والامام احمد بن حنبل عن ام سلمة :

(٢) رواه البخارى فى الادب وابو داود والحاكم عن ابى هريرة بلفظ « الريح من روح الله تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب فاذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها »

خلقها الله فاضافة الروح الى الله إضافة ملك لا إضافة وصف اذ كل مايضاف الى الله ان كان عينا قائمة بنفسها فهو ملك له وان كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به فهو صفة لله :

فالاول كقوله « نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا »[١] وقوله « فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا »[٢] وهو جبريل « فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا »[٢] وقال « وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا »[٣] وقال عن آدم « فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ »[٤] والثانى كقولنا : علم الله وكلام الله وقدرة الله وحياة الله وأمر الله : لكن قد يعبر بلفظ المصدر عن المفعول به فيسمى المعلوم علما والمقدور قدرة والمأمور به أمرا والمخلوق بالكلمة كلمة فيكون ذلك مخلوقا . كقوله « أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ »[٥] وقوله « إِنَّا نُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »[٦] وقوله « إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ »[٧] ومن هذا الباب قوله « إِنَّ اللهَ خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة . انزل منها رحمة واحدة وأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة فاذا كان يوم القيامة جمع هذه الى تلك فرحم بها عباده »[٢]

١ ـ الشمس ١٣
٢ ـ مريم ١٧-١٩
٣ ـ التحريم ١٢
٤ ـ الحجر ٢٩
٥ ـ النحل ١
٦ ـ آل عمران ٤٥
٧ ـ النساء ١٧١

---

(٢) الحديث فى صحيح البخارى وغيره عن ابى هريرة بلفظ « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وارسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من

ومنه قوله فى الحديث الصحيح للجنة «أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى» كما قال للنار «أنت عذابى أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها»

فصل

ولكن لفظ الروح والنفس يعبر بهما عن عدة معان ، فيراد بالروح الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه ، ويراد بالروح البخار الخارج من تجويف القلب من سويداء الساري فى العروق وهو الذى تسميه الأطباء الروح ويسمى الروح الحيوانى ، فهذان المعنيان غير الروح التى تفارق بالموت التى هى النفس ، ويراد بنفس الشىء ذاته وعينه كما يقال رأيت زيدا نفسه : وعينه : وقد قال تعالى « تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ »[1] وقال « كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ »[2] وقال تعالى «وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ »[3] وفى الحديث الصحيح انه قال لأم المؤمنين« لقدقلت بعدك أربع كلمات لو وزن بما قلتيه لوزنتهن سبحان الله عدد خلقه سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله مداد كلماته»(٦) وفى الحديث الصحيح الألهى عن النبي صلى الله عليه وسلم «يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى ان ذكرنى فى نفسه

١ ـ المائدة ١١٦

٢ ـ الأنعام ٥٤

٣ ـ آل عمران ٢٨

الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار» اقول الذي ينبغى للعاقل ان يكون بين الخوف والرجاء فلا يكون مفرطا فى الرجاء بحيث يصير من المرجئة القائلين بانه لا يضر مع الايمان شىء : ولا مفرطا فى الخوف كالمعتزلة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فى النار بل يكون وسطا بينهما والله الموفق :

(٦) الحديث فى صحيح مسلم وغيره بالفاظ مختلفة :

ذكرته فى نفسى وان ذكرني فى ملأ ذكرته فى ملأ خيرٍ منهم»[١] فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء الله نفسه التى هى ذاته المتصفة بصفاته : ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات ولا المراد بها صفة للذات ، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات : وكلا القولين خطأ . وقد يراد بلفظ النفس الدم الذى يكون فى الحيوان كقول الفقهاء « ماله نفس سائلة وما ليس له نفس سائلة » ومنه يقال نَفِسَتِ المرأة اذا حاضت ، ونَفِسَتْ اذا نَفَسَهَا ولدُها ، ومنه قيل النفساء ومنه قول الشاعر

تسيل على حد الظباة نفوسنا * وليست على غير الظباة تسيل

فهذان المعنيان بالنفس ليساهما معنى الروح :ويراد بالنفس عند كثير من المتأخرين صفاتها المذمومة فيقال فلان له نفس ويقال اترك نفسك ومنه قول أبى مرثد « رأيت رب العزة فى المنام فقلت اى رب كيف الطريق اليك فقال أترك نفسك » ومعلوم أنه لايترك ذاته وانما يترك هواها وأفعالها المذمومة ، ومثل هذا كثير فى الكلام ، يقال فلان له لسان ، فلان له يد طويلة ،فلان له قلب ، يراد بذلك لسان ناطق ويد عاملة صانعة وقلب حيٌّ عارف بالحق مريد له ، قال تعالى «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ » كذلك النفس لما كانت حال تعلقها بالبدن يكثر عليها اتباع هواها صار لفظ «النفس» يعبر به عن

١ - ق ٣٧

(١) الحديث فى صحيح البخارى وغيره مطول وما ذكره المصنف مختصر منه تنبه :

النفس المتبعة لهواها أو عن اتباعها الهوى بخلاف لفظ « الروح » فانها لا يعبر عنها عن ذلك اذ كان لفظ « الروح » ليس هو باعتبار مدبرها للبدن :
ويقال النفوس ثلاثة أنواع : وهى النفس الامارة بالسوء التي يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصى ، والنفس اللوامة وهى التى تذنب وتتوب فعنها خير وشر لكن اذا فعلت الشر تابت وأنابت فتسمى لوامة لأنها تلوم صاحبها على الذنوب ولأنها تتلوّم أى تتردد بين الخير والشر * والنفس المطمئنة وهى التى تحب الخير والحسنات وتريده وتبغض الشر والسيئات وتكره ذلك وقد صار ذلك لها خلقا وعادة وملكة : فهذه صفات وأحوال لذات واحدة ، والا فالنفس التى لكل انسان هى نفس واحدة، وهذا أمر يجده الانسان من نفسه * وقد قال طائفة من المتفلسفة الأطباء ان النفوس ثلاثة : نباتية محلها الكبد ، وحيوانية محلها القلب وناطقية محلها الدماغ : وهذا ان أرادوا به أنها ثلاثة قوي تتعلق بهذه الأعضاء فهذا مسلم، وان أرادوا أنها ثلاثة أعيان قائمة بأنفسها فهذا غلط بين :

فصل

وأما قول السائل « هل لها كيفية تعلم ؟ » فهذا سوآل مجمل، إن أراد أنه تعلم مايعلم من صفاتها وأحوالها فهذا مما يعلم ، وإن أراد أنها هل لها مثل من جنس مايشهده من الأجسام أو هل من جنس شيء من ذلك؟ فان اراد ذلك فليست كذلك فانها ليست من جنس العناصر الماء والهواء والنار والتراب ، ولا من جنس أبدان الحيوان والنبات والمعدن ، ولا

من جنس الأفلاك والكواكب ، فليس لها نظير مشهود ولا جنس معهود، ولهذا يقال انه لايُعلم كيفيتها ، ويقال انه «من عرف نفسه عرف ربه» من جهة الاعتبار ومن جهة المقابلة ومن جهة الامتناع ، فاما الاعتبار فانه يعلم الانسان انه حى عليم قدير سميع بصير متكلم فيتوصل بذلك الى ان يفهم ما اخبر الله به عن نفسه من انه حى عليم قدير سميع بصير فانه لو تصور لهذه المعانى من نفسه ونظر اليه لم يمكن ان يفهم ماغاب عنه كما انه لولا تصوره لما فى الدنيا من العسل واللبن والماء : والخمر : والحرير : والذهب : والفضة لما امكنه ان يتصور ماأخبر به من ذلك من الغيب ، لكن لايلزم ان يكون الغيب مثل الشهادة فقد قال ابن عباس رضى الله عنه «ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الأسماء» فان هذه الحقائق التى اخبر بها انها فى الجنة ليست مماثلة لهذه الموجودات فى الدنيا بحيث يجوز على هذه مايجوز على تلك ويجب لها مايجب لها ويمتنع مايمتنع عليها ويكون مادتها مادتها ويستحيل استحالتها فانا نعلم أن ماء الجنة لايفسد ويأسن : ولبنها لايتغير طعمه ، وخمرها لايصدع شاربها ولا ينزف عقله فان ماءها ليس نابعاً من تراب ولا نازلاً من سحاب مثل ما فى الدنيا ، ولبنها ليس مخلوقا من أنعام كما فى الدنيا وأمثال ذلك ، فاذا كان ذلك المخلوق يوافق ذلك المخلوق فى الاسم وبينهما قدر مشترك وتشابه فعلم به معنى ماخوطبنا به مع أن الحقيقة ليست مثل الحقيقة : فالخالق جل جلاله أبعد عن مماثلة مخلوقاته مما فى الجنة لما فى الدنيا فإذا وصف نفسه بأنه حى عليم سميع

بصير قدير لم يلزم أن يكون مماثلا لخلقه اذ كان بعدها عن مماثلة خلقه أعظم من بعد مماثلة كل مخلوق لكل مخلوق، وكل واحد من صغار الحيوان لها حياة وقوة وعمل وليست مماثلة للملائكة المخلوقين فكيف يماثل ربّ العالمين شيئاً من المخلوقين والله سبحانه وتعالى سمى نفسه وصفاته بأسماء وسمى بها بعض المخلوقات فسمى نفسه حيا عليما سميعا بصيراً عزيزا جباراً متكبرا ملكاً رؤوفاً رحيماً وسمى بعض عباده عليما : وبعضهم حليما وبعضهم رؤوفا رحيما : وبعضهم سميعاً بصيراً : وبعضهم ملكاً وبعضهم عزيزا وبعضهم جباراً متكبراً ، ومعلوم أنه ليس العليم كالعليم ولا الحليم كالحليم ولا السميع كالسميع وهكذا فى سائر الأسماء ، قال سبحانه وتعالى «إنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً»[١] وقال «وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ»[٢] وقال «انَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً»[٣] وقال «فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ»[٤] وقال «انَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ»[٥] وقال «بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ»[٦] وقال «انَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً»[٧] وقال تعالى «أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً»[٨] وكذلك سائر ماذكر لكن الانسان يعتبر بما عرفه مالم يعرفه ولولا ذلك لانسدت عليه طرق المعارف للأمور الغائبة، وأما من جهة المقابلة فيقال من عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية : ومن عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغنى : ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة : ومن عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم : ومن عرف نفسه بالذل عرف ربه بالعز، وهكذا أمثال ذلك لأن العبد ليس له من نفسه الا العدم، وصفات

١ ـ النساء ١١
٢ ـ الذاريات ٢٨
٣ ـ الاسراء ٤٤
٤ ـ الصافات ١٠١
٥ ـ الحج ٦٥
٦ ـ التوبة ١٢٨
٧ ـ النساء ٥٨
٨ ـ الإنسان ٢

النقص كلها ترجع الى العدم ، وأما الربّ تعالى فله صفات الكمال وهى من لوازم ذاته يمتنع انفكاكه عن صفات الكمال أزلاً وأبداً ويمتنع عدمها لأنه واجب الوجود أزلاً وأبداً وصفات كماله من لوازم ذاته ويمتنع ارتفاع اللازم الاّ بارتفاع الملزوم فلا يعد شيء من صفات كماله الاّ بعد ذاته وذاته يمتنع عليها العدم فيمتنع على شيء من صفات كماله العدم ، :

وأما من جهة العجز والامتناع فانه يقال اذا كانت نفس الانسان التى هى أقرب الأشياء اليه بل هى هويته وهو لا يعرف كيفيتها ولا يحيط علماً بحقيقتها فالخالق جل جلاله أولى أن لا يَعْلَمَ العَبْدُ كَيْفِيَّتَهُ ولا يحيط علماً بحقيقته ولهذا قال أفضل الخلق وأعلمهم بربه « اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك »[1] وثبت فى صحيح مسلم وغيره «أنه كان يقول هذا فى سجوده »وقد روى الترمذى وغيره « أنه كان يقوله فى قنوت الوتر وان كان فى هذا الحديث نظر فالأول صحيح ثابت :

فصل

وأما سؤال السائل هل هو جوهر أو عرض فلفظ الجوهر فيه اجمال ، ومعلوم أنه لم يرد بالسؤال الجوهر فى اللغة مع أنه قد قيل إن لفظ «الجوهر» ليس من لغة العرب وانه معرّب ، وانما أراد السائل الجوهر فى الاصطلاح من تقسيم الموجودات الى جوهر وعرض .

(١) رواه مسلم وابو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه

وهؤلاء منهم من يريد بالجوهر المتحيز فيكون الجسم المتحيز عندهم جوهراً ، وقد يريدون به الجوهر الفرد وهو الجزء الذى لا يتجزأ * والعقلاء منازعون فى اثبات هذا وهو أن الأجسام هل هى مركبة من الجواهر المفردة أم من المادة والصورة أم ليست مركبة لا من هذا ولا من هذا على ثلاثة أقوال أصحها الثالث أنها ليست مركبة لا من الجواهر المفردة ولا من المادة والصورة وهذا قول كثير من طوائف أهل الكلام كالهشامية والضرارية والنجارية والكلابية وكثير من الكرّامية وهو قول جمهور الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وغيرهم بل هو قول أكثر العقلاء كما قد بسط فى موضعه ،

والقائلون بأن لفظ « الجوهر » يقال على المتحيز متنازعون هل يمكن وجود جوهر ليس بمتحيز ، ثم هؤلاء منهم من يقول : كل موجود فاما جوهر واما عرض ، ويدخل الموجود الواجب فى مسمى الجوهر : ومن هؤلاء من يقول كل موجود فاما جسم أو عرض ، ويدخل الموجود الواجب فى مسمى الجسم ، وقد قال بهذا وبهذا طائفة من نظّار المسلمين وغيرهم ، ومن المتفلسفة والنصارى من يسميه جوهرا ولا يسميه جسماً وحكى عن بعض نظار المسلمين أنه يسميه جسما ولا يسميه جوهرا الا أن الجسم عنده هو المشار اليه أو القائم بنفسه والجوهر عنده هو الجوهر الفرد.

ولفظ العرض فى اللغة له معنى وهو ما يعرض ويزول كما قال تعالى « يأخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى » وعند أهل الاصطلاح الكلامى

قد يراد بالعرض مايقوم بغيره مطلقا وقد يراد به مايقوم بالجسم من الصفات، ويراد به فى غير هذا الاصطلاح أمور أخرى . ومعلوم أن مذهب السلف والائمة وعامة أهل السنة والجماعة اثبات صفات الله وأن له علماً وقدرة وحياة وكلاماً ، ويسمون هذه صفات : ثم منهم من يقول هى صفات وليست أعراضاً لأن العرض لايبقى زمانين وهذه باقية ، ومنهم من يقول بل تسمى أعراضا لان العرض قد يبقى ، وقول من قال « ان كل عرض لا يبقى زمانين قول ضعيف : واذا كانت الصفات الباقية تسمى اعراضا جاز أن يسمى هذه اعراضا : ومنهم من يقول « أنا لا أطلق ذلك بناء على أن الاطلاق مستنده الشرع »

والناس متنازعون هل يسمى الله بما صح معناه فى اللغة والعقل والشرع وإن لم يرد باطلاقه نص ولا اجماع أم لايطلق الا ما أطلق نص أو اجماع على قولين مشهورين ، وعامة النظار يطلقون مالا نص فى اطلاقه والاجماع كلفظ القديم والذات ونحو ذلك ، ومن الناس من يفصل بين الأسماء التى يُدْعَى بها وبين مايخبر به عنه للحاجة فهو سبحانه انما يُدْعَى بالاسماء الحسنى كما قال « وَلِلّهِ الاسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا »[1] واما اذا احتيج الى الاخبار عنه مثل ان يقال : ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها : ونحو ذلك فقيل تحقيق الاسباب بل هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها ، وقيل ليس بشىء فقيل بل هو شىء فهذا سائغ وان كان لايُدْعَى بمثل هذه الأسماء التى ليس فيها مايدل على المدح كقول القائل : ياشىء اذ كان هذا

١ ـ الأعراف ١٨٠

لفظا يعم كل موجود وكذلك لفظ «ذات وموجود» ونحو ذلك الا اذا سمى بالموجود الذي يجده من طلبه كقوله «وَوَجَدَ اللّهَ عِنْدَهُ» فهذا اخص من الموجود الذى يعم الخالق والمخلوق. اذا تبين هذا فالنفس وهى الروح المدبرة لبدن الانسان ـ هى من باب مايقوم بنفسه التى تسمى جوهرا وعينا قائمة بنفسها ليست من باب الأعراض التى هى صفات قائمة بغيرها، واما التعبير عنها بلفظ «الجوهر» «والجسم» ففيه نزاع بعضه اصطلاحى وبعضه معنوى فمن عنى بالجوهر القائم بنفسه فهى جوهر ومن عنى بالجسم مايشار اليه وقال انه يشار اليها فهى عنده جسم ومن عنى بالجسم المركب من الجواهر المفردة أو المادة والصورة فبعض هؤلاء قال انها جسم أيضاً ومن عنى بالجوهر المتحيز القابل للقسمة فنهم من يقول انها جوهر، والصواب أنها ليست مركبة من الجواهر المفردة ولا من المادة والصورة، وليست من جنس الاجسام المتحيزات المشهودة المعهودة، وأما الاشارة اليها فانه يشار اليها وتصعد وتنزل وتخرج من البدن وتسل منه كما جاءت بذلك النصوص ودلت عليه الشواهد العقلية:

فصل

وأما قول القائل، أين مسكنها من الجسد؟ فلا اختصاص للروح بشيء من الجسد بل هى سارية فى الجسد كما تسرى الحياة التى هى عرض فى جميع الجسد فان الحياة مشروطة بالروح فاذا كانت الروح فى الجسد

كان فيه حياة واذا فارقته الروح فارقته الحياة :

فصل

وأما قوله : أين مسكن العقل فيه ؟ فالعقل قائم بنفس الانسان التى تعقل ، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه كما قال تعالى « أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا »[1] وقيل لابن عباس : بماذا نلت العلم : قال « بلسان سؤول وقلب عقول » لكن لفظ « القلب » قد يراد به المضغة الصنوبرية الشكل التى فى الجانب الأيسر من البدن التى جوفها علقة سوداء كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم «ان فى الجسد مُضْغَةً اذا صَلُحَتْ صلح لها سائر الجسد واذا فَسَدَتْ فسد لها سائر الجسد» : وقد يراد بالقلب باطن الانسان مطلقا فان قلب الشيء باطنه كقلب الحنطة واللوزة والجوزة ونحو ذلك ومنه سمى القليب قليبا لانه اخرج قلبه وهو باطنه ،وعلى هذا فاذا اريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماغه أيضا ولهذا قيل : ان العقل فى الدماغ : كما يقوله كثير من الاطباء ونقل ذلك عن الامام احمد ويقال طائفة من أصحابه : ان أصل العقل فى القلب فاذا كمل انتهى الى الدماغ . والتحقيق أن الروح التى هى النفس لها تعلق بهذا وهذا ، وما يتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا لكن مبدأ الفكر والنظر فى الدماغ ومبدأ الارادة فى القلب والعقل يراد به العلم ويراد به العمل فالعلم والعمل الاختيارى أصله الارادة وأصل الارادة فى القلب ، والمريد لايكون مريدا الا بعد تصور المراد

[1] - الحج ٤٦

فلابد أن يكون القلب متصورا فيكون منه هذا وهذا، ويبتدىء ذلك من الدماغ وآثاره صاعدة الى الدماغ فمنه المبتدأ واليه الانتهاء، وكلا القولين له وجه صحيح؛ وهذا مقدار ما وسمته هذه الاوراق والله اعلم

تمت الرسالة والحمد لله اولا وآخراً وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه ومن كان بشرعه عاملاً :

نقلت هذه النسخة عن نسخة خطية مكتوب عليها هكذا : وقرئت على مصنفها شيخ الاسلام الامام العلامة تقى الدين أبى العباس احمد عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية رضى الله عنه . قرأها مسطر هذه الاحرف محمد بن عبدالله بن احمد سبط مرشق المالكى عفا الله عنه



قاعدة نافعة

فى صفة الكلام

لشيخ الاسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الامَام العَالم المتقن المحقق الزاهد الورع الحبر الكامل جامع الفضائل ومرجع الأفاضل معين السائل ومعين المسائل حجة الاسلام بركة الأنام ناصر السنة وقامع للبدعة تقى الدين ابو العبّاس احمد بن الشيخ الامَام العَالم فخرالدين عبد الحليم بن الشيخ الامَام العَالم العامل القطب مجد الدّين عبد السلام بن الشيخ ابى القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى أسبغ الله عليه ملابس نعمه الفاخرة: ورزقه فمل سعادتى الدنيا والآخرة:

(قاعدة نافعة)

(فصل) فى بيان ان القرآن كلام الله ليس شىء منه كلاماً لغيره لا جبريل ولا محمد وغيرهما قال الله تعالى (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُون إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ)[١] فأمره أن يقول نزله روح القدس من ربك بالحق فان الضمير فى قوله قل نزله عائد على ما فى قوله بما ينزل والمراد به القرآن كما يدل عليه سياق القرآن : وقوله (والله اعلم بما ينزل) فيه اخبار الله بانه انزله لكن ليس فى هذه اللفظة بيان ان روح القدس نزل به ولا انه منزل منه ولفظ الانزال فى القرآن قد يرد مقيدا بالانزال منه كنزول القرآن وقد يرد مقيدا بالانزال من السماء ويراد به العلو فيتناول نزول المطر من السحاب ونزول الملائكة من عند الله وغير ذلك وقد يرد مطلقا فلا يختص بنوع من الانزال بل ربما يتناول الانزال من رؤس الجبال كقوله (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ)[٢] والانزال من ظهور الحيوان كانزال الفحل الماء وغير ذلك : فقوله (نزله روح القدس من ربك بالحق) بيان لنزول جبريل به من الله فان روح القدس هنا هو جبريل بدليل قوله (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ)[٣] وهو الروح الأمين فى قوله (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)[٤] وفى قوله الأمين دلالة على انه مؤتمن على ما ارسل به لايزيد فيه ولا ينقص منه فان الرسول الخائن قد يغير الرسالة كما قال فى صفته فى الآية الأخرى (إِنَّهُ

١ ـ النحل ٩٨ـ١٠٢

٢ ـ الحديد ٢٥

٣ ـ البقرة ٩٧

٤ ـ الشعراء ١٩٢ـ١٩٥

لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين)[1] وفي قوله (منزل من ربك) دلالة على أمور منها بطلان قول من يقول انه كلام مخلوق خلقه في جسم من الأجسام المخلوقة كما هو قول الجهميين الذين قالوا بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية وغيرهم فان السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال ان القرآن مخلوق وان الله لايرى في الآخرة جهميا فان جهما اول من ظهرت عنه بدعة نفي الأسماء والصفات وبالغ في نفي ذلك فله في هذه البدعة مزية المبالغة في النفي والابتداء بكثرة اظهار ذلك والدعوة اليه وان كان جعد سبقه الى بعض ذلك فان الجعد بن درهم اول من احدث ذلك في الاسلام فضحى به خالد بن عبدالله القسري بواسطة يوم النحر وقال أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيرا ثم نزل فذبحه ولكن المعتزلة وان وافقوا جهما على بعض ذلك فهم يخالفوه في مسائل غير ذلك : كمسائل القدر والايمان وبعض مسائل الصفات ايضا ولا يبالغون في النفي مبالغته :

وجهم يقول ان الله تعالى لايتكلم او يقول انه يتكلم بطريق المجاز وأما المعتزلة فيقولون انه يتكلم حقيقة لكن قولهم في المعنى هو قول جهم وجهم ينفي الأسماء أيضا كما نفتها الباطنية ومن وافقهم من الفلاسفة واما جمهور المعتزلة فلا ينفون الأسماء والمقصود ان قوله (منزل من ربك)

[1] ـ التكوير ١٩-٢١

فيه بيان انه منزل من الله لامن مخلوق من المخلوقات ولهذا قال السلف منه بدا اى هو الذى تكلم به لم يبتد من غيره كما قالت الخلقية * ومنها ان قوله (منزل من ربك) فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبى من العقل الفعال او غيره كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة وهـذا القول أعظم كفرا وضلالا من الذى قبله * ومنها ان هذه الآية ايضا تبطل قول من يقول ان القرآن العربى ليس منزلا من الله بل مخلوق اما فى جبريل او محمد او جسم آخر غيرهما كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية الذين يقولون ان القرآن العربى ليس هو كلام الله وانما كلامه المعنى القائم بذاته والقرآن العربى خلق ليدل على ذلك المعنى ثم اما ان يكون خلق فى بعض الأجسام الهواء او غيره او الهمه جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي او الهمه محمد فعبّر عنه بالقرآن العربى او يكون اخذه جبريل من اللوح المحفوظ او غيره : فهذه الأقوال التى تقال تفريع على هذا القول فان هذا القرآن العربى لابد له من متكلم تكلم به أولا قبل ان يصل الينا وهـذا القول يوافق قول المعتزلة ونحوهم فى اثبات خلق القرآن العربى وكذلك التوراة العبرية ويفارقه من وجهين أحدهما ان اولئك يقولون ان المخلوق كلام الله وهؤلاء يقولون انه كلام الله لكن يسمونه كلام الله مجازا وهذا قول أئمتهم وجمهورهم : وقال طائفة من متأخريهم بل لفظ الكلام يقال على هذا وهذا بالاشتراك اللفظى لكن هذا ينقض أصلهم فى ابطال قيام الكلام بغير المتكلم به وهم مع هذا لا يقولون ان المخلوق كلام الله حقيقة كما تقوله المعتزلة مع قولهم انه كلامه حقيقة

بل يجعلون القرآن العربى كلاما لغير الله وهو كلامه حقيقة وهذا شر من قول المعتزلة وهذا حقيقة قول الجهمية ومن هذا الوجه : فقول المعتزلة أقرب وقول الآخرين هو قول الجهمية المحضة لكن المعتزلة فى المعنى يوافقون هؤلاء وانما ينازعونهم فى اللفظ الثانى ان هؤلاء يقولون لله كلام هو معنى قديم قائم بذاته والخلقية يقولون لايقوم بذاته كلام ومن هذا الوجه فالكلابية خير من الخلقية فى الظاهر : لكن جمهور الناس يقولون ان اصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا له كلاما حقيقة غير المخلوق فانهم يقولون انه معنى واحد هو الأمر والنهى والخبر فان عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا : ومنهم من قال هو خمس معان :

وجمهور العقلاء يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام والعقلاء الكثيرون لايتفقون على الكذب وجحد الضرورات من غير تواطؤ واتفاق كما فى مخبر الاخبار المتواترة : واما مع التواطئ فقد يتفقون على الكذب عمدا وقد يتفقون على جحد الضرورات وان لم يعلم كل منهم انه جاحد للضرورة ولو يفهم حقيقة القول الذى يعتقده لحسن ظنه فيمن يقلد قوله : ولحبه لنصر ذلك القول كما اتفقت النصارى والرافضة وغيرهم من الطوائف على مقالات يعلم فسادها بالضرورة:

وقال جمهور العقلاء نحن اذا اعربنا التورية والانجيل لم يكن معنى ذلك معنى القرآن بل معانى هذا ليست معانى هذا وكذلك معنى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)[1] ليس هو معنى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ)[2] ولا معنى آية الكرسى هو

١ ـ الاخلاص ١
٢ ـ المسد ١

معنى آية الدين: وقال اذا جوزتم ان تكون الحقائق المتنوعة شيئا واحدا فجوزوا ان يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة فاعترف أئمة لهذا القول بان هذا الالزام ليس لهم عنه جواب عقلى: ثم منهم من قال الناس فى الصفات اما مثبت لها قائل بالتعدد واما ناف لها واما اثباتها واتحادها فخلاف الاجماع وهذه طريقة القاضى ابى بكر وابى المعالى وغيرهما: ومنهم من اعترف بانه ليس له عنه جواب كابى الحسن الآمدى وغيره: والمقصود هنا ان هذه الآية تبين بطلان هذا القول كما تثبت بطلان غيره فان قوله (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ)[1] يقتضى نزول القرآن من ربه والقرآن اسم للقرآن العربى لفظه ومعناه بدليل قوله (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ)[2] وانما يقرأ القرآن العربى لا يقرأ معانيه المجردة: وايضا فضمير المفعول فى قوله نزله عائد على ما فى قوله (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ)[3] فالذى انزله الله هو الذى نزله روح القدس فاذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربى لزم ان يكون نزله من الله فلا يكون شىء منه نزله من عين من الأعيان المخلوقة ولا نزله من نفسه وايضا فانه قال عقيب هذه الآية (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)[4] وهم كانوا يقولون انما يعلمه هذا القرآن العربى بشر لم يكونوا يقولون انما يعلمه بشر معانيه فقط بدليل قوله (لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) فانه تعالى أبطل قول الكفار بان

١ - النحل ١٠٢
٢ - النحل ٩٨
٣ - النحل ١٠١
٤ - النحل ١٠٣

لسان الذى الحدوا اليه بان اضافوا اليه هذا القرآن فجعلوه هو الذى يعلم محمدا القرآن لسان أعجمى والقرآن لسان عربى مبين وعبر عن هذا المعنى بلفظ يلحدون لما تضمن من معنى ميلهم عن الحق وميلهم الى هذا الذى أضافوا اليه القرآن فان لفظ الالحاد يقتضى ميلا عن شيء الى شيء بباطل فلو كان الكفار قالوا يعلمه معانيه فقط لم يكن هذا ردا لقولهم فان الانسان قد يتعلم من الأعجمى شيئا بلغة ذلك الأعجمى ويعبر عنه هو بعبارته وقد اشتهر فى التفسير ان بعض الكفار كانوا يقولون هو تعلمه من شخص كان بمكة أعجمى قيل انه كان مولى لابن الحضرمى واذا كان الكفار جعلوا الذى يعلمه ما نزل به روح القدس بشرا والله ابطل ذلك بان لسان ذلك أعجمى وهذا لسان عربى مبين علم ان روح القدس نزل باللسان العربى وان محمدا لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح القدس واذا كان روح القدس نزل به من الله علم انه سمعه منه لم يؤلفه هو وهذا بيان من الله ان القرآن الذى هو اللسان العربى سمعه روح القدس من الله ونزل به منه : ونظير هذه الآية قوله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ)[1] الى قوله (مُقْتَرِفُونَ) وكذلك قوله (وَهُوَ الَّذِى أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ)[2] والكتاب اسم للقرآن العربى بالضرورة والاتفاق فان الكلابية او بعضهم يفرق بين كلام الله وكتاب الله فيقول كلامه هو المعنى القائم بالذات وهو غير مخلوق وكتابه هو المنظوم المؤلف العربى

١ - الأنعام ١١٢-١١٣
٢ - الأنعام ١١٤

وهو مخلوق والقرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة والله تعالى قد سمى نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتابا وكلاما فقال تعالى (أَلر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ)[1] وقال (طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ)[2] وقال(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ)[3] الى قوله تعالى (قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى)[4] فبين ان الذى سمعوه هو القرآن وهو الكتاب : وقال (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)[5] وقال (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ)[6] وقال (يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ)[7] وقال (وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ)[8] وقال (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ)[9] لكن لفظ الكتاب قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام وقد يراد به مايكتب فيه كما قال تعالى(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ)[6] وقال(وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً)[10] والمقصود هنا ان قوله وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا يتناول نزول القرآن العربى على كل قول : وقد اخبر (ان الذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) اخبار مستشهد بهم لامكذب لهم وقال انهم يعلمون ذلك ولم يقل انهم يظنونه او يقولونه والعلم لايكون الاحقا مطابقا للمعلوم بخلاف القول والظن الذي ينقسم الى حق وباطل فعلم ان القرآن العربى منزل من الله لامن الهواء ولا من اللوح ولامن جسم آخر ولامن جبريل ولامن محمد ولا

١ ـ الحجر ١
٢ ـ النمل ١
٣ ـ الأحقاف ٢٩
٤ ـ الأحقاف ٣٠
٥ ـ البروج ٢١ـ٢٢
٦ ـ الواقعة ٧٧ـ٧٨
٧ ـ البينة ٢ـ٣
٨ ـ الطور ١ـ٣
٩ ـ الأنعام ٧
١٠ ـ الاسراء ٣

غيرهما واذا كان اهل الكتب يعلمون ذلك فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان اهل الكتاب المقرون بذلك خيرا منه من هذا الوجه وهذا لا ينافى ماجاء عن ابن عباس وغيره من السلف فى تفسير قوله (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)[١] انزل الى بيت العزة فى السماء الدنيا ثم انزله بعد ذلك منجما مفرقا بحسب الحوادث ولا ينافى انه مكتوب فى اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)[٢] وقال تعالى (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)[٣] وقال تعالى (كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ)[٤] وقال تعالى (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ)[٥] فان كونه مكتوبا فى اللوح المحفوظ: وفى صحف مطهرة بايدى الملائكة لاينافى كون جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل ان يرسل به جبريل او بعد ذلك واذا كان قد انزله مكتوبا الى بيت العزة جملة واحدة ليلة القدر فقد كتبه كله قبل ان ينزله والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون وهو سبحانه قد قدر مقادير الخلائق وكتب أعمال العباد قبل ان يعملوها كما ثبت ذلك فى الكتاب والسنة وآثار السلف ثم انه يأمر الملائكة بكتابتها بعد مايعملونها فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنه فلا يكون بينهما تفاوت هكذا قال ابن عباس وغيره من السلف وهو حق فاذا كان مايخلقه بائنا عنه قد كتبه قبل ان يخلقه فكيف

١ ـ القدر ١
٢ ـ البروج ٢١ـ٢٢
٣ ـ الواقعة ٧٧ـ٧٩
٤ ـ عبس ١١ـ١٦
٥ ـ الزخرف ٤

نستبعد ان يكتب كلامه الذي يرسل به ملائكته قبل ان يرسلهم : ومن قال ان جبريل اخذ القرآن من الكتاب لم يسمعه من الله كان هذا باطلا من وجوه : منها ان يقال فالله سبحانه وتعالى قد كتب التوراة لموسى بيده فبنو اسرائيل اخذوا كلام الله من الكتاب الذي كتبه هو سبحانه وتعالى فيه فان كان محمّد أخذه عن جبريل وجبريل عن الكتاب كان بنو اسرائيل اعلا من محمد بدرجة : وكذلك من قال انه القى الى جبريل المعاني وان جبريل عبر عنها بالكلام العربى فقوله يستلزم ان يكون جبريل الهمه الهاما وهذا الالهام يكون لآحاد المؤمنين: وكما قال تعالى (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي)[1] وقال (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ)[2] وقد أوحى الى سائر النبيين فيكون هذا الوحي الذي يكون لآحاد الانبياء والمؤمنين أعلى من أخذ محمد القرآن عن جبريل لان جبريل الذي علمه لمحمد هو بمنزلة الواحد من هؤلاء ولهذا زعم ابن عربى ان خاتم الأولياء أفضل من خاتم الانبياء وقال لأنه يأخذ من المعدن الذي يوحى به الى الرسول فجعل اخذه واخذ الملك الذي جاء الى الرسول من معدن واحد وادعى ان اخذه عن الله أعلى من اخذ الرسول للقرآن: ومعلوم ان هذا من أعظم الكفر وان هذا القول من جنسه : وايضا فالله تعالى يقول (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ)[3] الى قوله (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)[4] ففضل موسى بالتكليم على غيره ممن اوحى اليه وهذا يدل على أمور على

١ ـ المائدة ١١١
٢ ـ القصص ٧
٣ ـ النساء ١٦٣
٤ ـ النساء ١٦٤

ان الله يكلم عبده تكليما زائدا عن الوحى الذى هو قسيم التكليم الخاص فان الخاص لفظ التكليم والوحى كل منهما ينقسم الى عام وخاص فالتكليم العام هو المقسوم فى قوله (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً)[1] والتكليم المطلق هو قسيم الوحى الخاص ليس هو قسما منه وكذلك لفظ الوحى قد يكون عاما فيدخل فيه التكليم الخاص كما فى قوله لموسى (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى)[2] وقد يكون قسيم التكليم الخاص كما فى سورة الشورى وهذا يبطل قول من يقول الكلام معنى واحد قائم بالذات فانه حينئذ لافرق بين التكليم الذى خص به موسى والوحى العام الذى يكون لآحاد العباد : ومثل هذا قوله فى الآية الأخرى (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ)[1] فانه فرق بين الايحاء وبين التكليم من وراء الحجاب وبين ارسال رسول يوحى باذنه ما يشاء فدل على ان التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى أمر غير الايحاء : وأيضا فقوله « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم »[3] وقوله « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم »[4] وقوله « حم تنزيل من الرحمن الرحيم »[5] وأمثال ذلك يدل على انه منزل من الله لا من غيره : وكذلك قوله « بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ »[6] فانه يدل على اثبات ان ما أنزل اليه من ربه وانه مبلغ مأمور بتبليغ ذلك : وأيضا فهم يقولون انه معنى واحد فان كان

١ ـ الشورى ٥١
٢ ـ طه ١٣
٣ ـ الزمر ١
٤ ـ غافر ٢
٥ ـ فصلت ٢
٦ ـ المائدة ٦٧

موسى سمع جميع المعنى فقد سمع جميع كلام الله وان سمع بعضه فقد تبعض وكلاهما ينقض قولهم فانهم يقولون انه معنى واحد لا يتعدد ولا يتبعض فان كان مايسمعه موسى والملائكة هو ذلك المعنى كله كان كل منهم علم جميع كلام الله وكلامه متضمن لجميع خبره وجميع أمره فيلزم أن يكون كل واحد ممن كلمه الله وأنزل عليه شيئاً من كلامه عالماً بجميع أخبار الله وأوامره وهذا معلوم الفساد بالضرورة: وان كان الواحد من هؤلاء انما يسمع بعضه فقد تبعض كلامه وذلك يناقض قولهم :وأيضا فقوله « وكلم الله موسى تكليما »[1] وقوله « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه »[2] وقوله « وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأيمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا »[3] وقوله « فَلَمَّا أتاهَا نُودِيَ يا مُوسَى إنِّي أنا رَبُّكَ فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إنَّكَ بِالوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى وَأنا اخْتَرْتُكَ فاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى »[4] الآيات دليل على تكليمٍ يسمعه موسى والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة: ومن قال انه يسمع فهو مكابر : ودليل على انه ناداه والنداء لا يكون الا صوتاً مسموعاً ولا يعقل في لغة العرب لفظ النداء لغير صوت مسموع لا حقيقة ولا مجازاً وأيضا فقد قال تعالى « فلَمَّا جاءَها نُودِيَ أنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ »[5] وقوله « فَلَمَّا أتاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الوَادِ الأيمَنِ فِي البُقْعَةِ المُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أنْ يا مُوسَى إنِّي أنا اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ »[6] وقال « هل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى »[7] وقال « فلما أتاها نودي يا موسى انى أنا ربك »[8] وفي

١ ـ النساء ١٦٤
٢ ـ الأعراف ١٤٣
٣ ـ مريم ٥٢
٤ ـ طه ١١-١٣
٥ ـ النمل ٨
٦ ـ القصص ٣٠
٧ ـ النازعات ١٥-١٦
٨ ـ طه ١١-١٢

هذا دليل على انه حينئذ نودي ولم يناد قبل ذلك :ولما فيها من معنى الظرف كما فى قوله « وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا »[١] ومثل هذا قوله « ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين »[٢] (ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون »[٣] فانه وقت النداء بظرف محدود فدل على ان النداء يقع فى ذلك الحين دون غيره من الظروف وجعل الظرف للنداء لا لسمع النداء : ومثل هذا قوله تعالى « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة »[٤] وقوله « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم »[٥] وأمثال ذلك مما فيه توقيت بعض أقوال الرب بوقت معين فان الكلابية ومن وافقهم من أصحاب الأئمة الأربعة يقولون انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته بل الكلام المعين لازم لذاته كلزوم الحياة لذاته :

ثم من هؤلاء من يقول انه معنى واحد لان الحروف والأصوات متعاقبة يمتنع أن تكون قديمة:ومن قال بل الحروف والأصوات قديمة الأعيان وانها مترتبة فى ذاتها متقاربة فى وجودها لم تزل ولا تزال قائمة بذاته والنداء الذى سمعه موسى قديم أزلى لم يزل ولا يزال : ومنهم من قال بل الحروف قديمة الأعيان بخلاف الأصوات وكل هؤلاء يقولون ان التكليم والنداء ليس الا مجرد خلق ادراك المخلوق بحيث يسمع مالم يزل ولايزال لاأنه يكون هناك كلام يتكلم الله به بمشيئته وقدرته ولا تكليم بل تكليمه عندهم جعل العبد سامعاً لما كان موجوداً قبل سمعه

١ ـ الجن ١٩
٢ ـ القصص ٦٥
٣ ـ القص ٦٢
٤ ـ البقرة ٣٠
٥ ـ البقرة ٣٤

بمنزلة ماجعل الأعمى بصيراً لما كان موجودا قبل رؤيته من غير احداث شئ منفصل عن الأعمى: فعندهم لما جاء موسى لميقات ربه سمع النداء القديم لا انه حينئذ نودى : ولهذا يقولون انه يسمع كلامه لخلقه بدل قول الناس إنه يكلم خلقه وهؤلاء يردون على الخلقية الذين يقولون القرآن مخلوق ويقولون عن أنفسهم أنهم أهل السنة الموافقون للسلف الذين قالوا ان القرآن كلام الله غير مخلوق وليس قولهم قول السلف لكن قولهم أقرب الى قول السلف من وجه وقول الخلقية أقرب الى قول السلف من وجه . أما كون قولهم أقرب فلأنهم يثبتون لله كلاماً قائماً بذاته بنفس الله وهذا قول السلف بخلاف الخلقية الذين يقولون ليس كلامه الا ما خلقه فى غيره فان قول هؤلاء مخالف لقول السلف : وأما كون قول الخلقية أقرب فلأنهم يقولون ان الله يتكلم بمشيئته وقدرته وهذا قول السلف وهؤلاء عندهم لا يقدر الله على شئ من كلامه وليس كلامه بمشيئته واختياره بل كلامه عندهم كحياته وهم يقولون الكلام عندنا صفة ذات لا صفة فعل : والخلقية يقولون صفة فعل لا صفة ذات : ومذهب السلف انه صفة ذات وفعل معا فكل منهما موافق السلف من وجه دون وجه واختلافهم فى كلام الله تعالى شبيه اختلافهم فى رضاه وغضبه وارادته وكراهته وحبه وبغضه وفرحه وسخطه ونحو ذلك : فان هؤلاء يقولون هذه كلها أمور مخلوقة بائنة عنه ترجع الى الثواب والعقاب: والآخرون يقولون بل هذه كلها أمور قديمة الأعيان قائمة بذاته: ثم منهم من يجعلها كلها تعود الى ارادة واحدة العين متعلقة بجميع المخلوقات : ومنهم من

يقول بل هى صفات متعددة الأعيان لكن يقول كل واحدة واحدة العين قديمة قبل وجود مقتضياتها كما قالوا مثل ذلك فى الكلام والله تعالى يقول «ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبعوا ما أسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضوَانَهُ»[1] فأخبر أن أفعالهم أسخطته: وقال تعالى «فَلَمَّا آسَفُونا انتَقَمْنَا مِنهُم»[2] أى أغضبونا: وقال تعالى «ادعُونِى أستجِبْ لَكُم»[3] الى أمثال ذلك مما بين انه سخط على الكفار لما كفروا ورضى عن المؤمنين لما آمنوا: ونظير هذا اختلافهم فى أفعاله ومسائل القدر فان المعتزلة يقولون انه يفعل لحكمة مقصودة وارادة الاحسان الى العباد لكن لا يثبتون لفعله حكمة تعود اليه: وأولئك يقولون لا يفعل لحكمة ولا لمقصود أصلا: فأولئك أثبتوا حكمة لكن لا تقوم به: وهؤلاء لا يثبتون له حكمة ولا مقصودا يتصف به والفريقان لا يثبتون له حكمة ولا مقصودا يعود اليه وكذلك فى الكلام أولئك أثبتوا كلاما هو فعله لا يقوم به: وهؤلاء يقولون ما لا يقوم به لا يعود حكمته اليه والفريقان يمنعون ان يقوم به حكمة مرادة له كما يمنع الفريقان ان يقوم به كلام وفعل يريده: وقول أولئك أقرب الى قول السلف: والفقهاء اذا أثبتوا الحكمة والمصلحة فى أحكامه وأفعاله أثبتوا كلاما يتكلم به بقدرته ومشيئته: وقول هؤلاء أقرب الى السلف اذا اثبتوا الصفات وقالوا لا يوصف بمجرد المخلوق المنفصل عنه الذى لم يقم به اصلا ولا يعود اليه حكم من شىء لم يقم به فلا يكون متكلما بكلام لم يقم به ولا يكون حكيما كريما ورحيما بحكمة ورحمة لم تقم به كما

١ - محمد ٢٨
٢ - الزخرف ٥٥
٣ - غافر ٦٠

لايكون عليما بعلم لم يقم به وقديرا بقدرة لم تقم به ولا يكون محبا راضيا غضبانا بحب ورضى وعضب لم يقم به فكل من المعتزلة والأشعرية فى مسائل كلام الله وافعال الله وافقوا السلف والأئمة من وجه وخالفوهم من وجه وليس قول احدهما هو قول السلف دون الآخر لكن الأشعرية فى جنس مسائل الصفات بل وسائر صفاته : والقدر أقرب الى قول السلف دون الآخر والأئمة من المعتزلة :

فان قيل فقد قال تعالى (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)[١] وهذا يدل على هذا ان الرسول أحدث الكلام العربى *قيل هذا باطل وذلك لأن الله ذكره فى القرآن فى موضعين فالرسول فى أحد الموضعين محمد والرسول فى الآية الأخرى جبريل قال تعالى فى سورة الحاقة (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ)[٢] فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم :وقال فى سورة التكوير (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى العَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ)[٣] فالرسول هنا جبريل فلو كان أضافه الى الرسول لكونه أحدث حروفه أو أحدث منه شيئاً لكان الخبران متناقضين فانه ان كان أحدهما هو الذى أحدثها امتنع ان يكون الآخر هو الذى أحدثها وأيضا فانه قال لقول رسول كريم ولم يقل لقول ملك ولا نبى ولفظ الرسول يستلزم مرسلا له

١ ـ الحاقة ٤٠
٢ ـ الحاقة ٤٠ـ٤٣
٣ ـ التكوير ١٩ـ٢١

فدل ذلك على أن الرسول مبلغ له عن مرسله لا انه أنشأ منه شيئا من جهة نفسه : وهذا يدل على انه أضافه الى الرسول لانه بلغه وأداه لا لانه أنشأ منه شيئا ولا ابتدأه وأيضا فان الله قد كفر من جعله قول البشر بقوله (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ)[1] ومحمد بشر فمن قال انه قول محمد فقد كفر ولا فرق بين ان يقول هو قول بشر أو جنى أو ملك فمن جعله قولا لأحد من هؤلاء فقد كفر: ومع هذا فقد قال تعالى (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ)[2] فجعله قول الرسول البشرى مع تكفير من يقول انه قول البشر فعلم ان المراد بذلك ان الرسول بلغه عن مرسله لا انه قول له من تلقاء نفسه وهو كلام الله الذى أرسله كما قال تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ)[3] فالذي بلغه الرسول هو كلام الله لا كلامه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالمواسم ويقول «الا رجل يحملني الى قومه لأبلغ كلام ربي» رواه أبو داود وغيره والكلام كلام من قاله مبتدئا لا كلام من قاله مبلغا مؤديا وموسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة والمؤمنون يسمعه بعضهم من بعض فسماع موسى مطلق بلا واسطة وسماع الناس سماع مقيد بواسطة كما قال تعالى (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا

١ ـ المدثر ١٨ـ٢٥
٢ ـ الحاقة ٤٠ـ٤١
٣ ـ التوبة ٦

فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ)[1] ففرق بين التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى وبين التكليم بواسطة الرسول كما كلم الأنبياء بارسال رسول اليهم والناس يعلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلام تكلم به بحروفه ومعانيه بصوته صلى الله عليه وسلم ثم المبلغون عنه يبلغون كلامه بحركاتهم وأصواتهم كما قال صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه » فالمستمع منه يبلغ حديثه كما سمعه لكن بصوت نفسه لا بصوت الرسول فالكلام كلام الرسول تكلم به بصوته والمبلغ بلغ كلام الرسول بصوت نفسه واذا كان هذا معلوما فيمن يبلغ كلام المخلوق فكلام الخالق أولى بذلك: ولهذا قال تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ)[2] وقال النبي صلى الله عليه وسلم «زينوا القرآن بأصواتكم » فجعل الكلام كلام البارى وجعل الصوت الذى يقرأ به العبد صوت القارئ وأصوات العباد ليست هى عين الصوت الذى ينادى الله به ويتكلم به كما نطقت النصوص بذلك بل ولا مثله فان الله ليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا أفعاله فليس علمه مثل علم المخلوقين ولا قدرته مثل قدرتهم ولا كلامه مثل كلامهم ولا نداؤه مثل ندائهم ولا صوته مثل أصواتهم فمن قال عن القرآن الذى يقرؤه المسلمون ليس هو كلام الله أو هو كلام غيره فهو ملحد مبتدع ضال: ومن قال ان أصوات العباد والمداد الذى يكتب به القرآن قديم أزلى فهو ملحد مبتدع ضال بل هذا القرآن وهو كلام الله وهو مثبت فى

١ ـ الشورى ٥١
٢ ـ التوبة ٦

المصاحف وهو كلام الله مبلغا عنه مسموعا من القراء ليس هو مسموعا منه والانسان يرى الشمس والقمر والكواكب بطريق المباشرة ويراها فى ماء أو مرآة فهذه رؤية مفيدة بالواسطة وتلك رؤية مطلقة بطريق المباشرة وكذلك الكلام لم يسمع من المتكلم به بطريق المباشرة ويسمع المبلغ عنه بواسطة والمقصود بالسماع هو كلامه فى الموضعين كما ان المقصود فى الرؤية هو المرئى فى الموضعين

فمن عرف ما بين الحالين من الاجتماع والافتراق والاختلاف والاتفاق زالت عنه الشبهة التى تصيب كثيراً من الناس فى هذا الباب فان طائفة قالت هذا المسموع كلام الله والمسموع صوت العبد وصوته مخلوق فكلام الله مخلوق وهذا جهل فانه مسموع من المبلغ ولا يلزم اذا كان صوت المبلغ مخلوقاً ان يكون نفس الكلام مخلوقاً * وقالت طائفة هذا المسموع صوت العبد وهو مخلوق والقرآن ليس بمخلوق فلا يكون هذا المسموع كلام الله وهذا جهل فان المخلوق هو الصوت لا نفس الكلام الذى يسمع من المتكلم به ومن المبلغ عنه * وطائفة قالت هذا كلام الله وكلام الله غير مخلوق فيكون هذا الصوت غير مخلوق وهذا جهل فانه اذا قيل هذا كلام الله فالمشار اليه الكلام من حيث هو وهو الثابت اذا سمع من الله واذا سمع من المبلغ عنه واذا قيل المسموع انه كلام الله فهو كلام الله مسموعاً من المبلغ عنه لا مسموعاً منه فهو مسموع بواسطة صوت العبد وصوت العبد مخلوق: وأما كلام الله نفسه فهو غير مخلوق حيث ما تصرف وهذه نكت قد بسط الكلام فيها فى غير هذا الموضع:

فصل

فان قيل ما منشأ هـذا النزاع والاشتباه والتفرق والاختلاف *
قيـل منشأه هو الكلام الذى ذمه السلف وعابوه وهو الكلام المشتبه المشتمل على حق و باطل فيه ما يوافق العقل والسمع وفيه مايخالف العقل والسمع فيأخذ هؤلاء جانب النفى المشتمل على نفى الحق والباطل وهؤلاء جانب الاثبات المشتمل على اثبات حق و باطل و باطله هو المخالف للكتاب والسنة واجماع السلف فكل كلام خالف ذلك فهو باطل ولا يخالف ذلك الا كلام مخالف للعقل والسمع وذلك انه لما تناظروا فى مسئلة حدوث العالم واثبات الصانع فاستدلت الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من طوائف أهل الكلام على ذلك بأن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ثم ان المستدلين بذلك على حدوث الأجسام قالوا ان الأجسام لا تخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ثم تنوعت طرقهم فى المقدمة الأولى فتارة يثبتونها بأن الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وتارة يثبتونها بأن الاجسام لا تخلو عن الاجتماع والافتراق وهما حادثان وتارة يثبتونها بأن الاجسام لاتخلو عن الأكوان الأربعة الاجتماع والافتراق والحركة والسكون وهى حادثة: وهذه طرق المعتزلة ومن وافقهم على ان الأجسام قد تخلو عن بعض أنواع الأعراض وتارة يثبتونها بأن الجسم لا يخلو من كل جنس من الأعراض عن عرض منه ويقولون القابل للشىء لايخلو عنه وعن ضده ويقولون ان الاعراض

يمتنع بقاؤها لان العرض لا يبقى زمانين وهذه الطريقة هى التى اختارها الآمدي وزيف ما سواها وذكر ان جمهور اصحابه اعتمدوا عليها وقد وافقهم عليها طائفة من الفقهاء من أصحاب الأئمة الأربعة كالقاضى أبى يعلى وأبى المعالى الجوينى وأبى الوليد الباجى وأمثالهم : وأما الهشامية والكرامية وغيرهم من الطوائف الذين لا يقولون بحدوث كل جسم ويقولون ان القديم تقوم به الحوادث فهؤلاء اذا قالوا بأن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث كما هو قول الكرامية وغيرهم موافقة للمعتزلة فى هذا الأصل فانهم يقولون الجسم القديم يخلو عن الحوادث بخلاف الاجسام المحدثة فانها لا تخلو عن الحوادث والناس متنازعون فى السكون هل هو أمر وجودى أو عدمى فمن قال انه وجودى قال الجسم الذى لا يخلو عن الحركة والسكون اذا انتفت عنه الحركة قام به السكون الوجودي وهذا قول من يحتج بتعاقب الحركة والسكون على حدوث المتصف بذلك ومن قال انه عدمىّ لم يلزم من عدم الحركة عن المحل ثبوت سكون وجودى فمن قال انه تقوم به الحركة والحوادث بعد ان لم يكن مع قوله بامتناع تعاقب الحوادث كما هو قول الكرامية وغيرهم ويقولون اذا قامت به الحركة لم يعدم بفنائها سكون وجودى بل ذلك عندهم بمنزلة قولهم مع المعتزلة والأشعرية وغيرهم انه يفعل بعد ان لم يكن فاعلا ولا يقولون ان عدم الفعل أمر وجودى كذلك الحركة عند هؤلاء وكان كثير من أهل الكلام يقولون ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث أو ما لا يسبق الحوادث فهو حادث بناء على أن

هذه مقدمة ظاهرة فان ما لا يسبق الحادث فلابد ان يقارنه أو يكون بعده وما قارن الحادث فهو حادث وما كان بعده فهو حادث:

وهذا الكلام مجمل فاذا اريد مالا يخلو عن الحادث المعين او مالا يسبق الحادث المعين فهو حق بلا ريب ولا نزاع فيه وكذلك اذا اريد بالحادث جملة ماله اول او ماكان بعده العدم ونحو ذلك واما اذا اريد بالحوادث الأمور التى تكون شيئا بعد شيء لا الى أول: وقيل انه لا يخلو عنها ومالم يخل عنها فهو حادث لم يكن ذلك ظاهراً ولا بينا بل هذا مقام حار فيه كثير من الأفهام وكثر فيه النزاع والخصام ولهذا صار المستدلون بقولهم مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث يعلمون ان هذا الدليل لايتم الا اذا اثبتوا امتناع حوادث لأول لها فذكروا فى ذلك طرقا قد تكلمنا عليها فى غير هذا الموضع:

وهذا الأصل تنازع الناس فيه على ثلاثة أقوال * فقيل مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث و بامتناع حوادث لأول لها مطلقا وهذا قول المعتزلة ومن اتبعهم من الكرامية والاشعرية ومن دخل فى ذلك من الفقهاء وغيرهم * وقيل بل يجوز دوام الحوادث مطلقا وليس كل ماقارن حادثا بعد حادث لا الى اول يجب ان يكون حادثا بل يجوزان يكون قديما سواء كان واجبا بنفسه او بغيره وربما عبر عنه بالعلة والمعلول والفاعل والمفعول ونحو ذلك وهذا قول الفلاسفة القائلين بقدم الأفلاك كارسطو واتباعه مثل ثامسطيوس : والاسكندر الافريديوسى : وبرقليس والفارابى وابن سينا وامثالهم :

واما جمهور الفلاسفة المتقدمين على ارسطو فلم يكونوا يقولون بقدم الافلاك: ثم الفلاسفة من هؤلاء وهؤلاء متنازعون في قيام الصفات والحوادث بواجب الوجود على قولين معروفين لهم واثبت ذلك قول كثير من الأساطين القدماء وبعض المتأخرين كابي البركات صاحب المعتبر وغيره كما بسطت اقوالهم فى غير هذا الموضع وقيل بل ان كان المستلزم للحوادث ممكنا بنفسه وانه هو الذى يسمى مفعولا ومعلولا ومربوبا ونحو ذلك من العبارات وجب ان يكون حادثا وان كان واجبا بنفسه لم يجب ان يكون حادثا وهذا قول أئمة أهل الملل واساطين الفلاسفة وهو قول جماهير أهل الحديث وصاحب هذا القول يقول مالا يخلو عن الحوادث وهو ممكن بنفسه فهو حادث او مالا يخلو عن الحوادث وهو معلول او مفعول او مبتدع او مصنوع فهو حادث لانه اذا كان مفعولا مستلزما للحوادث امتنع ان يكون قديما فان القديم المعلول لايكون قديما الا اذا كان له موجب قديم بذاته يستلزم معلوله بحيث يكون معه ازليا لايتأخر عنه وهذا ممتنع فان ما استلزم الحوادث يمتنع ان يكون فاعلا موجبا بذاته يستلزم معلوله فى الازل فان الحوادث المتعاقبة شيئا بعد شيء لايكون مجموعها فى الأزل ولا شيء منها أزليا بل الأزلى هو دوامها واحدا بعد واحد والموجب بذاته والمستلزم لمعلوله فى الأزل لا يكون معلوله شيئا بعد شيء سواء كان صادرا عنه بواسطة أو بغير واسطة فان ما كان واحدا بعد واحد يكون متعاقبا حادثا شيئا بعد شيء: فيمتنع ان يكون معلولا مقارنا لعلته في الازل

بخلاف ما اذ قيل ان المقارن لذلك هو الواجب بذاته الذى يفعل شيئا بعد شيء فانه على هذا التقدير لا يكون فى الأزل موجبا بذاته ولا علة تامة لشيء من العالم فلا يكون معه فى الأزل من المخلوقات شيء لكن فاعليته للمفعولات تكون شيئا بعد شيء وكل مفعول يوجد عند وجود كمال فاعليته اذ المؤثر التام المستلزم لجميع شروط التأثير لا يتخلف عنه اثره اذ لو لم يكن مؤثرا تاما فوجود الأثر يستلزم وجود المؤثر التام ووجود المؤثر التام يستلزم وجود الأثر فليس فى الأزل مؤثر تام فليس مع الله شيء من مخلوقاته قديم بقدمه والأزل ليس هو حدا محدودا ولا وقتا معينا بل كل مايقدره العقل من الغاية التى ينتهى اليها فالأزل قبل ذلك كما هو قبل ماقدره فالأزل لاأول له كما ان الأبد لا آخر له : وفى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « انت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء » فلو قيل انه مؤثر تام فى الأزل لشيء من الأشياء لزم ان يكون مقارنا له دائما وذلك ينافى كونه مفعولا له وانما يصح مثل هذا فى الصفة اللازمة للموصوف فانه اذا قيل الذات مقتضى تام للصفة كان المعنى ان الذات مستلزمة للصفة ليس المراد بذلك ان الذات مبتدعة للصفة فانه اذا تصور معنى المبتدع امتنع فى المقارن بصريح المعقول سواء سمى علة فاعلة او خالقا او غير ذلك وامتنع ان يقوم بالأثر شيء من الحوادث لان كل حادث يحدث لا يحدث الا اذا وجد مؤثره التام عند حدوثه وان كانت ذات المؤثرة موجودة قبل ذلك لكن لا بد من كمال وجود

شروط التأثير عند وجود الأثر والا لزم الترجيح بلا مرجح وتخلف المعلول عن العلة التامة ووجود الممكن بدون المرجح التام: وكل هذا ممتنع فامتنع ان يكون مؤثر الشيء من الحوادث فى الأزل وامتنع ان يكون مؤثرا فى الأزل فيما يستلزم الحوادث لان وجود الملزوم بدون اللازم محال فامتنع ان يكون المفعول المستلزم للحوادث قديما

واذا قيل ذاته مقتضية للحادث الثاني بشرط انقضاء الاول * قيل فليس هو مقتضيا لشيء واحد دائما فلا يكون معه قديم من مفعولاته * وقيل ايضا هذا انما يكون اذا كانت لذاته احوال متعاقبة تختلف المفعولات لاجلها فاما اذا قدر ان لا يقوم بها شيء من الاحوال المتعاقبة بل حالها عند وجود الحادث كحالها قبله كان امتناع فعله للحوادث المتعاقبة البائنة أعظم من امتناع فعله لحادث معين فاذا كان الثانى ممتنعا عندهم فالاول أولى بالامتناع ومتى كان للذات أحول متعاقبة تقوم بها بطلت كل حجة لهم على قدم شيء من العالم وامتنع أيضا قدم شي من العالم اذا كان المفعول لابد له من فعل حادث والفعل الحادث لا يكون مفعوله الا حادثا وهذا مبسوط فى غير هذا الموضع :

فصل

واذا عرف الأصل الذي منه تفرع نزاع الناس فى مسئلة كلام الله فالذين قالوا مالا يسبق الحوادث فهو حادث مطلقا تنازعوا فى كلام الله تعالى: فقال كثير من هؤلاء الكلام لا يكون الا بمشيئة المتكلم وقدرته

فيكون حادثا كغيره من الحوادث ثم قالت طائفة والرب لا يقوم به الحوادث فيكون الكلام مخلوقا في غيره فجعلوا كلامه مخلوقا من المخلوقات ولم يفرقوا بين قال وفعل : وقد علم ان المخلوقات لا يتصف بها الخالق فلا يتصف بما يخلقه فى غيره من الألوان والأصوات والروائح والحركة والعلم والقدرة والسمع والبصر فكيف يتصف بما يخلقه فى غيره من الكلام ولو جاز ذلك لكان ما يخلقه من انطاق الجمادات كلامه ومن علم انه خالق كلام العباد وافعالهم يلزم ان يقول كل كلام فى الوجود فهو كلامه كما قال بعض الاتحادية :

وكل كلام فى الوجود كلامه * سواء علينا نثره ونظامه

وهذا قول الجهمية والنجارية والضرارية وغيرهم فان هؤلاء يقولون انه خالق افعال العباد وكلامهم مع قولهم ان كلامه مخلوق فيلزمهم هذا : وأما المعتزلة فلا يقولون ان الله خالق افعال العباد لكن الحجة توجب القول بذلك: وقالت طائفة بل الكلام لا بد ان يقوم بالمتكلم ويمتنع ان يكون كلامه مخلوقا فى غيره وهو متكلم بمشيئته وقدرته فيكون كلامه حادثا بعد ان لم يكن لامتناع حوادث لا اول لها وهذا قول الكرامية وغيرهم ثم من هؤلاء من يقول كلامه كله حادث لا محدث : ومنهم من يقول هو حادث ومحدث : وقال كثير من هؤلاء الذين يقولون بامتناع حوادث لا أول لها مطلقا الكلام لازم لذات الرب كلزوم الحياة ليس هو متعلقا بمشيئته وقدرته بل هو قديم كقدم الحياة اذ لو قلنا انه بقدرته ومشيئته لزم ان يكون حادثا وحينئذ فيلزم ان يكون مخلوقا او قائما

بذات الرب فيلزم قيام الحوادث به وذلك يستلزم تسلسل الحوادث لان القابل للشيء لايخلو عنه وعن ضده قالوا وتسلسل الحوادث ممتنع اذا التفريع على هذا الأصل: ثم ان هؤلاء لماقالوا بقدم عين الكلام تنازعوا فقالت طائفة القديم لايكون حروفاولا أصواتا لان الصوت يستحيل بقاؤه كما يستحيل بقاء الحركة وما امتنع بقاؤه امتنع قدم عينه بطريق الأولى والأخرى فيمتنع قدم شيء من الأصوات المعينة كما يمتنع قدم شيء من الحركات المعينة لان تلك لاتكون كلاماً الا اذا كانت متعاقبة والقديم لايكون مسبوقا بغيره فلو كانت الميم من بسم الله قديمة مع كونها مسبوقة بغيرها لكان القديم مسبوقابغيره وهذا ممتنع فيلزم ان يكون القديم هو المعنى فقط ولا يجوز تعدده لانه لو تعدد لكان اختصاصه بقدر دون قدر ترجيحا بلامرجح وان كان لايتناهى لزم وجود اعداد لا نهاية لها فى آن واحد قالوا وهذا ممتنع فيلزم ان يكون معنى واحدا هو الأمر والخبر وهو معنى التوراة والانجيل والزبور والقرآن وهذا اصل قول الكلابية والاشعرية : وقالت طائفة من اهل الكلام والحديث والفقهاء وغيرهم بل هو حروف قديمة الأعيان لم تزل ولا تزال وهى مترتبة فى ذاتها لافى وجودها كالحروف الموجودة فى المصحف وليس باصوات قديمة : ومنهم من قال بل هو أيضا اصوات قديمة ولم يفرق هؤلاء بين الحروف المنطوقة التى لاتوجد الا متعاقبة و بين الحروف المكتوبة التى توجد فى آن واحد كما يفرق بين الأصوات والمداد فان الأصوات لاتبقى بخلاف المداد فانه جسم يبقى واذا كان الصوت لايبقى

امتنع ان يكون الصوت المعين قديما لان ماوجب قدمه لزم بقاؤه وامتنع عدمه والحروف المكتوبة قد يراد بها نفس الشكل القائم بالمداد اوما يقدر بقدر المداد كالشكل المصنوع فى حجر وورق بازالة بعض اجزائه وقد يراد بالحروف نفس المداد : وأما الحروف المنطوقة فقد يراد بها ايضا الأصوات المقطوعة المؤلفة وقد يراد بها حدود الاصوات وأطرافها كما يراد بالحروف فى الجسم حده ومنتهاه فيقال حرف الرغيف وحرف الجبل ونحو ذلك : ومنه قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ على حَرْفٍ)[1] وقد يراد بالحروف الحروف الخالية الباطنة وهو مايتشكل فى باطن الانسان من الكلام المؤلف المنظوم قبل ان يتكلم به : وقد تنازع الناس هل يمكن وجود حروف بدون أصوات فى الحى الناطق على قولين لهم وعلى هذا تنازعت هذه الطائفة القائلة بقدم أعيان الحروف هل تكون قديمة بدون أصوات قديمة أم لابد من أصوات قديمة لم تزل ولا تزال:

ثم القائلون بقدم الأصوات المعينة تنازعوا فى المسموع من القارئ هل يسمع منه الصوت القديم فقيل المسموع هو الصوت القديم وقيل بل المسموع صوتان أحدهما القديم والآخر المحدث فما لابد منه فى وجود القرآن فهو القديم وما زاد على ذلك فهو المحدث: وقيل بل الصوت القديم غير المسموع من العبد وتنازعوا فى القرآن هل يقال انه حال فى المصحف والصدور أم لا يقال ذلك على قولين فقيل هو ظاهر فى المحدث ليس بحال فيه وقيل بل القرآن حال فى الصدور

١ - الحج ١١

والمصاحف فهؤلاء الخلقية والحادثية والاتحادية والاقترانية أصل قولهم ان مالا يسبق الحوادث فهو حادث مطلقا : ومن قال بهذا الأصل فانه يلزم به بعض هذه الأقوال أو ما يشبه ذلك فان من الناس من يجعله حادثا يريد أن يكون بعد ان لم يكن ويجعل الحادثات ارادات وتصورات لاحروف وأصوات والدار بى وغيره يميلون الى هذا القول فانه اما أن يجعل كلام الله حادثا أو قديما واذا كان حادثا فاما ان يكون حادثا فى غيره واما أن يكون حادثا فى ذاته واذا كان قديما فاما أن يكون القديم المعنى فقط أو اللفظ فقط أو كلاهما فاذا كان القديم هو المعنى فقط لزم أن لا يكون الكلام العربى كلام الله ثم الكلام فى ذلك المعنى قد عرف : وأما قدم اللفظ فهذا لم يقل به أحد لكن من الناس من يقول ان الكلام القديم هو اللفظ : وأما فى معناه فليس هو داخلا فى مسمى الكلام بل هو العلم والارادة وهما قديمان لكن ليس ذلك داخلا فى مسمى الكلام فهذا يقول الكلام القديم هو اللفظ فقط أما الحروف المؤلفة واما الحروف والأصوات لكنه يقول ان معناه قديم:

وأما الفريق الثانى الذين قالوا بجواز حوادث لا أول لها مطلقا وان القديم الواجب بنفسه يجوز أنْ يتعقب عليه الحوادث مطلقا إن كان ممكنا لا واجبا بنفسه فهؤلاء القائلون بقدم العالم كما يقولون بقدم الأفلاك وانها لم تزل ولا تزال معلولة لعلة قديمة أزلية لكن المنتسبون الى الملل كابن سينا ونحوه منهم قالوا انها صادرة عن الواجب بنفسه الموجب لها بذاته وأما ارسطو وأتباعه فانهم قالوا ان لها علة

غائية تتحرك للتشبه بها فهى تحركها كما يحرك المعشوق عاشقه ولم يثبتوا لها مبدعا ولا موجبا بذاته وانما أثبت واجب الوجود بطريقة الوجود ابن سينا وأمثاله

وحقيقة قول هؤلاء وجود الحوادث بلا محدث أصلا: أما على قول من جعل الاول علة غائية للحركة فظاهر فانه لا يلزم من ذلك أن يكون هو فاعلا لها فقولهم فى حركة الأفلاك نظير قول القدرية فى حركة الحيوان وكل من الطائفتين قد تناقض قولهم فان هؤلاء يقولون بأن فعل الحيوان صادر عن غيره لكون القدرة والداعى مستلزمين وجود الفعل والقدرة والداعى كلاهما من غير العبد:

فيقال لهم فقولوا هكذا فى حركة الفلك وقدرته وداعيه فانه يجب أن يكونا صادرين عن غيره وحينئذ فيكون الواجب موجبا بنفسه هو المحدث لتلك الحوادث شيئاً بعد شئ وان كان ذلك بواسطة العقول وهذا القول هو الذى يقوله ابن سينا وأتباعه وهو باطل أيضاً لان الموجب بذاته القديم الذى يقارنه موجبه ومقتضاه يمتنع ان يصدر عنه حادث بواسطة أو بلا واسطة فان صدور الحوادث عن العلة التامة الأزلية ممتنع لذاته * واذا قالوا الحركة متوسطة أي حركة الفلك * قيل لهم فالكلام انما هو فى حدوث الحركة الفلكية فان الحركة الحادثة شيئاً بعد شيء يمتنع أن يكون المقتضى لها علة تامة أزلية مستلزمة لمعلولها فان ذلك جمع بين النقيضين إذ القول بمقارنة المعلول لعلته فى الأزلية ووجوده معها يناقض ان يتخلف المعلول أو شيء من المعلول عن الأزل

بل يمتنع أن يكون المقتضى لها ذاتا بسيطة لا يقوم بها شيء من الصفات والاحوال المقتضية لحدوث الحوادث المتعاقبة المختلفة بل يمتنع أن يكون المقتضى لها ذاتا موصوفة لايقوم بها شيء من الأحوال الموجبة لحدوث الحوادث المذكورة فان التحدد والتعدد والموجود فى المعلولات لا يمتنع صدوره عن علة واحدة بسيطة من كل وجه فصار حقيقة قولهم ان الحوادث العلوية والسفلية لا محدث لها وهؤلاء يقولون كلام الله مايفيض على النفوس الصافية كما ان ملائكة الله عندهم ما يتشكل فيها من الصور النورانية فلا يثبتون له كلاما خارجا عما فى نفوس البشر ولا ملائكة خارجة عما فى نفوسهم غير العقول العشرة والنفوس الفلكية التسعة مع ان أكثرهم يقولون انها أعراض وقد بين فى غير هذا الموضع ان مايثبتونه من المجردات العقلية التى هى العقول والنفوس والمواد والصور انما وجوده فى الاذهان لا فى الأعيان :

وأما الصنف الثالث الذين فرقوا بين الواجب والممكن والخالق والمخلوق والغنى الذى لا يفتقر الى غيره والفقير الذى لا قوام له بالغنى فقالوا ان ماقارن الحوادث من الممكنات فهو محدث كائن بعد ان لم يكن وهو مخلوق مصنوع مربوب وانه يمتنع أن يكون فيما هو فقير ممكن مربوب شيء قديم فضلا ان يقارنه حوادث لا أول لها : ولهذا كانت حركات الفلك دليلا على حدوثه كما تقدم التنبيه على ذلك :

وأما الرب تعالى اذا قيل لم يزل متكلما اذا شاء اولم يزل فاعلا لما يشأ لم يكن دوام كونه متكلما بمشيئته وقدرته ودوام كونه فاعلا بمشيئته وقدرته

ممتنعاً بل هذا هو الواجب لان الكلام صفة كمال لا نقص فيه فالرب أحق أن يتصف بالكلام من كل موصوف بالكلام اذ كل كمال لا نقص فيه ثبت للمخلوق فالخالق أولى به لان القديم الواجب الخالق أحق بالكمال المطلق من المحدث الممكن المخلوق ولان كل كمال ثبت للمخلوق فانما هو من الخالق وما جاز اتصافه به من الكمال وجب له فانه لو لم يجب له لكان اما ممتنعاً وهو محال بخلاف الفرض وأما ممكنا فيتوقف ثبوته له على غيره والرب لا يحتاج فى ثبوت كماله الى غيره فان معطى الكمال أحق بالكمال فيلزم أن يكون غيره أكمل منه لوكان غيره معطياً له الكمال وهذا ممتنع بل هو بنفسه المقدسة مستحق لصفات الكمال فلا يتوقف ثبوت كونه متكلماً على غيره فيجب ثبوت كونه متكلماً وان ذلك لم يزل ولا يزال والمتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن يكون الكلام لازماً له بدون قدرته ومشيئته والذى لم يزل متكلما اذا شاء أكمل ممن صار الكلام يمكنه بعد ان لم يكن الكلام ممكناً له : وحينئذ فكلامه قديم مع انه يتكلم بمشيئته وقدرته وان قيل انه ينادى ويتكلم بصوت ولا يلزم من ذلك قدم صوت معين واذا كان قد تكلم بالتوراة والقرآن والانجيل بمشيئته وقدرته لم يمتنع ان يتكلم بالباء قبل السين وان كان نوع الباء والسين قديماً لم يستلزم ان يكون الباء المعينة والسين المعينة قديمة لما علم من الفرق بين النوع والعين وهذا الفرق ثابت فى الارادة والكلام والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات وبه تنحل الاشكالات الواردة على وحدة هذه الصفات وتعددها وقدمها وحدوثها وكذلك تزول به الاشكالات الواردة فى أفعال الرب وقدمها وحدوثها وحدوث العالم

واذا قيل ان حروف المعجم قديمة بمعنى النوع كان ذلك ممكناً بخلاف ما اذا قيل ان عين اللفظ الذى نطق به زيد وعمرو قديم فان هذا مكابرة للحس والمتكلم يعلم ان حروف المعجم كانت موجودة قبل وجوده بنوعها : وأما نفس الصوت

المعين الذى قام به أو التقطيع أو التأليف المعين لذلك الصوت فيعلم ان عينه لم يكن موجوداً قبله والمنقول عن الامام أحمد وغيره من أئمة السنة مطابق لهذا القول ولهذا أنكروا على من زعم ان حرفا من حروف المعجم مخلوق وأنكروا على من قال لما خلق الله الحروف سجدت له الا الالف فقالت لا أسجد حتى أومر مع ان هذه الحكاية نقلت لاحمد عن سرى السقطي وهو نقلها عن بكر بن خنيس العابد ولم يكن قصد أولئك الشيوخ بها الا بيان ان العبد الذى يتوقف فعله على الأمر والشرع هو أكمل من العبد الذى يعبد الله بغير شرع فان كثيراً من العباد يعبدون الله بما تحبه قلوبهم وان لم يكونوا مأمورين به فقصد أولئك الشيوخ ان من عبد الله بالامر ولم يفعل شيئاً حتى يؤمر به فهو افضل ممن عبده بما لم يؤمر به وذكروا هذه الحكاية الاسرائيلية شاهداً لذلك مع ان هذه لا اسنادلها ولا يثبت بها حكم ولكن الاسرائيليات اذا ذكرت على طريق الاستشهاد بها لما عرف صحته لم يكن بذكرها بأس وقصدوا بذلك الحروف المكتوبة لان الالف منتصبة وغيرها ليس كذلك مع ان هذا أمر اصطلاحي وخط غير العربى لايماثل خط العربى ولم يكن قصد أولئك الاشياخ ان نفس الحروف المنطوقة التى هي مبانى أسماء الله الحسنى وكتبه المنزلة مخلوقة بائنة عن الله بل هذا شيء لعله لم يخطر بقلوبهم والحروف المنطوقة لا يقال فيها انها منتصبة ولا ساجدة فمن احتج بهذا من قولهم على انهم يقولون ان الله لم يتكلم بالقرآن العربى ولابالتوراة العبرية فقد قال عنهم مالم يقولوه : وأما الامام أحمد فانه أنكر اطلاق هذا القول وما يفهم منه عند الاطلاق وهو ان نفس حروف المعجم مخلوقة كما نقل عنه انه قال ومن زعم ان حرفا من حروف المعجم مخلوق فقد سلك طريقاً الى البدعة فانه اذا قال ان ذلك مخلوق فقد قال ان القرآن مخلوق أو كما قال ولا ريب ان من جعل نوع الحروف بائناً عن الله كائناً بعد ان لم يكن لزم أن يكون كلام الله العربى والعبرى ونحوهما مخلوقا وامتنع ان يكون الله تكلم به بكلامه الذى أنزله على عبده فلايكون شيء من ذلك كلامه فطريقة الامام أحمد وغيره من السلف مطابقة للقول الثالث الموافق

لصريح المعقول وصحيح المنقول (١)

وقال الشيخ الامام أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي فى كتابه الذى سماه الفصول فى الأصول سمعت الامام أبا منصور محمد بن أحمد يقول سمعت الامام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول سمعت الشيخ أبا حامد الاسفرايني يقول مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فهو كافر والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعاً من الله والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى نتلوه نحن مقروء بألسنتنا وفيما بين الدفتين وما فى صدورنا مسموعاً ومكتوبا ومحفوظا ومقروءاً وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين : والكلام على هذه الأمور مبسوط فى غير هذا الموضع وذكر مايتعلق بهذا الباب من سائر الصفات كالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام فى تعدد الصفة واتحادها وقدمها وحدوثها أوقدم النوع دون الأعيان أواثبات صفة كلية عمومية متناولة الأعيان مع تجدد كل معين من الأعيان أو غير ذلك مما قيل فى هذا الباب فان هذه مواضع مشكلة وهى من مجارات العقول ولهذا اضطرب فيها طوائف من أذكياء الناس ونظارهم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم : تمت الرسالة والحمد لله

وقد وجد بخط ناسخها تاريخها هكذا : وقد تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه فى جمادى الآخرة الذى هو من شهور سنة ١١٦١ من الهجرة على صاحبها الصلاة والسلام

(١) المشهور ان الامام أحمد أنكر على من يقول لفظى بالقرآن مخلوق وبدعه وقال انه جهمي خوفا من التطرق الى أن يقول القرآن بلفظى مخلوق لا انه حكم بكفره فليحرر

التحف

في مذاهب السلف

لشيخ الاسلام القاضى العلامة محمد بن على الشوكانى

رحمه الله تعالى آمين



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الانام وآله الكرام ورضى الله عن صحبه الاعلام ﴿ وبعد ﴾ فانه وصل سؤال من بعض الاعلام الساكنين ببلد الله الحرام وهذا لفظه

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله رب العالمين مايقول فقهاء الدين وعلماء المحدثين وجماعة الموحدين فى آيات الصفات وأخبارها اللاتى نطق بها الكتاب العظيم وأفصحت عنها سنة الهادى الى صراط مستقيم هل اقرارها وامرارها واجراؤها على الظاهر بغير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل عقيدة الموحدين وتصديق بالكتاب المبين واتباع بالسلف الصالحين أو هذا مذهب المجسمين وما حكم من أول الصفات ونفى ما وصف الله به نفسه ووصفه به نبيه وتأيد بالنصوص واتفق عليه الخصوص من أن الله سبحانه فى سمائه مستو على عرشه بأن من خلقه وعلمه فى كل مكان والدليل آيات الاستواء والصعود والرفع وقوله تعالى (أأمنتم من فى السماء)[1] ومن السنة حديث الجارية والنزول وعمران بن حصين وقوله صلى الله عليه وسلم « ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء » وغير ذلك

[1] ـ الملك ١٦

من الآيات المتواترة والاحاديث المتكاثرة وأول الآيات وجعل الاستواء استيلاء وأول النزول بالرحمة وهكذا جعل التأويل عليه مطردة فى سائر نصوص الصفات وعاش فى ظلام العقل فى الجهل والشبهات واذا قيل له أين الله أجاب بأنه لا يقال أين الله الله لم يكن له مكان كما هوجواب فريق المضلين فهل هذا جواب الجهميين والمريسيين وأضلاء المتكلمين أم اختيار علماء السنيين أفيدونا بجواب رجاء الثواب يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها فان هذا المقام طال فيه النزاع وحارت فيه الافهام وزلت الاقدام وكل يدعى الصواب بزخرف الجواب فأبينوا المدعى بالدليل وبينوا طريق الحق بالتفصيل والتطويل ضاعف الله لكم الاجور ووقاكم الشرور والسلام عليكم ورحمة الله

(وأقول) اعلم ان الكلام فى الآيات والأحاديث الواردة فى الصفات قد طالت ذيوله وتشعبت أطرافه وتناسبت فيه المذاهب وتفاوتت فيه الطرائق وتخالفت فيه النحل : وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين الى العلم حيث أوقفهم الله ودخولهم فى أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ومحاولتهم لعلم شئ استأثر الله بعلمه حتى تفرقوا فرقا وتشعبوا شعبا وصاروا أحزابا وكانوا فى البداية ومحاولة الوصول الى ما يتصورونه من العامة مختلفى المقاصد متباينى المطالب : فطائفة وهى أخف هذه الطوائف المتكلفة علم مالم يكلفها الله سبحانه بعلمه أثماً وأقلها عقوبة وجرماً وهى التى أرادت الوصول الى الحق والوقوف على الصواب لكن سلكت فى طريقة متوعرة وصعدت فى الكشف عنه الى عقبة كؤد لا يرجع من سلكها سالما فضلا أن يظفر فيها بمطلوب صحيح ومع هذا أصلوا أصولا ظنوها حقاً فدفعوا بها آيات قرآنية وأحاديث صحيحة نبوية واعتلوا فى ذلك الدفع بشبه واهية وخيالات مختلة وهؤلاءهم طائفتان الطائفة الاولى هى الطائفة التى غلت فى التنزيه فوصلت الى حد يقشعر عنده الجلد ويضطرب له القلب من تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة ثبوتاً أوضح من شمس النهار وأظهر من فلق الصباح وظنوا هذا من صنيعهم موافقا للحق مطابقا لما يريده الله

سبحانه فضلوا الطريق المستقيم وأضلوا من رام سلوكها والطائفة الأخرى هي غلت فى اثبات القدرة غلوّا بلغ الى حد أنه لا تأثير لغيرها ولا اعتبار بما سواها وأفضى ذلك الى الجبر المحض والقسر الخالص فلم يبق لبعث الرسل وانزال الكتب كثير فائدة ولا يعود ذلك على عباده بعائدة : وجاؤا بتأويلات للآيات البينات ومحاولات لحجج الله الواضحات فكانوا كالطائفة الاولى فى الضلال والاضلال مع ان كلا المقصدين صحيح ووجه كل منهما صبيح لولا ما شانه من الغلو القبيح وطائفة توسطت ورامت الجمع بين الضب والنون وظنت أنها وقفت بمكان بين الافراط والتفريط ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادل وتناضل وتحقق وتدقق فى زعمها وتجول على الأخرى وتصول بما ظفرت مما يوافق ماذهبت اليه (وكل حزب بما لديهم فرحون) وعند الله تلتقى الخصوم ﴿ ومع هذا ﴾ فهم متفقون فيما بينهم على ان طريق السلف أسلم ولكن زعموا ان طريق الخلف أعلم فكان غاية ماظفروا به من هذه الاعلمية لطريق الخلف ان تمنى محققوهم وأذكياؤهم فى آخر أمرهم دين العجائز وقالوا هنيئاً للعامة فتدبر هذه الأعلمية التى حاصلها أن يهنى من ظفر بها للجاهل لأهل الجهل البسيط ويتمنى انه فى عدادهم وممن يدين بدينهم ويمشى على طريقهم فان هذا ينادى بأعلى صوت ويدل بأوضح دلالة على ان هذه الاعلمية التى طلبوها الجهل خير منها بكثير فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه ان الجهل خير منه وينتهى عند البلوغ الى غايته والوصول الى نهايته أن يكون جاهلا به عاطلا عنه : ففى هذا عبرة للمعتبرين وآية بينة للناظرين فهلا عملوا على جهل هذه المعارف التى دخلوا فيها بادئ بدء وسلموا من تبعاتها وأراحوا أنفسهم من تعبها وقالوا كما قال القائل

أرى الامر يفضى الى آخر * يصير آخره أولا

وربحوا الخلوص من هذا التمنى والسلامة من هذه التهنئة للعامة فان العاقل لا يتمنى رتبة مثل رتبته أو دونها ولا يهنى لمن هو دونه أو مثله ولا يكون ذلك الا لمن رتبته أرفع من رتبته ومكانه أعلى من مكانه فيالله العجب من علم يكون الجهل

البسيط أعلى رتبة منه وأفضل مقدارا بالنسبة اليه وهل سمع السامعون مثل هذه الغريبة أو نقل الناقلون ما يماثلها أو يشابهها واذا كان حال هذه الطائفة التى قد عرفناك أخف هذه الطوائف تكالفا واقلها تبعة فما ظنك بما عداها من الطوائف التى قد ظهر فساد مقاصدها وتبين بطلان مواردها ومصادرها كالطوائف التى أرادت بالمظاهر التى تظاهرت به كبار الاسلام وأهله والسعى فى التشكيك فيه بايراد الشبه وتقرير الامور المفضية الى القدح فى الدين وتنفير أهله عنه وعند هذا تعلم ان

خير الامور السالفات على الهدى * وشر الامور المحدثات البدائع

وان الحق الذى لاشك فيه ولا شبهة هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد كانوا رحمهم الله وأرشدنا الى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم يمرون أدلة الصفات على ظاهرها ولا يتكلفون علم مالا يعلموا ولا يتأولون وهذا المعلوم من اقوالهم وأفعالهم والمتقرر من مذاهبهم لا يشك فيه شاك ولا ينكره منكر ولا يجادل فيه مجادل وان نزغ بينهم نازغ او نجم فى عصرهم ناجم أوضحوا للناس أمره وبينوا لهم انه على ضلالة وصرحوا بذلك فى المجامع والمحافل وحذروا الناس من بدعته كما كان منهم لما ظهر معبد الجهنى وأصحابه وقالوا ان الامر أنف وبينوا ضلالته وبطلان مقالته للناس فحذروه الا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة وهكذا كان من بعدهم يوضح للناس بطلان اقوال اهل الضلال ويحذرهم منها كما فعله التابعون رحمهم الله بالجعد بن درهم ومن قال بقوله وانتحل نحلته الباطلة ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع المبتدع فى الصفات ان يتظاهر ببدعته بل يكتمونها كما تتكتم الزنادقة بكفرهم وهكذا سائر المبتدعين فى الدين على اختلاف البدع وتفاوت المقالات الباطلة ولكنا نقتصر ههنا على الكلام فى هذه المسألة التى ورد السؤال عنها وهى مسألة الصفات وما كان من المتكلمين فيها بغير الحق المتكلف علم مالم يأذن الله بأن يعلموه وبيان ان امرار أدلة الصفات على ظاهرها هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم وان كل من

أراد من نزاع المتكلفين وشـذاذ المحدثين والمتأولين أن يظهر ما يخالف المرور على ذلك الظاهر قاموا عليه وحذروا الناس منه وبينوا لهم انه على خلاف ماعليه أهل الاسلام وسائر المبتدعين فى الصفات القائلون بأقوال تخالف ماعليه السواد الا عظم من الصحابة والتابعين وتابعيهم فى خبايا وزوايا لا يتصل بهم الا مغرور ولا ينخدع بزخارف أقوالهم الا مخـدوع وهم مع ذلك على تخوف من أهـل الاسلام وترقب لنزول مكروه بهم من حماة الدين من العلماء الهـادين والرؤساء والسلاطين حتى نجم ناجم المحنة وبرق بارق الشر من جهة العباسـية ومن لهم فى الأمر والنهى والاصـدار والايراد أعظم صولة وذلك فى الدولة بسبب قاضيها أحمد بن أبى دواد فعنـد ذلك أطلع المنكسون فى تلك الزوايا رؤسهم وانطلق ما كان قد خرس من ألسنتهم وأعلنوا بمذاهبهم الزائفـة وبدعهم المضلة ودعوا الناس اليها وجادلوا عنها وناضلوا المخالفين لها حتى اختلط المعروف بالمنكر واشتبه على العامة الحق بالباطل والسنة بالبدعة ولما كان الله سبحانه قد تكفل باظهار دينه على الدين كله وبحفظه عن التحريف والتغيير والتبديل أوجد من علماء الكتاب والسنة فى كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم وينكر على أهـل البدع بدعهم فكان لهم ولله الحمد المقامات المحمودة والمواقف المشهودة فى نصر الدين وهتك المبتدعين

وبهذا الكلام القليـل الذى ذكرنا تعرف ان مذهب السلف من الصحابة رضى الله عنهـم والتابعـين وتابعيهم هو ايراد أدلة الصـفات على ظاهرها من دون تحريف لهـا ولا تأويل متعسف لشئ منها ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضى اليه كثير من التأويل وكانوا اذا سأل سائل عن شئ من الصفات تلوا عليه الدليل وأمسكوا عن القال والقيل وقالوا قال الله هكذا ولا ندرى بما سوى ذلك ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاوزته فلن اراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيـه ونهوه عن طلب مالا يمكن الوصول الا بالوقوع فى بدعة من البـدع التى هى غير ما هم عليـه وما

حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه التابعون عن الصحابة وحفظه من بعد التابعين عن التابعين

وكان فى هذه القرون الفاضلة الكلمة فى الصفات متحدة والطريقة لهم جميعا متفقة : وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به وكلفهم القيام بفرائضه من الايمان بالله : واقام الصلاة : وايتاء الزكاة : والصيام : والحج : والجهاد : وانفاق الأموال فى انواع البرّ : وطلب العلم النافع : وارشاد الناس الى الخير على اختلاف أنواعه : والمحافظة على موجبات الفوز بالجنة : والنجاة من النار : والقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والأخذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة وبما تبلغ اليه القدرة ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله بعلمه ولا تعبدهم بالوقوف على حقيقته فكان الدين اذ ذاك صافيا عن كدر البدع خالصاً عن شوب قذر التمذهب فعلى هذا النمط كان الصحابة رضى الله عنهم والتابعون وتابعوهم : وبهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتدوا وبأفعاله وأقواله اقتدوا فمن قال انهم تلبسوا بشئ من هذه المذاهب الناشئة فى الصفات او فى غيرها فقد أعظم عليهم الفرية وليس بمقبول فى ذلك فان اقوال الأئمة المطلعين على احوالهم العارفين بها الآخذين لها عن الثقاة الاثبات يرد عليه ويدفع فى وجهه يعلم ذلك كل من له علم ويعرفه كل عارف فاشدد بذلك على هدا واعلم انه مذهب خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ودع عنك ما حدث من تلك التمذهبات فى الصفات وأرح نفسك من تلك العبارات التى جاء بها المتكلمون واصطلحوا عليها وجعلوها أصلا يرد كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان وافقاها فقد وافقا الأصول المتقررة فى زعمهم وان خالفاها فقد خالفا الأصول المتقررة فى زعمهم ويجعلون الموافق لها من قسم المقبول والمحكم : والمخالف لها من قسم المردود والمتشابه ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى او ألف حديث مما ثبت فى الصحيح لم يبالوا به ولا رفعوا اليه رؤسهم ولا عدوه شيئاً ومن كان منكرا لهذا فعليه بكتب هذه الطوائف المصنفة فى علم الكلام فانه

سيقف على الحقيقة ويسلم هذه الجملة ولا يتردد فيها

ومن العجب العجيب والنبأ الغريب ان تلك العبارات الصادرة عن جماعة من أهل الكلام التى جعلها من بعدهم أصولا لا مستند لها الا مجرد الدعوى على العقل والفرية على الفطرة وكل فرد من أفرادها قد تنازعت فيه عقولهم وتخالفت عنده ادراكاتهم : فهذا يقول حكم العقل فى هذا الكلام كذا : وهذا يقول حكم العقل فى هذا كذا ثم يأتى بعدهم من يجعل ذلك الذى يعقله من تقلده ويقتدى به أصلا يرجع اليه ومعياراً لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم يقبل منهما ماوافقه ويرد ماخالفه فيالله وللمسلمين ويالعلماء الدين من هذه الفواقر الموحشة التى لم يصب الاسلام وأهله بمثلها

وأغرب من هذا وأعجب وأشنع وأفظع انهم بعد ان جعلوا هذه التعقلات التى تعقلوها على اختلافهم فيها وتناقضهم فى معقولاتها أصولا ترد اليها أدلة الكتاب والسنة جعلوها معياراً لصفات الرب تعالى فما تعقله هذا من صفات الله قال به جزما وما تعقله خصمه منها قطع به فاثبتوا لله تعالى الشئ ونقيضه استدلالا بما حكمت به عقولهم الفاسدة وتناقضت فى شأنه ولم يلتفتوا الى ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم بل ان وجدوا ذلك موافقاً لما تعقلوه جعلوه مؤيداً له ومقوياً وقالوا قد ورد دليل السمع مطابقاً لدليل العقل وان وجدوه مخالفاً لما تعقلوه جعلوه وارداً على خلاف الأصل ومتشابهاً وغير معقول المعنى ولا ظاهر الدلالة ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قولهم فافترى على عقله بأنه قد تعقل خلاف ما تعقله خصمه وجعل ذلك أصلا يرد اليه أدلة الكتاب والسنة وجعل المتشابه عند أولئك محكما عنده والمخالف لدليل العقل عندهم موافقاً له عنده : فكان حاصل كلام هؤلاء انهم يعلمون من صفات الله مالا يعلمه وكفاك هذا وليس بعده شيء وعنده يتعثر القلم حياء من الله سبحانه وتعالى وربما استبعد هذا مستبعد واستنكره مستنكر وقال ان فى كلامى هذا مبالغة وتهويلا وتشنيعا وتطويلا وان الأمر أيسر من أن يكون حاصله هذا الحاصل وثمرته مثل هذه الثمرة التى

أشرت اليها

فأقول خذ جملة البلوى ودع تفصيلها واسمع ما يصك سمعك ولولا هذا الالحاح منك ما اسمعته ولا جرى القلم بمثله هذا أبو على وهو رأس من رؤسهم وركن من أركانهم واسطوانة من اسطواناتهم قد حكى عنه الكبار وآخر من حكى عنه ذلك صاحب شرح القلائد (والله لا يعلم من نفسه الا ما يعلم هو) فخذ هذا التصريح حيث لم تكتف بذلك التلويح وانظر هذه الجرأة على الله سبحانه وتعالى التى ليس بعدها جرأة فيالأم أبى على الويل أنهيق مثل هذا النهيق ويدخل نفسه فى هذا المضيق وهل سمع السامعون بيمين أفجر من هذه اليمين الملعونة أو نقل الناقلون كلمة تقارب معنى هذه الكلمة المفتونة أو بلغ مفتخر الى ما بلغ هذا المختال الفخور أو وصل من يفجر فى أيمانه الى ما تقارب هذا الفجور وكل عاقل يعلم ان أحدنا لو حلف ان ابنه أو أباه لا يعلم من نفسه الا مايعلمه هو لكان كاذباً فى يمينه فاجراً فيها لان كل فرد من الناس ينطوى على صفات وغرائز لا يحب ان يطلع عليها غيره ويكره ان يقف على شىء منها سواه ومن ذا الذى يدرى بما يجول فى خاطر غيره ويستكن فى ضميره ومن ادعى علم ذلك وانه يعلم من غيره من بنى آدم مايعلمه ذلك الغير من نفسه ولا يعلم ذلك الغير من نفسه الا ما يعلمه هذا المدعى فهو اما مصاب العقل يهذى بما لا يدرى ويتكلم بما لا يفهم أو كاذب شديد الكذب عظيم الافتراء فان هذا أمر لا يعلمه غير الله سبحانه فهو الذى يحول بين المرء وقلبه وما توسوس به نفسه وما يسر عباده وما يعلنون وما يظهرون وما يكتمون كما أخبرنا بذلك فى كتابه العزيز فى غير موضع فقد خاب وخسر من أثبت لنفسه من العلم مايعلمه الا الله من عباده فما ظنك من جاوز هذا وتعداه واقسم بالله سبحانه ان الله لا يعلم من نفسه الا مايعلمه هو ولا يصح لنا ان نحمله على اختلال العقل فلو كان مجنونا لم يكن رأساً يقتدى بقوله جماعات من أهل عصره ومن جاء بعده وينقلون كلامه فى الدفاتر ويحكون عنه فى مقامات الاختلاف ولعل اتباع هذا ومن يقتدى بمذهبه لوقال لهم قائل وأورد عليهم مورد

قول الله عز وجل (ولا يحيطون به علماً)[1] وقوله (ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء)[2] وقال لهم هذا يرد ما قال صاحبكم ويدل على أن يمينه هذه فاجرة مفتراة لقالوا هذا ونحوه مما يدل دلالته ويفيد مفاده من المتشابه الوارد على خلاف دليل العقل المدفوع بالأصول المقررة :

وبالجملة فاطالة ذيول الكلام فى مثل هذا المقام اضاعة للأوقات واشتغال بحكاية الخرافات المبكيات لا المضحكات وليس مقصودنا ههنا الا ارشاد السائل الى ان المذهب الحق فى الصفات هو امرارها على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف ولا تكلف ولا تعسف ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل وان ذلك هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم

(فان قلت) وماذا تريد بالتعطيل فى مثل هذه العبارات التى تكررها فان أهل المذاهب الاسلامية يتنزهون عن ذلك ويتحاشون عنه ولا نصدق معناه ولا يوجد مدلوله الا فى طائفة من طوائف الكفار وهم المنكرون للصانع *
(قلت) ياهذا ان كنت ممن له المام بعلم الكلام الذى اصطلح عليه طوائف من أهل الاسلام فانه لا محالة قد رأيت مايقوله كثير منهم ويذكرونه فى مؤلفاتهم ويحكونه عن أكابرهم ان الله سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس لا هو جسم ولا جوهر ولا عرض ولا داخل العالم ولا خارجه فانشدك الله أى عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة فى النفى وأى مبالغة فى الدلالة على هذا النفى تقوم مقام هذه المبالغة فكان هؤلاء فى فرارهم من شبهة التشبيه الى هذا التعطيل كما قال القائل

فكنت كالساعى الى مثعب * موائلا من سبل الراعد

أو * كالمستجير من الرمضاء بالنار * والهارب من لسعة الزنبور الى لدغة الحية ومن قرصة النملة الى قضمة الأسد

وقد يغنى هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكلفين كلمتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه وأنزلها على رسوله وهما (ولايحيطون به علما)* (ليس كمثله شئ)[3] فان هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب وتضمنتا بما

١ ـ طه ١١٠
٢ ـ البقرة ٢٥٥
٣ ـ الشورى ١١

يبين أولى الألباب السالكين فى تلك الشعاب فالكلمة منها دلت دلالة بينة على ان كل ما تكلم به البشر فى ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ودعاوى التحقيق فهو مشوب بشعبة من شعب الجهل مخلوط بخلوط هى منافية للعلم ومباينة له فان الله سبحانه قد أخبرنا انهم لا يحيطون به علماً فمن زعم ان ذاته كذا أو صفته كذا فلا شك ان صحة ذلك متوقفة على الاحاطة وقد نفيت عن كل فرد من الأفراد علما فكل قول من أقوال المتكلمين صادر عن جهل إما من كل وجه أو من بعض الوجوه وما صدر عن جهل فهو مضاف الى جهل ولا سيما اذا كان فى ذات الله وصفاته فان ذلك من المخاطرة فى الدين ما لم يكن فى غيره من المسائل وهذا يعلمه كل ذى علم ويعرفه كل عارف ولم يحط بفائدة هذه الآية ويقف عندها ويقتطف من ثمراتها الا الممرون الصفات على ظاهرها المريحون أنفسهم من التكلفات والتعسفات والتأويلات والتحريفات وهم السلف الصالح كما عرفت فهم الذين اعترفوا بالاحاطة وأوقفوا أنفسهم حيث أوقفها الله وقال الله أعلم بكيفية ذاته وماهية صفاته بل العلم كله له وقالوا كما قال من قال ممن اشتغل بطلب هذا المحال فلم يظفر بغير القيل والقال

العلم للرحمن جل جلاله * وسواه فى جهلاته يتغمغم
ما للتراب وللعلوم وانما * يسعى ليعلم انه لا يعلم

بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلفين بانه لم يستفد من تكلفه وعدم قنوعه بما قنع به السلف الصالح الا مجرد الحيرة التى وجد عليها غيره من المتكلفين فقال

وسرحت طرفى بين تلك المعالم * فلم أر الا واضعا كف حائر
* على ذقن أو قارعا سن نادم *

وها أنا أخبرك عن نفسى وأوضح لك ما وقعت فيه فى أمسى فانى فى أيام الطلب وعنفوان الشباب شغلت بهذا العلم الذى سموه تارة علم الكلام وتارة علم التوحيد وتارة علم أصول الدين وأكببت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم ورمت الرجوع بفائدة والعود بعائدة فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة وكان ذلك

من الاسباب التي حببت الى مذهب السلف على أني كنت قبل ذلك عليه ولكن أردت ان أزداد منه بصيرة وبه شغفا وقلت عند ذلك فى تلك المذاهب

وغاية ما حصلته من مباحثى * ومن نظرى من بعد طول التدبر
هو الوقف مابين الطريقين حيرة * فما علم من لم يلق غير التحير
على انى قد خضت منه غماره * وما قنعت نفسى بغير التبحر

﴿ وأما الكلمة ﴾ وهى (ليس كمثله شئ) فبها يستفاد نفى المماثلة فى كل شيء فيدفع بهذه الآية فى وجه المجسمة وتعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع البصير وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستواء ونحو ذلك مما اشتمل عليه الكتاب والسنة فتقرر بذلك الاثبات لتلك الصفات لا على وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات فيدفع به جانبى الافراط والتفريط وهما المبالغة فى الاثبات المفضية الى التجسيم والمبالغة فى النفى المفضية الى التعطيل فيخرج من بين الجانبين وغلو الطرفين حقية مذهب السلف الصالح وهو قولهم باثبات ما أثبته لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمه الا هو فانه القائل (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير)

(ومن جملة الصفات) التى أمرها السلف على ظاهرها وأجروها على ماجاء به القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل صفة الاستواء التى ذكرها السائل يقولون نحن نثبت ما أثبته الله لنفسه من استوائه على عرشه على هيئة لا يعلمها الا هو وكيفية لا يدرى بها سواه ولا نكلف أنفسنا غير هذا فليس كمثله شئ لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا تحيط عباده به علما وهكذا يقولون فى مسألة الجهة التى ذكرها السائل وأشار الى بعض ما فيه دليل عليها والأدلة فى ذلك طويلة كثيرة فى الكتاب والسنة * وقد جمع أهل العلم منها لاسيما أهل الحديث مباحث طولوها بذكر آيات قرآنية وأحاديث صحيحة وقد وقفت من ذلك على مؤلف بسيط فى مجلد جمعه مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبى رحمه الله استوفى فيه كل ما فيه دلالة على الجهة من كتاب أو سنة أو قول صاحب (١)

(١) هنا بياض فى الاصل ولعله هكذا أو قول صاحب مذهب

والمسئلة أوضح من أن تلتبس على عارف وأبين من ان يحتاج فيها الى التطويل ولكنها لما وقعت فيها تلك القلاقل والزلازل الكائنة بين بعض الطوائف الاسلامية كثر الكلام فيها وفى مسئلة الاستواء وطال سيما بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب فلهم فى ذلك الفتن الكبرى والملاحم العظمى وما زالوا هكذا فى عصر بعد عصر والحق هو ماعرفناك من مذهب السلف الصالح فالاستواء علي العرش والكون فى تلك الجهة قد صرح به القرآن الكريم فى مواطن يكثر حصرها ويطول نشرها وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير حديث بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد الناس فى نفسه : ويحسه فى فطرته وتجذبه اليه طبيعته كما تراه فى كل من استغاث بالله سبحانه وتعالى والتجأ اليه ووجه أدعيته الى جنابه الرفيع وعزه المنيع فانه يشير عند ذلك بكفه أو يرمى الى السماء بطرفه ويستوى فى ذلك عند عروض أسباب الدعاء وحدوث بواعث الاستغاثة ووجود مقتضيات الازعاج وظهور دواعى الالتجاء عالم الناس وجاهلهم والماشى على طريقة السلف والمقتدى بأهل التأويل القائلين بان الاستواء هو الاستيلاء كما قال جمهور المتأولين والأقيال كما قاله أحمد بن يحيى ثعلب والزجاج والفراء وغيرهم أو كناية عن الملك والسلطان كما قاله آخرون فالسلامة والنجاة فى امرار ذلك على الظاهر والاذعان بان الاستواء والكون على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكييف ولا تكلف ولا قيل ولا قال ولا قصور فى شئ من المقال فمن جاوز هذا المقدار بافراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف ولا واقف فى طريق النجاة ولا معتصم عن الخطأ ولا سالك فى طريق السلامة والاستقامة وكما نقول هكذا فى الاستواء والكون فى تلك الجهة فكذا نقول فى مثل قوله سبحانه (وهو معكم أينما كنتم)[1] وقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم)[2] وفى نحو (ان الله مع الصابرين)[3] * (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)[4] الى ما يشابه ذلك ويماثله ويقاربه ويضارعه فنقول فى مثل هذه الآيات هكذا جاء القرآن ان الله سبحانه مع هؤلاء ولا نتكلف تأويل ذلك

١ - الحديد ٤
٢ - المجادلة ٧
٣ - البقرة ١٥٣
٤ - النحل ١٢٨

كما يتكلف غيرنا بأن المراد بهذا السكون وهذه المعية هو كون العلم ومعيته فان هذه شعبة من شعب التأويل تخالف مذاهب السلف وتباين ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم واذا انتهيت الى السلامة فى مداك فلا تجاوزه

وهذا الحق ليس به خفاء * فدعنى من بنيات الطريق

وقد هلك المتنطعون ولا يهلك على الله الا هالك وعلى نفسها براقش تجنى وفى هذه الجملة وان كانت قليلة ما يغنى من شح بدينه ويحرص عليه عن تطويل المقال وتكثير ذيوله وتوسيع دائرة فروعه وأصوله والهداية من الله والله أعلم * انتهت الرسالة المفيدة كما وجدت * ولله الحمد أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وأصلى وأسلم على محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم





ايضاح الدلالة

في عموم الرسالة

للامام العلامة شيخ الاسلام الشيخ تقى الدين

أبى العباس ابن تيمية المتوفى

سنة ٧٢٨ هجرية

عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها

للمره الاولى سنة ١٣٤٣ هـ

إدارة الطباعة المنيرية

لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي

بمصر بشارع الكحكيين رقم ١

مطبعة الشرق

لصاحبيها : عبد العزيز فايد وأخيه

بحارة المدرسة رقم ٦ بجوار الأزهر بمصر

الحمد لله الذى أمتن علينا بإرسال الأنبياء والرسل لبيان طريق الرشاد والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث الى جميع الخلق عربها وعجمها : قاصيها ودانيها : حضرها والباد : وآله وصحبه السالكين منهج السداد

(أما بعد) فيقول العاجز الى مولاه القدير الغنى محمد منير بن عبده أغا النقلى الدمشقى الأزهرى لما كنت كثير التشوف الى سماع الأخبار عن الكتب المؤلفة النافعة لا سيما ما كان على طريق السلف الصالح من تحقيق الحق بالأدلة الثابتة فى القرآن الحكيم والسنة الغراء أسأل من أعرفه انه رحل الى بلد كذا وزار مكتبة كذا عن الكتب العلمية الخطية التى رآها فى رحلته فيخبرنى بها فاختار منها ما يناسب حالنا وزماننا فاستنسخه بواسطة طلاب العلم العاملين ليكون أحرى وأضبط للنقل ولا أثق بالنساخين الذين لا دراية لهم بالعلم لعدم أمن وقوع تحريف أو تصحيف كما هو الشأن فى ذلك : وقد رحل بعض طلاب العلم الى البلاد الاسلامية الشاسعة البعيدة وزار كثيراً من المكاتب الأهلية والمحلية فعثر على كتب كثيرة خطية فاثبت اسم ما استحسنه واعتقد أن نفعه عظيم فى مذكرة له وقد اجتمعت به أخيراً وطلبت منه الاعلام عما استحسنه من الكتب النافعة فاطلعنى على المذكرة فاخترت منها أسماء عدة مؤلفات فارسلت استنسخها للاطلاع عليها فان كانت ملائمة للنشر فانشرها أولا فاحفظها عندى فى مكتبتى الخصوصية للافادة والاستفادة : وقد جاءنى بعض الرسائل بعد النسخ والمقابلة على النسخة الأصلية فطالعتها فوجدت كثيراً منها يصلح للنشر : ولما كانت لا تخلو الرسالة عن ايضاح بعض الكلمات أو بيان بعض المجمل جعلت عليها تعليقاً وقت مطالعتى اياها ليكون أنفع وأفيد للجمهور : وقد آثرت بالنشر هذه الرسالة وهى للامام العلامة شيخ الاسلام أبى العباس تقى الدين ابن تيمية الحرانى الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٨ هـ : لانها أصغرها حجما وأيسرها مطالعة وأهمها موضوعاً : وقد ذكر هذه الرسالة الامام علاء الدين أبو الحسن على بن الحسين بن عروة المشرقى فى كتابه الكواكب الدرارى فى ترتيب

مسند الامام أحمد على أبواب البخارى ونسبها الى ابن تيمية : ولما لم يذكر لها اسما ولم أعثر على اسم لها سميتها (ايضاح الدلالة فى عموم الرسالة) والله أسأل حسن الختام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الاسلام أبو العباس تقى الدين ابن تيمية قدس الله روحه

(فصل) يجب على الانسان أن يعلم أن الله عزوجل أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم الى جميع الثقلين الانس والجن وأوجب عليهم الايمان به وبما جاء به وطاعته : وأن يحللوا ماحلل الله ورسوله ويحرموا ماحرم الله ورسوله : وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله ويحبوا ما أحبه الله ورسوله ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله : وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم من الانس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث اليهم الرسول : وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين : لم يخالف أحد من طوائف المسلمين فى وجود الجن (١) ولا فى أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم اليهم وجمهور

(١) قال ابن دريد الجن خلاف الانس يقال جنه الليل واجنه وجن عليه وغطاه فى معنى واحد اذا ستره وكل شىء استتر عنك فقد جن عنك وبه سميت الجن : وكان اهل الجاهلية يسمون الملائكة جنا لاستتارهم عن العيون : والجن والجنة واحد : وقال ابن عقيل انما سمى الجن جنا لاجتنانهم واستتارهم عن العيون ومنه سمى الجنين جنينا والجنة للحرب جنة لسترها : ولا ينتقض هذا بالملائكة لان الاسماء المشتقة لاتناقض : والشياطين العصاة من الجن وهم ولد ابليس والمردة اعتاهم واغواهم وهم اعوان ابليس : قال الجوهرى كل عات

طوائف الكفار على اثبات الجن أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كاقرار المسلمين وان وجد فيهم من ينكر ذلك وكما يوجد فى المسلمين (١) من ينكر ذلك يوجد فى طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك وان كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك (٢)

وهذا لان وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار : ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالارادة بل مأمورون منهيون ليسوا صفات وأعراضاً قائمة بالانسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة : فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء تواتراً ظاهراً تعرفه العامة والخاصة لم يمكن طائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسل أن تنكرهم كما لم يمكن لطائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسل انكار الملائكة ولا انكار معاد الأبدان ولا انكار عبادة الله وحده لا شريك له ولا انكار أن يرسل الله رسولا من

متمرد من الجن والانس والدواب شيطان قال جرير

ايام يدعونني الشيطان من غزل   وهن يهوينني اذ كنت شيطانا

(١) هكذا فى الاصل ولعله الكتابيين

(٢) وهاك نص كلام بعض الأئمة فى ذلك قال امام الحرمين فى الشامل ان كثيرا من الفلاسفة وجماهير القدرية وكافة الزنادقة انكروا الشياطين والجن رأسا ولا يبعد لوا نكر ذلك من لايتدبر ولا يتشبث بالشريعة وانما العجب من انكار القدرية مع نصوص القرآن وتواتر الأخبار واستفاضة الآثار : ثم ساق جملة من نصوص الكتاب والسنة تركناها للاكتفاء بما ذكره المصنف فى هذه الرسالة : وقال القاضى ابو بكر الباقلانى وكثير من القدرية يثبتون وجود الجن قديما وينفون وجودهم الآن ومنهم من يقر بوجودهم ويزعم انهم لايرون لرقة اجسامهم ونفوذ الشعاع فيها ومنهم من قال انما لايرون لانهم لاالوان لهم : قال امام الحرمين والتمسك بالظواهر والآحاد تكلف مناصع اجماع كافة العلماء فى عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين والاستعاذة بالله تعالى من شرورهم ولا يراغم مثل هذا الاتفاق متدين متشبث بمسكة من الدين :

الانس الى خلقه ونحو ذلك مما تواترت به الأخبار عن الانبياء تواتراً تعرفه العامة والخاصة كما تواتر عند العامة والخاصة مجيء موسى الى فرعون وغرق فرعون ومجيء المسيح الى اليهود وعداوتهم له وظهور محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وهجرته الى المدينة ومجيئه بالقرآن والشرائع الظاهرة وجنس الآيات الخارقة التي ظهرت على يديه كتكثير الطعام والشراب والأخبار بالغيوب الماضية والمستقبلة التي لا يعلمها بشر الا باعلام الله وغير ذلك : ولهذا أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بسؤال أهل الكتاب عما تواتر عندهم كقوله (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)[1] فان من الكفار من أنكر أن يكون لله رسول بشر فأخبر الله أن الذين أرسلهم قبل محمد كانوا بشرا وأمر بسؤال أهل الكتاب عن ذلك . وكذلك سؤالهم عن التوحيد وغيره مما جاءت به الأنبياء وكفر به الكافرون قال تعالى (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)[2] وقال تعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك)[3] وقال تعالى (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم)[4] وكذلك شهادة أهل الكتاب بتصديق ما أخبر به من أنباء الغيب التي لا يعلمها الا نبي أو من أخبره نبي وقد علموا أن محمداً لم يتعلم من أهل الكتاب شيئاً وهذا غير شهادة أهل الكتاب له نفسه بما يجدونه من نعته في كتبهم كقوله تعالى (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل)[5]

١ - الأنبياء ٧
٢ - الرعد ٤٣
٣ - يونس ٩٤
٤ - الأحقاف ١٠
٥ - الشعراء ١٩٧

وقوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق)[١] وأمثال ذلك :

وهذا بخلاف ما تواتر عند الخاصة من أهل العلم كأحاديث الرؤية وعذاب القبر وفتنته : وأحاديث الشفاعة والصراط والحوض فهذا قد ينكره بعض من لم يعرفه من أهل الجهل والضلال ولهذا أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائى وأبى بكر الرازى وغيرهما دخول الجن فى بدن المصروع ولم ينكروا وجود الجن اذ لم يكن ظهور هذا فى المنقول عن الرسول كظهور هذا وان كانوا مخطئين فى ذلك ولهذا ذكر الأشعرى فى مقالات أهل السنة والجماعة أنهم يقولون ان الجنى يدخل فى بدن المصروع كما قال تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس)[٢] وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل قلت لأبى ان قوماً يزعمون أن الجنىّ لا يدخل فى بدن الانسى فقال يابنى يكذبون هو ذا يتكلم على لسانه وهذا مبسوط فى موضعه

والمقصود هنا ان جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب وكذلك عامة مشركى العرب وغيرهم من أولاد سام والهند وغيرهم من أولاد حام وكذلك جمهور الكنعانيين واليونانيين وغيرهم من أولاد يافث: فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن بل يقرون بما يستجلبون به معاونة الجن من العزائم والطلاسم سواءاً كان ذلك سائغاً عند أهل الايمان أو كان شركا فان المشركين يقرأون من العزائم والطلاسم والرقي مافيه عبادة للجن

١ - الأنعام ١١٤

٢ - البقرة ٢٧٥

وتعظيم لهم : وعامة ما بأيدى الناس من العزائم والطلاسم والرقى التى لا تفقه بالعربية فيها ما هو شرك بالجن :

ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقي التى لا يفقه معناها لانها مظنة الشرك وان لم يعرف الراقي انها شرك : وفى صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعى « قال كنا نرقى فى الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى فى ذلك فقال اعرضوا عليّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك »(١) وفى صحيح مسلم أيضاً عن جابر « قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انه كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب وانك نهيت عن الرقى قال فعرضوها عليه فقال ما أرى بأساً من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » وقد كان للعرب ولسائر الأمم من ذلك أمور يطول وصفها وأخبار العرب فى ذلك متواترة عند من يعرف أخبارهم من علماء المسلمين وكذلك عند غيرهم ولكن المسلمين أخبر بجاهلية العرب منهم بجاهلية سائر الامم اذ كان خير القرون كانوا عربا وكان قد عاينوا وسمعوا ما كانوا عليه فى الجاهلية وكان ذلك من أسباب نزول القرآن

(٢) قوله فى الحديث الرقى هو جمع رقية مثل مدية ومدى العوذة والحديث يدل على ان الرقى الموصوفة بكونها شركا هى التى يستعان فيها بغير الله وأما اذا لم يذكر فيها الا اسماء الله تعالى وصفاته وآياته والمأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذلك حسن جائز او مستحب وليس بشرك : قال الخطابى كان عليه السلام قد رقى ورقى وأمر بها واجازها اذا كانت بالقرآن او باسماء الله تعالى فهى مباحة او مأمور بها وانما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب فانه ربما كان كفرا او قولا يدخله الشرك : وقال السيوطى قد اجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : ان يكون بكلام الله او باسمائه وصفاته وباللسان العربى وبما يعرف معناه وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى :

فذكر فى كتب التفسير والحديث والسير والمغازى والفقه فتواترت أيام جاهلية العرب فى المسلمين والا فسائر الأمم المشركين هم من جنس العرب المشركين فى هذا وبعضهم كان أشد كفراً وضلالا من مشركى العرب وبعضهم أخف: والآيات التى أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم فيها خطاب لجميع الخلق من الانس والجن اذ كانت رسالته عامة للثقلين وان كان من أسباب نزول الآيات ما كان موجوداً فى العرب فليس شئ من الآيات مختصاً بالسبب المعين الذى نزل فيه باتفاق المسلمين وانما تنازعوا هل يختص بنوع السبب المسؤول عنه وأما بعين السبب فلم يقل أحد من المسلمين ان آيات الطلاق أو الظهار أو اللعان أو حد السرقة والمحاربين وغيرذلك يختص بالشخص المعين الذى كان سبب نزول الآية: وهذا الذى يسميه بعض الناس تنقيح المناط وهو أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم حكم فى معين وقد علم ان الحكم لا يختص به فيريد أن ينقح لمناط الحكم ليعلم النوع الذى حكم فيه كما أنه لما أمر الأعرابى الذى واقع امرأته فى رمضان بالكفارة وقد علم أن الحكم لا يختص به وعلم أن كونه أعرابياً أو عربياً أو الموطوءة زوجته لا أثر له فلو وطئ المسلم العجمى سريته كان الحكم كذلك: ولكن هل المؤثر فى الكفارة كونه مجامعا فى رمضان أو كونه مفطرا: فالأول مذهب الشافعى وأحمد فى المشهور عنه: والثانى مذهب مالك وأبى حنيفة وهو رواية منصوصة عن أحمد فى الحجامة فغيرها أولى: ثم مالك يجعل للمؤثر جنس المفطر وأبو حنيفة يجعلها

المفطر كتنوع جنسه فلا يوجبه فى ابتلاع الحصاة والنواة وتنازعوا هل يشترط أن يكون أفسد صوماً صحيحا وأحمد لايشترط ذلك بل كل امساك وجب فى شهر رمضان وجب فيه الكفارة كما يوجب الاربعة مثل ذلك فى الاحرام الفاسد فالصيام الفاسد عنده كالاحرام الفاسد كلاهما يجب اتمامه والمضى فيه والشافعى وغيره لا يوجبونها الا فى صوم صحيح والنزاع فيمن أكل ثم جامع أو لم ينو الصوم ثم جامع ومن جامع وكفر ثم جامع

ومثل قوله لمن أحرم بالعمرة فى جبة متضمخاً بالخلوق « انزع عنك الجبة واغسل عنك أثر الصفرة » هل أمره بالغسل لكون المحرم لا يستديم الطيب كما يقوله مالك أو لكونه نهى أن يتزعفر الرجل فلايمنع من استدامة الطيب كقول الثلاثة وعلى الأول فهل هذا الحديث منسوخ بتطييب عائشة له فى حجة الوداع :

ومثل قوله لما سئل عن فارة وقعت فى سمن « القوها وما حولها وكلوا سمنكم » هل للمؤثر عدم التغير بالنجاسة أو بكونه جامدا أو كونها فارة وقعت فى سمن فلا يتعدى الى سائر المائعات : ومثل هذا كثير وهذا لابد منه فى الشرائع ولا يسمى قياساً عند كثير من العلماء كأبى حنيفة ونفاة القياس لاتفاق الناس على العمل به كما اتفقوا على تحقيق المناط وهو أن يعلق الشارع الحكم بمعنى كلى فينظر فى ثبوته فى بعض الانواع أو بعض الاعيان : كأمره باستقبال الكعبة : وكأمره باستشهاد شهيدين من رجالنا ممن نرضى من الشهداء : وكتحريمه الخمر

والميسر : وكفرضه تحليل اليمين بالكفارة : وكتفريقه بين الفدية والطلاق وغير ذلك

فيبقى النظر فى بعض الانواع هل هى خمر ويمين وميسر وفدية أو طلاق : وفى بعض الأعيان هل هى من هذا النوع وهل هذا المصلى مستقبل القبلة وهذا الشخص عدل مرضى ونحو ذلك فان هذا النوع من الاجتهاد متفق عليه بين المسلمين بل بين العقلاء فيما يتبعو نه من شرائع دينهم وطاعة ولاة أمورهم ومصالح دنياهم وآخرتهم : وحقيقة ذلك يرجع الى تمثيل الشئ بنظيره وادراج الجزئى تحت الكلى وذاك يسمى قياس التمثيل وهذا يسمى قياس الشمول وهما متلازمان فان القدر المشترك بين الافراد فى قياس الشمول الذى يسميه المنطقيون الحد الأوسط هو القدر المشترك فى قياس التمثيل الذى يسميه الاصوليون الجامع والمناط والعلة والامارة والداعى والباعث والمقتضى والموجب والمشترك وغير ذلك من العبارات

وأما تخريج المناط وهو القياس المحض وهو أن ينص على حكم فى أمور قد يظن انه يختص الحكم بها فيستدل على ان غيرها مثلها إما لانتفاء الفارق أو للاشتراك فى الوصف الذى قام الدليل على أن الشارع علق الحكم به فى الاصل فهذا هو القياس الذى تقر به جماهير العلماء وينكره نفاة القياس وانما يكثر الغلط فيه لعدم العلم بالجامع المشترك الذى علق الشارع الحكم به وهو الذي يسمى سؤال المطالبة وهو مطالبة المعترض للمستدل بأن الوصف المشترك بين الاصل والفرع هو

علة الحكم أو دليل العلة : فأكثر غلط القائسين من ظنهم علة فى الأصل ما ليس بعلة : ولهذا كثرت شناعاتهم على أهل القياس الفاسد * فأما اذا قام دليل على الغاء الفارق وأنه ليس بين الأصل والفرع فرق يفرق الشارع لأجله بين الصورتين أو قام الدليل على أن المعنى الفلانى وهو الذى لأجله حكم الشارع بهذا الحكم فى الاصل وهو موجود فى صورة أخرى فهذا القياس لا ينازع فيه الا من لم يعرف هاتين المقدمتين وبسط هذا له موضع آخر :

والمقصود هنا ان دعوة محمد صلى الله عليه وسلم شاملة للثقلين الانس والجن على اختلاف أجناسهم فلا يظن أنه خص العرب بحكم من الأحكام أصلا بل انما علق الأحكام باسم مسلم وكافر ومؤمن ومنافق وبر وفاجر ومحسن وظالم وغير ذلك من الاسماء المذكورة فى القرآن والحديث : وليس فى القرآن ولا الحديث تخصيص العرب بحكم من أحكام الشريعة ولكن بعض العلماء ظن ذلك فى بعض الاحكام وخالفه الجمهور كما ظن طائفة منهم أبو يوسف انه خص العرب بأن لا يسترقوا وجمهور المسلمين على أنهم يسترقون كما صحت بذلك الاحاديث الصحيحة حيث استرق بنى المصطلق وفيهم جويرية بنت الحارث ثم أعتقها وتزوجها وأعتق بسببها من استرق من قومها : وقال فى حديث هوازن « اختاروا احدى الطائفتين اما السبى واما المال » وفى الصحيحين عن أبى أيوب الانصارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ

قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل» : وفى الصحيحين أيضا عن أبى هريرة « أنه كانت سبية من سبي هوازن عند عائشة فقال أعتقيها فانها من ولد اسماعيل » وعامة من استرقه الرسول صلى الله عليه وسلم من النساء والصبيان كانوا عربا وذكر هذا يطول

ولكن عمر بن الخطاب لما رأى كثرة السبي من العجم واستغناء الناس عن استرقاق العرب رأى أن يعتقوا العرب من باب مشورة الامام وأمره بالمصلحة لا من باب الحكم الشرعى الذى يلزم الخلق كلهم فأخذ من أخذ بما ظنه من قول عمر وكذلك ظن من ظن ان الجزية لا تؤخذ من مشركى العرب مع كونها تؤخذ من سائر المشركين

وجمهور العلماء على انه لا يفرق بين العرب وغيرهم ثم منهم من يجوز أخذها من كل مشرك ومنهم من لا يأخذها الا من أهل الكتاب والمجوس وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يأخذ الجزية من مشركى العرب وأخذها من المجوس وأهل الكتاب فمن قال يؤخذ من كل كافر قال ان آية الجزية لما نزلت أسلم مشركو العرب فانها نزلت عام تبوك ولم يبق عربى مشرك محاربا ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم ليغزو النصارى علم تبوك بجميع المسلمين الا من عذر الله ويدع الحجاز وفيه من يحاربه ويبعث أبا بكر عام تسع فنادى فى الموسم أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ونبذ العهود المطلقة وأبقى المؤقتة مادام أهلها موفين بالعهد كما أمر الله بذلك فى أول سورة التوبة وأنذر الذين نبذ اليهم أربعة أشهر وأمر عند انسلاخها بغزو المشركين

كافة قالوا فدان المشركون كلهم كافة بالاسلام ولم يرض بذل أداء الجزية لانه لم يكن لمشركى العرب من الدين بعد ظهور دين الاسلام ما يصبرون لأجله على أداء الجزية عن يد وهم صاغرون اذ كان عامة العرب قدأسلموا فلم يبق لمشركى العرب عز يعتزون به فدانوابالاسلام حيث أظهره الله فى العرب بالحجة والبيان والسيف والسنان : وقول النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » مراده قتال المحاربين الذين أذن الله فى قتالهم لم يرد قتال المعاهدين الذين أمر الله بوفاء عهدهم : وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول براءة يعاهد من عاهده من الكفار من غير أن يعطى الجزية عن يد فلما أنزل الله براءة وأمره بنبذ العهود المطلقة لم يكن له أن يعاهدهم كما كان يعاهدهم بل كان عليه أن يجاهد الجميع كما قال (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم)[1] وكان دين أهل الكتاب خيراً من دين المشركين ومع هذا فأمروا بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فاذا كان أهل الكتاب لا تجوز معاهدتهم كما كان ذلك قبل نزول براءة فالمشركون أولى بذلك أن لا تجوز معاهدتهم بدون ذلك قالوا فكان فى تخصيص اهل الكتاب بالذكر تنبيها بطريق الأولى على ترك معاهدة المشركين بدون الصغار والجزية كما كان يعاهدهم فى مثل هدنة الحديبية

[1] - التوبة ٥

وغير ذلك من المعاهدات : قالوا وقد ثبت فى الصحيح من حديث بريدة قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا بسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال أوخلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ادعهم الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فان أبوا ان يتحولوا منها فاخبرهم أنهم يكونون كاعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء الا أن يجاهدوا مع المسلمين فان هم أبوا فسلهم الجزية فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فان هم أبوا فاستعن عليهم وقاتلهم واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فانكم ان تخفروا ذممكم وذمة اصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فانك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا قالوا ففى الحديث أمره لمن أرسله أن يدعو الكفار الى الاسلام ثم الى الهجرة الى الامصار والا فالى أداء الجزية وان لم يهاجروا

كانوا كأعراب المسلمين والاعراب عامتهم كانوا مشركين فدل على أنه دعا الى أداء الجزية من حاصره من المشركين وأهل الكتاب : والحصون كانت باليمن كثيرة بعد نزول آية الجزية وأهل اليمن كان فيهم مشركون وأهل كتاب وأمر معاذاً أن يأخذ من كل حالم دينارا أوعد له معافر ولم يميز بين المشركين وأهل الكتاب فدل ذلك على أن المشركين من العرب آمنوا كما آمن من آمن من أهل الكتاب ومن لم يؤمن من أهل الكتاب أدى الجزية وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الجزية من أهل البحرين وكانوا مجوساً وأسلمت عبد القيس وغيرهم من أهل البحرين طوعا ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب الجزية على أحد من اليهود بالمدينة ولا بخيبر بل حاربهم قبل نزول آية الجزية وأقر اليهود بخيبر فلاحين بلا جزية الى أن أجلاهم عمر لانهم كانوا مهادنين له وكانوا فلاحين فى الارض فأقرهم لحاجة المسلمين اليهم ثم أمر باجلائهم قبل موته وأمر باخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب : فقيل هذا الحكم مخصوص بجزيرة العرب : وقيل بل هو عام فى جميع أهل الذمة اذا استغنى المسلمون عنهم أجلوهم من ديار الاسلام وهذا قول ابن جرير وغيره : ومن قال ان الجزية لا تؤخذ من مشرك قال ان آية الجزية نزلت والمشركون موجودون فلم يأخذها منهم

والمقصود أنه لم يخص العرب بحكم وان قيل انه خص جزيرة العرب التى هى حول المسجد الحرام كما خص المسجد الحرام بقوله

« انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا »[١]

وكذلك من قال من العلماء انه حرم على جميع المسلمين ما تستخبثه العرب وأحل لهم ما تستطيبه فجمهور العلماء على خلاف هذا القول كمالك وأبى حنيفة وأحمد وقدماء أصحابه ولكن الخرقى وطائفة منهم وافقوا الشافعى على هذا القول وأما أحمد نفسه فعامة نصوصه موافقة لقول جمهور العلماء وما كان عليه الصحابة والتابعون أن التحليل والتحريم لا يتعلق باستطابة العرب ولا باستخبائهم بل كانوا يستطيبون أشياء حرمها الله كالدم والميتة والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة واكيلة السبع : وما أهل به لغير الله وكانوا بل خيارهم يكرهون أشياء لم يحرمها الله حتى لحم الضب كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرهه وقال « لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه » وقال مع هذا انه ليس بمحرم وأكل على مائدته وهو ينظر وقال فيه « لا آكله ولا أحرمه » وقال جمهور العلماء الطيبات التى احلها الله ما كان نافعا لآكله فى دينه والخبيث ما كان ضارا له فى دينه : وأصل الدين العدل الذى بعث الله الرسل باقامته فما أورث الاكل بغيا وظلما حرمه كما حرم كل ذى ناب من السباع لانها باغية عادية والعادى شبيه بالمغتذى(١) فاذا تولد اللحم منها صار فى الانسان خلق البغى والعدوان وكذلك الدم يجمع قوى النفس من الشهوة والغضب فاذا اغتذى منه زادت شهوته وغضبه على المعتدى ولهذا لم يحرم منه الا المسفوح بخلاف القليل فانه لا يضر ولحم الخنزير

١ ـ التوبة ٢٨

(١) لعل صوابه العكس هكذا والمغتذي شبيه بالعادي.

يورث عامة الاخلاق الخبيثة اذ كان اعظم الحيوان فى أكل كل شىء لايعاف شيئا والله لم يحرم على أمة محمد شيئا من الطيبات وانما حرم ذلك على أهل الكتاب كما قال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم)[١] وقال تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون)[٢]

وأما المسلمون فلا يحرم عليهم الا الخبائث كالدم المسفوح فاماغير المسفوح كالذى يكون فى العروق فلم يحرمه بل ذكرت عائشة أنهم كانوا يصنعون اللحم فى القدر فيرون آثار الدم فى القدر ولهذا عفى جمهور الفقهاء عن الدم اليسير فى البدن والثياب اذا كان غير مسفوح واذا عفى عنه فى الأكل ففى اللباس والحمل أولى أن يعفى عنه وكذلك ريق الكلب يعفى عنه عند جمهور العلماء فى الصيد كما هو مذهب مالك وأبى حنيفة واحمد فى أظهر القولين فى مذهبه وهو أحد الوجهين فى مذهب الشافعى وان وجب غسل الأناء من ولوغه عند جمهورهم إذ كان الريق فى الولوغ كثيراً ساريا فى المائع لايشق الاحتراز منه بخلاف مايصيب الصيد فانه قليل ناشف فى جامد يشق الاحتراز منه :

وكذلك التقديم فى امامة الصلاة بالنسب لايقول به أكثر العلماء وليس فيه نص عن النبى صلى الله عليه وسلم بل الذى ثبت فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله قال فان كانوا

١ ـ النساء ١٦٠
٢ ـ الأنعام ١٤٦

فى القراة سواء فأعلمهم بالسنة فان كانوا فى السنة سواء فاقدمهم هجرة فان كانوا فى الهجرة سواء فاقدمهم سنا » فقدمه صلى الله عليه وسلم بالفضيلة العلمية ثم بالفضيلة العملية : وقدم العالم بالقرآن على العالم بالسنة ثم الأسبق الى الدين باختياره ثم الاسبق الى الدين بسنة ولم يذكر النسب وبهذا أخذ احمد وغيره فرتب الائمة كما رتبهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر النسب وكذلك أكثر العلماء كمالك وأبي حنيفة لم يرجحوا بالنسب ولكن رجح به الشافعى وطائفة من أصحاب احمد كالخرقى وابن حامد والقاضى وغيرهم واحتجوا بقول سلمان الفارسى ان لكم علينا معشر العرب ألا نؤمكم فى صلاتكم ولا ننكح نساءكم :

والاولون يقولون انما قال سلمان هذا تقديما منه للعرب على الفرس كما يقول الرجل لمن هو أشرف منه حقك على كذا وليس قول سلمان حكما شرعياً يلزم جميع الخلق أتباعه كما يجب عليهم اتباع أحكام الله ورسوله ولكن من تأس من الفرس بسلمان فله به أسوة حسنة فان سلمان سابق الفرس وكذلك اعتبار النسب فى أهل الكتاب ليس هو قول احد من الصحابة ولا يقول به جمهور العلماء كمالك وأبى حنيفة واحمد ابن حنبل وقدماء أصحابه ولكن طائفة منهم ذكرت عنه روايتين واختار بعضهم اعتبار النسب موافقة للشافعى والشافعى اخذ ذلك عن عطاء وبسط هذا له موضع :

والمقصود هنا أن النبى صلى الله عليه وسلم انما علق الاحكام بالصفات المؤثرة فيما يحبه الله وفيما يبغض فامر بما يحبه الله ودعا اليه بحسب الامكان

ونهى عما يبغضه الله وحسم مادته بحسب الامكان لم يخص العرب بنوع من أنواع الاحكام الشرعية اذ كانت دعوته لجميع البرية لكن نزل القرآن بلسانهم بل نزل بلسان قريش كما ثبت عن عمر بن الخطاب أنه قال لابن مسعود أقرىء الناس بلغة قريش فان القرآن نزل بلسانهم وكما قال عثمان للذين يكتبون المصحف من قريش والانصار اذا اختلفتم فى شيء فاكتبوه بلغة هذا الحى من قريش فان القرآن نزل بلسانهم وهذا لاجل التبليغ لانه بلغ قومه أولا ثم بواسطتهم بلغ سائر الأمم وأمره الله بتبليغ قومه أولا ثم بتبليغ الاقرب فالاقرب اليه كما أمر بجهاد الاقرب فالاقرب:

وما ذكره كثير من العلماء من أن غير العرب ليسوا أكفاء للعرب فى النكاح فهذه مسألة نزاع بين العلماء فمنهم من لايرى الكفاءة الافى الدين ومن رآها فى النسب أيضا فانه يحتج بقول عمر لامنعن ذوات الاحساب الامن الاكفاء لان النكاح مقصوده حسن الالفة فاذا كانت المرأة أعلى منصباً أشتغلت عن الرجل فلايتم به المقصود: وهذه حجة من جعل ذلك حقالله حتى أبطل النكاح اذا زوجت المرأة بمن لا يكافئها فى الدين أو المنصب ومن جعلها حقا لآدمى قال ان فى ذلك غضاضة على أولياء المرأة وعليها والامر اليهم فى ذلك:

ثم هؤلاء لايخصون الكفاءة بالنسب بل يقولون هى من الصفات التى تتفاضل بها النفوس كالصناعة واليسار والحرية وغير ذلك وهذه مسائل اجتهادية ترد الى الله والرسول فان جاء عن الله ورسوله مايوافق أحد القولين فما جاء عن الله لايختلف والا فلا يكون قول أحد حجة على

الله ورسوله وليس عن النبى صلى الله عليه وسلم نص صحيح صريح فى هذه الامور بل قد قال صلى الله عليه وسلم « ان الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء الناس رجلان مؤمن تقى وفاجر شقى » : وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر فى الأحساب والطعن فى الأنساب والنياحة والاستسقاء بالنجوم » وقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ان الله اصطفى كنانة من بنى اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفانى من بنى هاشم فأنا خيركم نفسا وخيركم نسبا » :

وجمهور العلماء على أن جنس العرب خير من غيرهم كما أن جنس قريش خير من غيرهم وجنس بنى هاشم خير من غيرهم وقد ثبت فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الناس معادن كمادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا » لكن تفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم أن يكون كل فرد أفضل من كل فرد فان فى غير العرب خلق كثير خير من أكثر العرب : وفى غير قريش من المهاجرين والأنصار من هو خير من أكثر قريش : وفى غير بنى هاشم من قريش وغير قريش من هو خير من أكثر بنى هاشم : كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « ان خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وفى القرون المتأخرة من هو خير من كثير من القرن الثانى والثالث ومع هذا فلم يخص النبى

صلى الله عليـه وسـلم القرن الثانى والثالث بحكم شرعى كذلك لم يخص العرب بحكم شرعى بل ولا خص بعض أصحابه بحكم دون سائر أمته ولكن الصحابة لما كان لهم من الفضل أخبر بفضلهم : وكذلك السابقون الأولون لم يخصهم بحكم ولكن أخبر بما لهم من الفضل لما اختصوا به من العمل وذلك لا يتعلق بالنسب :

والمقصود هنا أنه أرسل الى جميع الثقلين الانس والجن فلم يخص العرب دون غيرهم من الأمم بأحكام شرعية ولـكن خص قريشاً بأن الامامة فيهم وخص بنى هاشم بتحريم الزكاة عليهم وذلك لان جنس قريش لما كانوا أفضل وجب أن تكون الامامة فى أفضل الأجناس مع الامكان وليست الامامة أمراً شاملا لـكل أحد منهم وانما يتولاها واحد من الناس * وأما تحريم الصـدقة فحرمها عليـه وعلى أهل بيته تكميلا لتطهيرهم ودفعاً للتهمة عنه كما لم يورث فلا يأخذ ورثته درهما ولا ديناراً بل لا يكون له ولمن يمونه من مال الله الا نفقتهم وسائر مال الله يصرف فيما يحبه الله ورسوله : وذوو قرباه يعطون بمعروف من مال الخمس : والفىء الذى يعطى منه فى سائر مصالح المسلمين لا يختص أصناف معينة كالصدقات : ثم ما جعل لذوى القربى قيل انه سقط بموته كما يقوله أبو حنيفة وقيل هو لقربى من يلى الأمر بعده كما روى عنه « ما أطعم الله نبياً طعمة الا كانت لمن يلى الأمر بعـده » وهـذا قول أبى ثور وغيره : وقيل ان هذا كان مأخذ عثمان فى اعطاء بنى أمية : وقيل هو لذوى قربى الرسول صلى الله عليه وسلم دائماً :

ثم من هؤلاء من يقول هو مقدر بالشرع وهو خمس الخمس كما يقوله الشافعى وأحمد فى المشهور عنه : وقيل بل الخمس والفئ يصرف فى مصالح المسلمين باجتهاد الامام ولا يقسم على أجزاء مقدرة متساوية وهذا قول مالك وغيره وعن أحمد أنه جعل خمس الزكاة فيئاً وعلى هذا القول يدل الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين وبسط هذه الأمور له موضع آخر:

والمقصود هنا أن بعض آيات القرآن وان كان سببه أمورا كانت فى العرب فحكم الآيات عام يتناول ما تقتضيه الآيات لفظا ومعنى فى أى نوع كان ومحمد صلى الله عليه وسلم بعث الى الانس والجن :وجماهير الأمم يقر بالجن ولهم معهم وقائع يطول وصفها ولم ينكر الجن الا شرذمة قليلة من جهال المتفلسفة والأطباء ونحوهم وأما أكابر القوم فالمأثور عنهم اما الاقرار بها واما أن لايحكى عنهم فى ذلك قول : ومن المعروف عن أبقراط أنه قال فى بعض المياه انه ينفع من الصرع لست أعنى الذى يعالجه أصحاب الهياكل وانما أعنى الصرع الذى يعالجه الأطباء وأنه قال طبنا مع طب أهل الهياكل كطب العجائز مع طبنا وليس لمن أنكر ذلك حجة يعتمد عليها تدل على النفى وانما معه عدم العلم اذ كانت صناعته ليس فيها ما يدل على ذلك كالطبيب الذى ينظر فى البدن من جهة صحته ومرضه الذى يتعلق بمزاجه وليس فى هذا تعرض لما يحصل من جهة النفس ولا من جهة الجن وان كان قد علم من غير طبه أن للنفس تأثيراً عظيما فى البدن أعظم من تأثير الأسباب الطبية وكذلك

للجن تأثير فى ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح « ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » وفى الدم الذى هو البخار الذى تسميه الأطباء الروح الحيوانى المنبعث من القلب السارى فى البدن الذى به حياة البدن كما قد بسط هذا فى موضع آخر :

والمراد هنا أن محمداً صلى الله عليه وسلم أرسل الى الثقلين الانس والجن وقد أخبر الله فى القرآن أن الجن استمعوا القرآن وأنهم آمنوا به كما قال تعالى (واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا)[١] الى قوله (أولئك فى ضلال مبين)[٢] ثم أمره أن يخبر الناس بذلك فقال تعالى (قل أوحى الىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجبا)[٣] الخ فأمره أن يقول ذلك ليعلم الانس بأحوال الجن وأنه مبعوث الى الانس والجن لما فى ذلك من هدى الانس والجن ما يجب عليهم من الايمان بالله ورسله واليوم الآخر وما يجب من طاعة رسله ومن تحريم الشرك بالجن وغيرهم كما قال فى السورة (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً)[٤] كان الرجل من الانس ينزل بالوادى والأودية مظان الجن فانهم يكونون بالأودية أكثر مما يكونون بأعالى الأرض فكان الانسى يقول أعوذ بعظيم هذا الوادى من سفهائه فلما رأت الجن أن الانس تستعيذ بها زاد طغيانهم وغيّهم : وبهذا يجيبون المعزم والراقي بأسمائهم وأسماء ملوكهم فانه يقسم عليهم بأسماء من يعظمونه فيحصل لهم بذلك من الرئاسة والشرف على الانس مايحملهم على أن يعطوهم بعض سؤلهم

١ ـ الأحقاف ٢٩
٢ ـ الأقاف ٣٢
٣ ـ الجن ١
٤ ـ الجن ٦

لاسيما وهم يعلمون أن الانس أشرف منهم وأعظم قدراً فاذا خضعت الانس لهم واستعاذت بهم كان بمنزلة أكابر الناس اذا خضع لأصاغرهم ليقضى له حاجته

ثم الشياطين منهم من يختارون الكفر والشرك ومعاصى الرب وابليس وجنوده من الشياطين يشتهون الشر ويلتذون به ويطلبونه ويحرصون عليه بمقتضى خبث أنفسهم وان كان موجباً لعذابهم وعذاب من يغوونه كما قال ابليس (فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين)[1] وقال تعالى (قال أرأيتك هذا الذى كرمت علىّ لئن أخرتنى الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا)[2] (١) وقال تعالى (ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين)[3] والانسان اذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهى مايضره ويلتذ به بل يعشق ذلك عشقاً يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله والشيطان هو نفسه خبيث فاذا تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية وأمثال ذلك اليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم

١ ـ ص ٨٣
٢ ـ الاسراء ٦٢
٣ ـ سبأ ٢٠

---

(١) قوله «لأحتنكن» يحتمل ان يكون مأخوذا من قولهم حنك الدابة واحتنكها اذا جعل فى حنكها الأسفل حبلا يقودها به وعلى هذا فمعناه لاحتنكن ذريته ولاستولين عليهم استيلاء قويا واخرج هذا ابن جرير وغيره عن ابن عباس رضى الله عنه : واليه ذهب الفراء : ويحتمل ان يكون مأخوذا من احتنك الجراد الارض اذا اهلك نباتها وجرد ماعليها واحتنك فلان مال فلان اذا اخذه واكله : وعلى ذلك قوله * تشكو اليك سنة قد اجحفت * جهدا الى جهد بنا فاضعفت * واحتنكت طوالنا واجلفت * وعلى هذا فمعناه لاستأصلنهم واهلكنهم بالاغواء : واختار هذا الجبائى والطبرى وجماعة : وكأنه مأخوذ من الحنك وهو باطن اعلى الفم من داخل فهو اشتقاق من اسم عين : والمراد بالقليل فى الآية هم العلماء بالكتاب والسنة العاملون بهما المخلصون له فيهما جعلنا الله واياكم منهم آمين :

فيقضون بعض أغراضه كمن يعطى غيره مالا ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاحشة أو ينال معه فاحشة:

ولهذا كثير من هذه الأمور يكتبون فيها كلام الله بالنجاسة وقد يقلبون حروف كلام الله عز وجل إما حروف الفاتحة واما حروف قل هو الله أحد واما غيرها بنجاسة اما دم واما غيره واما بغير نجاسة أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان أو يتكلمون بذلك فاذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين اعانتهم على بعض أغراضهم اما تغوير ماء من المياه واما أن يحمل فى الهواء الى بعض الأمكنة واما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس كما تسرقه الشياطين من أموال الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه وتأتى به: واما غير ذلك وأعرف فى كل نوع من هذه الأنواع من الأمور المعينة ومن وقعت له بمن أعرفه مايطول حكايته فانهم كثيرون جداً:

والمقصود أن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث الى الثقلين واستمع الجن لقراءته وولوا الى قومهم منذرين كما أخبر الله عز وجل وهذا متفق عليه بين المسلمين ثم أكثر المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم يقولون انهم جاؤوه بعد هذا وانه قرأ عليهم القرآن وبايعوه وسألوه الزاد لهم ولدوابهم فقال لهم « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه أوفر ما يكون لحما ولكم كل بعرة علف لدوابكم » قال النبى صلى الله عليه وسلم « فلا تستنجوا بهما فانهما زاد اخوانكم من الجن » وهذا ثابت فى صحيح مسلم وغيره من حديث ابن مسعود: وقد ثبت فى

صحيح البخارى وغيره من حديث أبى هريرة نهيه صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء بالعظم والروث فى أحاديث متعددة * وفى صحيح مسلم وغيره عن سلمان « قال قيل له قد علمكم نبيكم كل شئ حتى الخرآة قال فقال أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أوبول وأن نستنجى باليمين وأن نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار وأن نستنجى برجيع أو عظم » : وفى صحيح مسلم وغيره أيضاً عن جابر قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتمسح بعظم أو ببعر » وكذلك النهى عن ذلك فى حديث خزيمة بن ثابت وغيره :

وقد بين علة ذلك فى حديث ابن مسعود : ففى صحيح مسلم وغيره عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما زاد اخوانكم » وفى صحيح البخارى وغيره عن أبى هريرة « أنه كان يحمل مع النبي صلى الله عليه وسلم اداوة لوضوئه وحاجته فبينما هو يتبعه بها قال من هذا قلت أبا هريرة قال أبغنى أحجارا استنفض بها ولا تأتنى بعظم ولا بروثة فأتيته بأحجار أحملها فى طرف ثوبى حتى وضعتها الى جنبه ثم انصرفت حتى اذا فرغ مشيت فقلت ما بال العظم والروثة قال هما من طعام الجن وانه أتانى وفد جن نصيبين ونعم الجن فسألونى الزاد فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا روثة الا وجدوا عليها طعاماً »

ولما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء بما يفسد طعام الجن وطعام دوابهم كان هـذا تنبيهاً على النهى عما يفسد طعام الانس وطعام دوابهم بطريق الأولى لكن كراهة هذا والنفور عنه ظاهر فى فطر الناس بخلاف العظم والروثة فانه لايعرف نجاسة طعام الجن فلهذا جاءت الأحاديث الصحيحة المتعـددة بالنهى عنـه : وقد ثبت بهـذه الأحاديث الصحيحة أنه خاطب الجن وخاطبوه وقرأ عليهـم القرآن وأنهـم سألوه الزاد * وقد ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس أنه كان يقول « ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الجن ولا خاطبهم ولكن أخبره أنهم سمعوا القرآن » وابن عباس قد علم مادل عليه القرآن من ذلك ولم يعلم ماعلمه ابن مسعود وأبو هريرة وغيرهما من اتيان الجن اليه ومخاطبته اياهم وأنه أخبره بذلك فى القرآن وأمره أن يخبر به وكان ذلك فى أول الأمر لما حرست السماء وحيـل بينهم وبين خبر السماء وملئت حرساً شديداً وكان ذلك من دلائل النبوة ما فيه عبرة كما قد بسط فى موضع آخر: وبعد هذا أتوه وقرأ عليهم القرآن «وروى أنه قرأ عليهم سورة الرحمن وصار كلما قال (فبأى آلاء ربكما تكذبان)[1] قالوا ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد »

وقد ذكر الله فى القرآن من خطاب الثقلين مايبين هذا الأصل كقوله تعالى (يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسـل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هـذا قالوا شهدنا على أنفسنا)[2] وقد أخبر الله عن الجن أنهم قالوا (وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا

١ ـ الرحمن ٣٤
٢ ـ الأنعام ١٣٠

طرائق قددا)[١] أى مذاهب شتى مسلمون وكفار وأهل سنة وأهل بدعة : وقالوا (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)[٢] والقاسط الجائر يقال قسط اذا جار وأقسط اذا عدل : وكافرهم معذب فى الآخرة باتفاق العلماء : وأما مؤمنهم فجمهور العلماء على أنه فى الجنة وقد روى « أنهم يكونون فى ربض الجنة (١) تراهم الانس من حيث لا يرونهم » وهـذا القول مأثور عن مالك والشافعى وأحمد وأبى يوسف ومحمد * وقيل ان ثوابهم النجاة من النار وهو مأثور عن أبى حنيفة : وقد احتج الجمهور بقوله (لم يطمثهن (٢) انس قبلهم ولا جان)[٣] قالوا فدل ذلك على تأتى الطمث منهم لان طمث الحور العين انما يكون فى الجنة .

فصل

واذا كان الجن أحياء عقلاء مأمورين منهيين لهم ثواب وعقاب وقد أرسل اليهم النبى صلى الله عليه وسلم فالواجب على المسلم أن يستعمل فيهم ما يستعمله فى الانس من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة الى الله كما شرع الله ورسوله وكما دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم ويعاملهم اذا اعتدوا بما يعامل به المعتدون فيدفع صولهم بما يدفع صول الانس.

وصرعهم للانس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق

١ ـ الجن ١١

٢ ـ الجن ١٤ـ١٥

٣ ـ الرحمن ٥٦

---

(١) الربض بفتحتين ماحول الجنة خارجا عنها (٢ أى لم يدمهن بالنكاح

للانس مع الانس وقد يتنا كح الانس والجن ويولد بينهما ولد وهذا كثير معروف : وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه وكره أكثر العلماء مناكحة الجن * وقد يكون وهو كثير أو الاكثر عن بغض ومجازاة مثل أن يؤذيهم بعض الانس أو يظنوا أنهم يتعمدوا أذاهم إما ببول على بعضهم واما بصب ماء حار واما بقتل بعضهم وان كان الانسى لا يعرف ذلك وفى الجن جهل وظلم فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه : وقد يكون عن عبث منهم وشر بمثل سفهاء الناس.

وحينئذ فما كان من الباب الأول فهو من الفواحش التى حرمها الله تعالى كما حرم ذلك على الانس وان كان برضى الآخر فكيف اذا كان مع كراهته فانه فاحشة وظلم فيخاطب الجن بذلك ويعرّفون أن هذا فاحشة محرمة أو فاحشة وعدوان لتقوم الحجة عليهم بذلك ويعلموا أنه يحكم فيهم بحكم الله ورسوله الذى أرسله الى جميع الثقلين الانس والجن * وما كان من القسم الثانى فان كان الانسى لم يعلم فيخاطبون بأن هذا لم يعلم ومن لم يتعمد الأذى لا يستحق العقوبة وان كان قد فعل ذلك فى داره وملكه عرفوا بأن الدار ملكه فله أن يتصرف فيها بما يجوز وأنتم ليس لكم أن تمكثوا فى ملك الانس بغير اذنهم بل لكم ماليس من مساكن الانس كالخراب والفلوات ولهذا يوجدون كثيرا فى الخراب والفلوات : ويوجدون فى مواضع النجاسات كالحمامات والحشوش والمزابل والقمامين والمقابر : والشيوخ الذين تقترن بهم الشياطين وتكون أحوالهم شيطانية لا رحمانية يأوون كثيرا الى هذه

الأماكن التى هى مأوى الشياطين :

وقد جاءت الآثار بالنهى عن الصلاة فيها لأنها ماوى الشياطين : والفقهاء منهم من علل النهى بكونها مظنة النجاسات : ومنهم من قال انه تعبد لا يعقل معناه : والصحيح أن العلة فى الحمام وأعطان الابل ونحوذلك أنها مأوى الشياطين : وفى المقبرة أن ذلك ذريعة الى الشرك مع أن المقابر تكون أيضاً مأوى الشياطين: والمقصود أن أهل الضلال والبدع الذين فيهم زهد وعبادة على غير الوجه الشرعى ولهم أحياناً مكاشفات ولهم تأثيرات يأوون كثيرا الى مواضع الشياطين التى نهى عن الصلاة فيها لأن الشياطين تستنزل عليهم بها وتخاطبهم الشياطين يبعض الأمور كما تخاطب الكهان : وكما كانت تدخل فى الأصنام وتكلم عابدى الأصنام وتعينهم فى بعض المطالب كما تعين السحرة وكما تعين عباد الأصنام وعباد الشمس والقمر والكواكب اذا عبدوها بالعبادات التى يظنون أنها تناسبها من تسبيح لها ولباس وبخور وغير ذلك فانه قد تنزل عليهم شياطين يسمونها روحانية الكوكب وقد تقضى بعض حوائجهم اما قتل بعض أعدائهم أو امراضه واما جلب بعض من يهوونه واما احضار بعض المال ولكن الضرر الذى يحصل لهم بذلك أعظم من النفع بل يكون أضعاف أضعاف النفع :

والذين يستخدمون الجن بهذه الأمور يزعم كثير منهم أن سليمان كان يستخدم الجن بها (١) فانه قد ذكر غير واحد من علماء السلف

---

(١) قال ابن النديم فى كتاب الفهرست فى اخبار العلماء واسماء ماصنفوه من الكتب فى الفن الثانى

أن سليمان لما مات كتبت الشياطين كتب سحر وكفر وجعلتها تحت كرسيه وقالوا كان سليمان يستخدم الجن بهذه فطعن طائفة من أهل الكتاب فى سليمان بهذا السبب وآخرون قالوا لولا أن هذا حق جائز لما فعله سليمان فضل الفريقان هؤلاء بقدحهم فى سليمان : وهؤلاء باتباعهم السحر فأنزل الله تعالى فى ذلك قوله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم)[1] الى قوله تعالى (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون)[2] بين سبحانه أن هذا لا يضر ولا ينفع اذ كان النفع هو الخير الخالص أو الراجح والضرر هو الشر الخالص أو الراجح وشر هذا اما خالص واما راجح

والمقصود أن الجن اذا اعتدوا على الانس أخبروا بحكم الله ورسوله وأقيمت عليهم الحجة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كما

١ - البقرة ١٠١

٢ - البقرة ١٠٣

ماحاصله يقال والله اعلم ان سليمان بن داود صلوات الله عليهم اول من استعبد الجن والشياطين واستخدمها : وقيل اول من استعبدها على مذهب الفرس جمشيد بن اوبخهان : وكان يكتب لسليمان بن داود عليه الصلاة والسلام : وممن استعبدهم آصف بن برخيان ويوسف بن عيصو والهرمزان بن الكردول : والذى فتح هذا الامر فى الاسلام ابو نصر احمد بن هلال البكيل وهلال بن وصيف وكان مخدوما ومناطقا له وله افعال عجيبة وخواتيم مجربة وله من الكتب كتاب الروح المتلاشية وكتاب المفاخرة فى الأعمال وغير ذلك : ومن المعزمين الذين يعملون باسماء الله تعالى رجل يعرف بابن الامام وكان فى ايام المعتضد : ومنهم عبد الله بن هلال : وصالح المدرى : وعقبة الأدرعى : وأبو خالد الخراسانى : ومن هؤلاء من كان يترك الصلاة تقربا الى ابليس وجنوده : ويجمع بين الرجال والنساء فى الحرام : ولا شك ان من يستخدم الجن والشياطين يحصل له من المخالفات ضرورة لارضائهم والتقرب اليهم لاسيما فى زماننا هذا زمان الدجل والزندقة والالحاد حمانا الله واياكم من ذلك والله اعلم

يفعل بالانس لان الله يقول (وما كنا معـذبين حتى نبعث رسولا)[١]
وقال تعالى (يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم
آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا)[٢] ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم
عن قتل حيات البيوت حتى تؤذن ثلاثا كما فى صحيح مسلم وغيره عن
أبى سعيد الخدرى « قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة
نفراً من الجن قد أسلموا فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثا
فان بدا له بعد فليقتله فانه شيطان » وفى صحيح مسلم أيضاً عن أبى
السائب مولى هشام بن زهرة « أنه دخل على أبى سعيد الخدرى فى بيته
قال فوجدته يصلى فجلست أنتظره حتى يقضى صلاته فسمعت تحريكا
فى عراجين فى ناحية البيت فالتفت فاذا حية فوثبت لأقتلها فأشار الىّ
أن اجلس فجلست فلما انصرف أشار الى بيت فى الدار فقال أترى هذا
البيت فقلت نعم فقال كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس قال فخرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فكان ذلك الفتى يستأذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنصاف النهار فيرجع الى أهله فاستأذنه
يوماً فقال له رسول الله صلى الله عليـه وسلم خذ عليك سلاحك فانى
أخشى عليـك قريظة فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع فاذا امرأته بين
البابين قائمة فأهوى اليها بالرمح ليطعنها به وأصابته غيرة فقالت اكفف
عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجنى فدخـل فاذا
بحية عظيمة منطوية على الفراش فأهوى اليها بالرمح فانتظمها به ثم خرج
فركزه فى الدار فاضطربت عليـه فما يدرى أيهما كان أسرع موتا الحية

١ ـ الاسراء ١٥
٢ ـ الأنعام ١٣٠

ام الفتى قال فجئنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك وقلنا ادع الله يحييه لنا قال استغفروا لصاحبكم ثم قال ان بالمدينة جناً قد أسلموا فاذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان » وفى لفظ آخر لمسلم أيضا « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم شيئا منها فحرجوا عليه ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر » وقال لهم اذهبوا فادفنوا صاحبكم

وذلك ان قتل الجن بغير حق لا يجوز كما لا يجوز قتل الانس بلا حق والظلم محرم فى كل حال فلا يحل لأحد أن يظلم أحداً ولو كان كافراً بل قال تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)[1] والجن يتصورون فى صور الانس والبهائم فيتصورون فى صور الحيات والعقارب وغيرها : وفى صور الابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وفى صور الطير وفى صور بنى آدم كما أتى الشيطان قريشا فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم لما أرادوا الخروج الى بدر قال تعالى (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم)[2] الى قوله (والله شديد العقاب) وكما روى أنه تصور فى صورة شيخ نجدى لما اجتمعوا بدار الندوة (١) هل

١ ـ المائدة ٨
٢ ـ الأنفال ٤٨

(١) وحاصله على ماحكاه أصحاب السير: ان قريشا لما رأت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا انهم قد نزلوا داراً وأصابوا سعة فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا انه

قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً
الا فيها يتشاورون فيها ما يصنعون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه قال ابن اسحق
فحدثني من لا اتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج وغيره
ممن لا اتهم عن ابن عباس قال لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا دار الندوة ليتشاوروا
فيها في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى
يوم الزحمة فاعترضهم ابليس في صورة شيخ جليـل عليه بتلة فوقف على باب الدار فلما رأوه
واقفاً على بابها قالوا من الشيخ فقال شيخ من أهل نجـد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم
ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً قالوا أجل فادخل فدخل وقد اجتمع فيها
أشراف قريش : من بني عبد شمس عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب
:ومن بني نوفل بن عبد مناف طعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحارث بن عمرو بن نوفل:
ومن بني عبد الدار بن قصي النضر بن الحارث بن كلدة:ومن بني أسد بن عبد العزى أبو البختري
ابن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام : ومن بني مخزوم أبو جهل ابن هشام : ومن بني
سهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج :ومن بني جمح أمية بن خلف ومن كان منهم ومن غيرهم ممن لا يعد
من قريش فقال بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم وانا والله لا نأمن
من الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رأياً قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم احبسوه
في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهير
والنابغة ومن مضى منهم من هـذا الموت حتى يصيبه ما اصابهم فقال الشيخ النجدي لا والله
ماهذا لكم برأي والله ان حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي اغلقتم
دونه الى اصحابه فلا يوشك ان يثبوا عليكم فينتزعوه من ايديكم ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على
أمركم ماهذا لكم برأي فانظروا في غيره فتشاوروا ثم قال قائل منهم نخرجه من بين أظهرنا
فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فوالله ما نبالي اين ذهب ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا
منه أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت فقال الشيخ النجدي والله ماهذا لكم برأي ألم تروا حسن
حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل
على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه حتى يبايعوه عليه ثم يسير بهم اليكم
حتى يطأكم بهم فيخرج امركم من ايديكم ثم يفعل بكم ما أراد فاروا فيه رأياً غير هذا قال فقال
أبو جهل بن هشام والله ان لي لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا أبا الحكم قال أرى
أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلداً نسيباً وسطاً ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم
يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في
القبائل جميعاً فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم قال
يقول الشيخ النجدي القول ماقال الرجل هذا الرأي لا أرى غيره فتفرق القوم على ذلك وهم
مجمعون له فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبيت الليلة على فراشك الذي كنت
تبيت عليه قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه فلما
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب نم على فراشي وتوشح ببردي
هذا الاخضر فنم فيه فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقتلوا الرسول أو يحبسوه أو يخرجوه كما قال تبارك وتعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)[1] فاذا كان حيّات البيوت قد تكون جنا فتؤذن ثلاثا فان ذهبت والا قتلت فانها ان كانت حية قتلت وان كانت جنية فقد أصرت على العدوان بظهورها للانس فى صورة حية تفزعهم بذلك والعادى هو الصائل الذى يجوز دفعه بما يدفع ضرره ولو كان قتلا وأما قتلهم بدون سبب يبيح ذلك فلا يجوز :

وأهل العزائم والأقسام يقسمون على بعضهم ليعينهم على بعض تارة يبرون قسمه وكثيراً لايفعلون ذلك بان يكون ذلك الجنى معظما

[1] ١ ـ الأنفال ٣٠

ينام فى برده ذلك اذا نام فحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب قال لما أجمعوا له وفيهم أبو جهل ابن هشام فقال وهم على بابه ان محمداً يزعم انكم ان بايعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن وان لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فاخذ حفنة من تراب فى يده ثم قال نعم انا اقول ذلك أنت أحدهم وأخذ الله ابصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يتلو هذه الآيات يس الى فهم لا يبصرون ولم يبق رجل الاوقد وضع على رأسه ترابا وانصرف الى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال وما تنتظرون ههنا قالوا محمداً قال قد خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد وما ترك أحدا منكم الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون مابكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متشحا ببرد النبى صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائما عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام على عن الفراش فقالوا والله لقد صدقنا الذى كان حدثنا فكان مما أنزل الله تعالى من القرآن فى ذلك (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير للماكرين) وقول الله تعالى (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) *وسبب اختيار ابليس للتزى بشيخ نجدى هو ان قريشا قالوا لايدخل معكم فى المشاورة احد من اهل تهامة لان هو اهم مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم والله اعلم

عندهم وليس المعزم وعزيمته من الحرمة مايقتضى اعانتهم على ذلك اذ كان المعزم قد يكون بمنزلة الذى يحلف غيره ويقسم عليه بمن يعظمه وهذا يختلف أحواله فمن أقسم على الناس ليؤذوا من هو عظيم عندهم لم يلتفتوا اليه وقد يكون ذاك منيعا فاحوالهم شبيهة بأحوال الانس لكن الانس أعقل وأصدق وأعدل وأوفى بالعهد : والجن أجهل وأكذب وأظلم وأغدر :

والمقصود أن أرباب العزائم مع كون عزائمهم تشتمل على شرك وكفر لا تجوز العزيمة والقسم به فهم كثيراً يعجزون عن دفع الجنى وكثيراً ماتسخر منهم الجن اذا طلبوا منهم قتل الجنى الصارع للانس أوحبسه فيخيلوا اليهم أنهم قتلوه أوحبسوه ويكون ذلك تخييلا وكذبا هذا اذا كان الذي يرى مايخيلونه صادقا فى الرؤية فان عامة مايعرفونه لمن يريدون تعريفه اما بالمكاشفة والمخاطبة ان كان من جنس عباد المشركين وأهل الكتاب ومبتدعة المسلمين الذين يضلهم الجن والشياطين : واما مايظهرونه لاهل العزائم والأقسام أنهم يمثلون ما يريدون تعريفه فاذا رأى المثال أخبر عن ذلك وقد يعرف انه مثال وقد يوهمونه أنه نفس المرئى واذا أرادوا سماع كلام من يناديه من مكان بعيد مثل من يستغيث ببعض العباد الضالين من المشركين وأهل الكتاب وأهل الجهل من عباد المسلمين اذا استغاث به بعض محبيه فقال ياسيدى فلان فان الجنى يخاطبه بمثل صوت دلك الانسى فاذا رد الشيخ عليه الخطاب اجاب ذلك الانسى بمثل ذلك الصوت وهذا وقع لعدد كثير أعرف منهم طائفة :

فصل

وكثيرا ما يتصور الشيطان بصورة المدعو المنادى المستغاث به اذا كان ميتا وكذلك قد يكون حيا ولا يشعر بالذى ناداه بل يتصور الشيطان بصورته فيظن المشرك الضال المستغيث بذلك الشخص أن الشخص نفسه أجابه وانما هو الشيطان وهذا يقع للكفار المستغيثين بمن يحسنون به الظن من الأموات والأحياء كالنصارى المستغيثين بجرجس وغيره من قداديسهم ويقع لاهل الشرك والضلال من المنتسبين الى الاسلام الذين يستغيثون بالموتى والغائبين يتصور لهم الشيطان فى صورة ذلك المستغاث به وهو لايشعر : واعرف عددا كثيرا وقع لهم فى عدة أشخاص يقول لى كل من الاشخاص انى لم أعرف ان هذا استغاث بى والمستغيث قد رأى ذلك الذى هو على صورة هذا وما أعتقد انه الا هذا : وذكر لى غير واحد انهم استغاثوا بى كل يذكر قصة غير قصة صاحبه فاخبرت كلا منهم انى لم أجب أحدا منهم ولا علمت باستغاثته فقيل هذا يكون ملكا فقلت الملك لا يغيث المشرك انما هو شيطان أراد ان يضله : وكذلك يتصور بصورته ويقف بعرفات فيظن من يحسن به الظن أنه وقف بعرفات وكثير منهم حمله الشيطان الى عرفات أو غيرها من الحرم فيتجاوز الميقات بلا احرام ولا تلبية ولا يطوف بالبيت ولا بالصفا والمروة وفيهم من لا يعبر مكة وفيهم من يقف بعرفات ويرجع ولا يرمى الجمار الى أمثال ذلك من الأمور التى يضلهم بها الشيطان

حيث فعلوا ماهو منهى عنه فى الشرع اما محرم واما مكروه ليس بواجب ولا مستحب وقد زين لهم الشيطان ان هذا من كرامات الصالحين وهو من تلبيس الشيطان فان الله لا يعبد الا بما هو واجب او مستحب وكل من عبد عبادة ليست واجبة ولا مستحبة وظنها واجبة او مستحبة فانما زين ذلك له الشيطان وان قدر انه عفى عنه لحسن قصده واجتهاده لكن ليس هذا مما يكرم الله به أولياءه المتقين اذ ليس فى فعل المحرمات والمكروهات اكرام بل الاكرام حفظه من ذلك ومنعه منه فان ذلك ينقصه لا يزيده وان لم يعاقب عليه بالعذاب فلا بد ان يخفضه عما كان ويخفض اتباعه الذين يمدحون هذه الحال ويعظمون صاحبها فان مدح المحرمات والمكروهات وتعظيم صاحبها هو من الضلال عن سبيل الله وكلما ازداد العبد فى البدع اجتهادا ازداد من الله بعداً لانها تخرجه عن سبيل الله سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الى بعض سبيل المغضوب عليهم والضالين

فصل

اذا عرف الأصل فى هذا الباب فنقول يجوز بل يستحب وقد يجب أن يذب عن المظلوم وأن ينصر فان نصر المظلوم مأمور به بحسب الامكان : وفى الصحيحين حديث البرآء بن عازب قال « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وابرار القسم أو المقسم ونصر المظلوم واجابة

الداعى وافشاء السلام ونهانا عن خواتيم أو تختم الذهب وعن شرب بالفضة وعن المياثر وعن القسى ولبس الحرير والاستبرق والديباج » وفى الصحيح عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنصر أخاك ظالما أو مظلوما قالت يارسول الله انصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه » وأيضا ففيه تفريج كربة هذا المظلوم : وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » : وفى صحيح مسلم أيضا عن جابر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الرقي قال من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » لكن ينصر بالعدل كما أمر الله ورسوله مثل الأدعية والاذكار الشرعية ومثل أمر الجنى ونهيه كما يؤمر الانسى وينهى ويجوز من ذلك مايجوز مثله فى حق الانسى مثل أن يحتاج الى انتهار الجنى وتهديده ولعنه وسبه كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى الدرداء « قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يارسول الله قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة

فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت آخذه ووالله لولا دعوة أخينا سليمان لاصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة » فى هذا الحديث الاستعاذة منه ولعنته بلعنة الله ولم يستأخر بذلك فمد يده اليه . وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال ان الشيطان عرض لى فشد علىّ ليقطع الصلاة على فامكننى الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه الى سارية حتى تصبحوا فتنظروا اليه فذكرت قول أخي سليمان رب هب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى فرده الله خاسئا » . فهذا الحديث يوافق الأول ويفسره : وقوله « ذعته » أى خنقته(١) فبين ان مد اليد كان لخنقه وهذا دفع لعدوانه بالفعل وهو الخنق وبه اندفع عدوانه فرده الله خاسئا :

وأما الزيادة وهو ربطه الى السارية فهو من باب التصرف الملكى الذى تركه لسليمان فان نبينا صلى الله عليه وسلم كان يتصرف فى الجن كتصرفه فى الانس تصرف عبد رسول يأمرهم بعبادة الله وطاعته لا يتصرف لأمر يرجع اليه وهو التصرف الملكى فانه كان عبداً رسولا وسليمان نبي ملك والعبد الرسول أفضل من النبي الملك كما ان السابقين المقربين أفضل من عموم الأبرار أصحاب اليمين : وقدروى النسائى على

---

(١) قوله « فذعته » الفاء للعطف وذعته بالذال المعجمة فعل ماض للمتكلم وحده وهو الخنق كما فسره المصنف : ويروى فدعته من الدع بالدال والعين المهملتين وهوالدفع : ومنه قوله تعالى (يوم يدعون الى نارجهنم دعا) أى يدفعون والله أعلم

شرط البخارى عن عائشة «ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وجدت برد لسانه على يدى ولولا دعوة سليمان لأصبح موثقاً حتى يراه الناس» ورواه احمد وأبو داود من حديث أبى سعيد وفيه «فأهويت بيدى فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعى هاتين الابهام والتى تليها» وهذا فعله فى الصلاة وهذا مما احتج به العلماء على جواز مثل هذا فى الصلاة وهو كدفع المار وقتل الاسودين والصلاة حال المسايفة :

وقد تنازع العلماء فى شيطان الجن اذا مر بين يدى المصلى هل يقطع على قولين هما قولان فى مذهب احمد كما ذكرهما ابن حامد وغيره أحدهما يقطع لهذا الحديث ولقوله لما أخبر أن مرور الكلب الأسود فقال الكلب الأسود شيطان فعلل بأنه شيطان : وهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فان الكلب الاسود شيطان الكلاب» والجن تتصور بصورته كثيرا وكذلك بصورة القط الأسود لان السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره وفيه قوة الحرارة :

ومما يتقرب به الى الجن الذبائح فان من الناس من يذبح للجن وهو من الشرك الذى حرمه الله ورسوله وروى أنه نهى عن ذبائح الجن واذا برىء المصاب بالدعاء والذكر وأمر الجن ونهيهم وانتهارهم وسبهم ولعنهم ونحو ذلك من الكلام حصل المقصود وان كان ذلك يتضمن مرض طائفة من الجن أو موتهم فهم الظالمون لأنفسهم اذا كان الراقى الداعى المعالج لم يتعد عليهم كما يتعدى عليهم كثير من أهل العزائم

فيأمرون بقتل من لايجوز قتله وقد يحبسون من لا يحتاج الى حبسه : ولهذا قد تقاتلهم الجن على ذلك ففيهم من يقتله الجن أو يمرضه : وفيهم من يفعل ذلك بأهله وأولاده أو دوابه :

وأما من سلك فى دفع عداوتهم مسلك العدل الذى أمر الله به ورسوله فانه لم يظلمهم بل هو مطيع لله ورسوله فى نصر المظلوم واغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب بالطريق الشرعى التى ليس فيها شرك بالخالق ولاظلم للمخلوق : ومثل هذا لا تؤذيه الجن اما لمعرفتهم بأنه عادل واما لعجزهم عنه : وان كان الجن من العفاريت وهو ضعيف فقد تؤذيه فينبغى لمثل هذا أن يحترز بقراءة العوذ مثل آية الكرسى والمعوذات والصلاة والدعاء ونحو ذلك مما يقوى الايمان ويجنب الذنوب التى بها يسلطون عليه فانه مجاهد فى سبيل الله : وهذا من أعظم الجهاد فليحذر أن ينصر العدو عليه بذنوبه وان كان الامر فوق قدرته فلا يكلف الله نفساً الا وسعها فلا يتعرض من البلاء لما لايطيق :

ومن أعظم ما ينتصر به عليهم آية الكرسى فقد ثبت فى صحيح البخارى حديث أبي هريرة قال « وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت لا رفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى محتاج وعلىّ عيال (١) ولى حاجة شديدة قال فخليت عنه فأصبحت فقال رسول الله صلى الله

---

(١) قوله « وعلى عيال » أي نفقة عيال كما فى قوله تعالى (واسأل القرية) وقيل على بمعنى لى :

عليه وسلم ياأبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة قلت يارسول الله شكى حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخليت سبيله قال اما أنه قد كذبك وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعنى فانى محتاج وعلى عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله فاصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا هريرة مافعل أسيرك قلت يارسول الله شكى حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال اما أنه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات انك تزعم لاتعود ثم تعود قال دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ماهن قال اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى الله لااله الاهو الحى القيوم حتى تختم الآية فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فاصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل أسيرك البارحة قلت يارسول الله زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله قال ماهى قلت قال لى اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية الله لااله الا هو الحى القيوم وقال لى لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص شىء على الخير فقال النبى صلى الله عليه وسلم اما أنه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال ياأبا هريرة قلت لا قال ذاك شيطان » .

ومع هذا فقد جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لهامن التأثير فى دفع الشياطين وابطال أحوالهم مالا ينضبط من كثرته وقوته فان لها تأثيرا عظيما فى دفع الشيطان عن نفس الانسان وعن المصروع وعن من تعينه الشياطين مثل أهل الظلم والغضب وأهل الشهوة والطرب وأرباب السماع المكاء والتصدية اذا قرئت عليهم بصدق دفعت الشياطين وبطلت الأمور التى يخيلها الشيطان ويبطل ما عند اخوان الشياطين من مكاشفة شيطانية وتصرف شيطانى اذ كانت الشياطين يوحون الى أوليائهم بامور يظنون الجهال من كرامات أولياء الله المتقين وانما هى من تلبيسات الشياطين على أوليائهم المغضوب عليهم والضالين

والصائل المعتدى يستحق دفعه سواء كان مسلما أو كافراً : وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد فاذا كان المظلوم له أن يدفع عن مال المظلوم ولو بقتل الصائل العادى فكيف لا يدفع عن عقله وبدنه وحرمته فان الشيطان يفسد عقله ويعاقبه فى بدنه وقد يفعل معه فاحشة أنسى بأنسى وان لم يندفع الا بالقتل جاز قتله : وأما اسلام صاحبه والتخلى عنه فهو مثل اسلام أمثاله من المظلومين وهذا فرض على الكفاية مع القدرة : ففى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه»(١) فان كان عاجزاً عن

(١) وقوله «ولا يسلمه» بسين مهمله اى لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه بل ينصره ويدفع عنه :

ذلك أو هو مشغول بما هو أوجب منه أو قام به غيره لم يجب وان كان قادرا وقد يمين عليه ولا يشغله عما هو أوجب منه وجب عليه

وأما قول السائل هل هذا مشروع فهذا من أفضل الاعمال وهو من أعمال الأنبياء والصالحين فانه مازال الانبياء والصالحون يدفعون الشياطين عن بنى آدم بما أمر الله به ورسوله كما كان المسيح يفعل ذلك وكما كان نبينا صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقد روى احمد فى مسنده وأبو داود فى سننه من حديث مطر بن عبد الرحمن الأعنق «قال حدثتنى أم أبان بنت الوازع بن زارع بن عامر العبدى عن أبيها أن جدها الزارع انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق معه بابن له مجنون أو ابن أخت قال جدى فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ان معى ابنا لى أو ابن أخت لى مجنون أتيتك به تدعو الله له قال أئتنى به قال فانطلقت به اليه وهو فى الركاب فاطلقت عنه والقيت عليه ثياب السفر والبسته ثوبين حسنين وأخذت بيده حتى انتهيت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادنه منى اجعل ظهره مما يلينى قال بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض ابطيه ويقول أخرج عدو الله أخرج عدو الله فاقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الاول ثم أقعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه فدعا له بماء فمسح وجهه ودعا له فلم يكن فى الوفد أحد بعد دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضل عليه» وقال احمد فى المسند ثنا عبد الله بن نمير عن عثمان بن حكيم انا عبد الرحمن بن عبد العزيز

عن يعلى بن مرة « قال لقد رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا مارآها أحد قبلي ولا يراها أحد بعدى لقد خرجت معه فى سفر حتى اذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها فقالت يارسول الله هذا صبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء يؤخذ فى اليوم ماأدرى كم مرة قال ناولينيه فرفعته اليه فجعلته بينه و بين واسطة الرحل ثم ففرفاه فنفث فيه ثلاثا وقال بسم الله أنا عبد الله اخسأ عدو الله ثم ناولها اياه فقال القينا فى الرجعة فى هذا المكان فاخبرينا مافعل قال فذهبنا ورجعنا فوجدناها فى ذلك المكان معها شياه ثلاث فقال مافعل صبيك فقالت والذى بعثك بالحق ماحسسنا منه شيئا حتى الساعة فاجتزر هذه الغنم قال انزل خذ منها واحدة ورد البقية » وذكر الحديث بتمامه « ثنا وكيع قال ثنا الاعمش عن المنهال بن عمرو عن يعلى بن مرة عن أبيه قال وكيع مرة يعنى الثقفى ولم يقل مرة عن أبيه « أن امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم معها صبى لها به لمم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخرج عدو الله أنا رسول الله قال فبرأ قال فاهدت اليه كبشين وشيئا من أقط وشيئا من سمن قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ الأقط والسمن وخذ أحد الكبشين ورد عليها الآخر » ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن حفص عن يعلى بن مرة الثقفى قال « ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم » وذكر الحديث وفيه قال « ثم سرنا فمررنا بماء فأتته امرأة بابن لها به جنة فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنخره فقال اخرج انى محمد رسول الله قال ثم سرنا فلما

رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء فأتته المرأة بجزر ولبن فامرها ان ترد الجزر وأمر أصحابه فشربوا من اللبن فسألها عن الصبي فقالت والذى بعثك بالحق مارأينا منه ريبا بعدك » ولو قدر انه لم ينقل ذلك لكون مثله لم يقع عند الانبياء لكون الشياطين لم تكن تقدر تفعل ذلك عند الانبياء وفعلت ذلك عندنا فقد أمرنا الله ورسوله من نصر المظلوم والتنفيس عن المكروب ونفع المسلم بما يتناول ذلك : وقد ثبت فى الصحيحين حديث الذين رقوا بالفاتحة وقال النبي صلى الله عليه وسلم « وما أدراك انها رقية » وأذن لهم فى أخذ الجعل على شفاء اللديغ بالرقية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للشيطان الذى أراد قطع صلاته «أعوذ بالله منك ألعنك بلعنة الله التامة ثلاث مرات » وهذا كدفع ظالمي الانس من الكفار والفجار فان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وان كانوا لم يقروا (١) الترك ولم يكونوا يرمون بالقسى الفارسية ونحوها مما يحتاج اليه فى قتال فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر بقتالهم وأخبر أن أمته ستقاتلهم ومعلوم أن قتالهم النافع انما هو بالقسى الفارسية ولكن قوتلوا بالقسى العربية التى تشبه قوس القطن لم تغن شيئا بل استطالوا على المسلمين بقوة رميهم فلا بد من قتالهم بما يقهرهم : وقد قال بعض المسلمين لعمر بن الخطاب ان العدو اذا رأيناهم قد لبسوا الحرير وجدنا فى قلوبنا روعة فقال وأنتم فالبسوا كما لبسوا وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فى عمرة القضية بالرمل والاضطباع ليرى المشركين قوتهم

(١) هكذا الاصل وهو غير ظاهر ولعله لم يروا الترك

وان لم يكن هذا مشروعا قبل هذا ففعل لاجل الجهاد مالم يكن مشروعا بدون ذلك ولهذا قد يحتاج فى ابراء المصروع ودفع الجن عنه الى الضرب فيضرب ضربا كثيراً جداً والضرب انما يقع على الجنى ولا يحس به المصروع حتى يفيق المصروع ويخبرانه لم يحس بشىء من ذلك ولايؤثر فى بدنه ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلثمائة واربعمائة ضربة وأكثر وأقل بحيث لو كان على الانسى لقتله وانما هو على الجنى والجني يصيح ويصرخ ويحدث الحاضرين بأمور متعددة كما قد فعلنا نحن هذا وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق كثيرين (١)

---

(١) قال العلامة شمس الدين ابن القيم في الهدي النبوي: بعد ماورد الادلة مانصه وشاهدت شيخنا يرسل الى المصروع من يخاطب الروح التى فيه ويقول قال لك الشيخ اخرجي فان هذا لا يحل لك فيفيق المصروع وربما خاطبها بنفسه وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب فيفيق المصروع ولايحس بألم وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارا وكان كثيرا مايقرأ فى اذن المصروع (افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون) وحدثني انه قرأها مرة في اذن المصروع فقالت الروح نعم ومد بها صوته قال فاخذت له عصا وضربته بها فى عروق عنقه حتي تخلت يداي من الضرب ولم يشك الحاضرون بانه يموت لذلك الضرب ففى اثناء الضرب قالت انا احبه فقلت لها هو لا يحبك قالت انا اريد ان احج به فقلت لها هو لا يريد ان يحج معك فقالت انا ادعه كرامة لك قال قلت لا ولكن طاعة لله ولرسوله قالت فانا اخرج منه قال فقعد المصروع يلتفت يمينا وشمالا وقال ماجاء بى الى حضرة الشيخ قالوا له وهذا الضرب كله فقال وعلى اي شيء يضربني الشيخ ولم اذنب ولم يشعر بانه وقع به ضرب ألبتة وكان يعالج بآية الكرسي وكان يأمر بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجها وبقراءة المعوذتين بالجملة فهذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره الا قليل الحظ من العلم والعقل

وأما الاستعانة عليهم بما يقال ويكتب مما لا يعرف معناه فلا يشرع لاسيما ان كان فيه شرك فان ذلك محرم: وعامة مايقوله أهل العزائم فيه شرك وقد يقرؤن مع ذلك شيئا من القرآن ويظهرونه ويكتمون مايقولونه من الشرك وفى الاستشفاء بما شرعه الله ورسوله مايغنى عن الشرك وأهله والمسلمون وان تنازعوا فى جواز التداوى بالمحرمات كالميتة والخنزير (١) فلا يتنازعون فى أن الكفر والشرك لا يجوز التداوى به

والمعرفة واكثر تسلط الارواح الخبيثة على اهله تكون من جهة قلة دينهم وخراب قلوبهم والسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ والتحصنات النبوية والايمانية فتلقى الروح الخبيثة الرجل اعزل لاسلاح معه وربما كان عريانا فيؤثر فيه هذا ولو كشف الغطاء لرايت اكثر النفوس البشرية صرعى مع هذه الارواح الخبيثة وهى فى اسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها وبها الصرع الاعظم الذي لا يفيق صاحبه الا عند المفارقة والمعاينة فهناك يتحقق انه كان هو المصروع حقيقة وبالله المستعان: وعلاج هذا الصرع باقتران العقل الصحيح الى الايمان بما جاءت به الرسل وان تكون الجنة والنار نصب عينيه وقبلة قلبه ويستحضر اهل الدنيا وحلول المثولات والآفات بهم ووقوعها خلال ديارهم كمواقع القطر وهم صرعي لايفيقون وما اشد اعداء هذا الصرع ولكن لما عمت البليسة به بحيث لا يري الا مصروعا لم يصر مستغربا ولا مستنكرا بل صار لكثرة المصروعين عين المستنكر المستغرب خلافه فاذا اراد الله بعبد خيرا افاق من هذه الصرعة ونظر الى ابناء الدنيا مصروعين حوله يمينا وشمالا على اختلاف طبقاتهم فمنهم من اطبق به الجنون ومنهم من يفيق احيانا قليلة ويعود الى جنونه ومنهم من يفيق مرة ويجن اخرى فاذا افاق عمل عمل اهل الافاقة والعقل ثم يعاوده الصرع فيقع فى التخبيط:

(١) وقد بسطنا الكلام عليه فى تعليقنا على احكام الاحكام شرح عمدة

بحال لان ذلك محرم فى كل حال وليس هذا كالتكلم به عند الاكراه فان ذلك انما يجوز اذا كان قلبه مطمئنا بالايمان والتكلم به انما يؤثر اذا كان بقلب صاحبه ولو تكلم به مع طمأنينة قلبه بالايمان لم يؤثر : والشيطان اذا عرف أن صاحبه مستخف بالعزائم لم يساعده : وايضا فان المكره مضطر الى التكلم به ولاضرورة الى ابراء المصاب به لوجهين أحدهما أنه قد لايؤثر اكثر مما يؤثر من يعالج بالعزائم فلا يؤثر بل يزيده شرا والثانى أن فى الحق مايغنى عن الباطل

والناس فى هذا الباب ثلاثة أصناف قوم يكذبون بدخول الجنى فى الانس وقوم يدفعون ذلك بالعزائم المذمومة فهؤلاء يكذبون بالموجود وهؤلاء يعصون بل يكفرون بالمعبود والأمة الوسط تصدق بالحق الموجود وتؤمن بالاله الواحد المعبود وبعبادته ودعائه وذكره وأسمائه وكلامه فتدفع شياطين الانس والجن

وأما سؤال الجن وسؤال من يسألهم فهذا ان كان على وجه التصديق لهم فى كل مايخبرون به والتعظيم للمسؤل فهو حرام كما ثبت فى صحيح مسلم وغيره عن معاوية بن الحكم السلمى قال « قلت يا رسول الله اموراً كنا نصنعها فى الجاهلية كنا نأتى الكهان قال فلا يأتوا الكهان » وفى صحيح مسلم أيضا عن عبيد الله عن نافع عن صفية عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم «قال

الاحكام للعلامة ابن دقيق العيد فى البيوع واوردنا اقوال العلماء فى ذلك وراجحها من مرجوحها فارجع اليه : والله أعلم

من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما »

واما ان كان يسأل المسئول ليمتحن حاله ويختبر باطن امره وعنده مايميز به صدقه من كذبه فهذا جائز كما ثبت فى الصحيحين « أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ابن صياد فقال مايأتيك فقال يأتيني صادق وكاذب قال ماترى قال أرى عرشا على الماء قال فاني قدخبأت لك خبيئا قال الدخ الدخ قال اخسأ فلن تعدو قدرك فانما أنت من اخوان الكهان »(١) وكذلك اذا كان يسمع مايقولونه ويخبرون به عن الجن كما يسمع المسلمون ما يقول الكفار والفجار ليعرفوا ما عندهم فيعتبروا به وكما يسمع خبر الفاسق ويتبين ويثبت فلا يجزم بصدقه ولا كذبه الا ببينة كما قال تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)[1] وقد ثبت فى صحيح البخارى عن أبي هريرة أن أهل الكتاب كانوا يقرؤن التوراة ويفسرونها

١ ـ الحجرات ٦

(١) ابن صياد مشهور كان من اليهود وكان يدعي الكهانة فى زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل البلوغ ويتعاطى كلام الغيب فامتحنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليعلم حقيقة حاله ويظهر أمره الباطل للصحابة وانه كاهن ساحر يأتيه الشيطان فيلقي على لسانه ما يلقيه الشياطين للكهنة : وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم خبأت لك خبيئا على وزن فعيل وبروى خبأت لك خبأ على وزن فعل وكلاهما صحيح بمعنى الشيء الغائب المستور اى اضمرت لك سورة الدخان : فقال ابن صياد للنبي صلى الله عليه واله وسلم الدخ بضم الدال فلم يستطع ابن صياد ان يتم الكلمة ولم يهتد من الآية الكريمة الالهذين الحرفين على عادة الكهان من اختطاف بعض الكلمات من أوليائهم من الجن او من هواجس النفس ولهذا قال له النبي صلى الله عليه واله وسلم اخسأ فلن تعدو قدرك أى لست بنبى ولن تتجاوز قدرك وانما انت كاهن : والله اعلم

بالعربية فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فاما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه واما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » فقد جاز للمسلمين سماع ما يقولونه ولم يصدقوه ولم يكذبوه

وقد روى عن ابى موسى الاشعرى أنه أبطأ عليه خبر عمر وكان هناك امرأة لها قرين من الجن فسأله عنه فأخبره انه ترك عمر يسم ابل الصدقة وفى خبر آخر أن عمر أرسل جيشا فقدم شخص الى المدينة فاخبر انهم انتصروا على عدوهم وشاع الخبر فسأل عمر عن ذلك فذكر له فقال هذا أبوالهيثم بريد المسلمين من الجن وسيأتى بريدالانس بعد ذلك فجاء بعد ذلك بعدة أيام :

فصل

ويجوز ان يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيئا من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويغسل ويسقى كما نص على ذلك احمد وغيره قال عبد الله بن احمد قرأت على أبى ثنا يعلى بن عبيد ثنا سفيان عن محمد ابن أبى ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب بسم الله لااله الاالله الحليم الكريم سبحان رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين)كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار

بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون)* قال أبي ثنا أسود بن عامر باسناده بمعناه وقال يكتب في اناء نظيف فيسقى قال أبي وزاد فيه وكيع فتسقى وينضح ما دون سرتها قال عبد الله رأيت أبي يكتب للمرأة في جام أو شيء نظيف : وقال ابو عمر ومحمد بن احمد بن حمدان الحيرى انا الحسن بن سفيان النسوى حدثني عبد الله بن احمد بن شبويه ثنا على ابن الحسن بن شقيق ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا عسر على المرأة ولادها فليكتب بسم الله لا اله الا الله العلي العظيم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون قال على يكتب في كاغدة فيعلق على عضد المرأة قال على وقد جربناه فلم نر شيئا أعجب منه فاذا وضعت تحله سريعا ثم تجعله في خرقة أو تحرقه . آخر كلام شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه رضي الله عنه :

﴿ تمت الرسالة والحمد لله ﴾

﴿ فائدة ﴾

ذكر ابن القيم فى الطب النبوى ان المرض الذى يعترى الانسان منه ما يعترى البدن ومنه ما يعترى القلوب قال ما نصه

المرض نوعان مرض القلوب ومرض الأبدان وهما مذكوران فى القرآن ومرض القلوب نوعان مرض شبهة وشك ومرض شهوة وغى وكلاهما فى القرآن قال تعالى فى مرض الشبهة (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا)[1] وقال تعالى (وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا)[2] وقال تعالى فى حق من دعى الى تحكيم القرآن والسنة فابى وأعرض (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون)[3] فهذا مرض الشبهات والشكوك وأما مرض الشهوات فقال تعالى (يانساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض)[4] فهذا مرض شهوة الزنا والله اعلم

(فصل) وأما مرض الابدان فقال تعالى (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج)[5] وذكر مرض البدن فى الحج والصوم والوضوء لسر بديع يبين لك عظمة القرآن والاستغناء به لمن فهمه وعقله عن سواه وذلك ان قواعد طب الابدان ثلاثة حفظ الصحة والحمية عن المؤذى واستفراغ المواد الفاسدة فذكر سبحانه هذه الاصول الثلاثة فى هذه المواضع الثلاثة فقال فى آية الصوم (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من ايام أخر)[6] فاباح الفطر للمريض لعذر المرض وللمسافر طلبا لحفظ صحته وقوته لئلا يذهبها الصوم فى السفر لاجتماع شدة الحركة وما يوجبه من التحليل وعدم الغذاء الذى يخلف ما تحلل فتخور القوة وتضعف فاباح للمسافر الفطر حفظا لصحته وقوته عما يضعفها. وقال فى آية الحج (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة او

١ ـ البقرة ١٠
٢ ـ المدثر ٣١
٣ ـ النور ٤٨ـ٥٠
٤ ـ الأحزاب ٣٢
٥ ـ النور ٦١
٦ ـ البقرة ١٨٤

نسك)[١] فاباح للمريض ومن به أذى من رأسه من قمل او حكة أو غيرهما ان يحلق رأسه فى الاحرام استفراغا لمادة الابخرة الرديئة التى اوجبت له الاذى فى رأسه باحتقانها تحت الشعر فاذ حلق رأسه ففتحت المسام فخرجت تلك الابخرة منها فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذى انحباسه: والاشياء التى يؤذى انحباسها ومدافعتها عشرة الدم اذا هاج والمنى اذا سبغ والبول والغائط والريح والقيء والعطاس والنوم والجوع والعطش وكل واحد من هذه العشرة يوجب حبسه داء من الادواء بحبسه وقد نبه سبحانه باستفراغ أدناها وهو البخار المحتقن فى الرأس على استفراغ ماهو أصعب منه كما هى طريقة القرآن التنبيه بالادنى على الاعلى: وأما الحمية فقال تعالى فى آية الوضوء (و ان كنتم مرضى أو على سفر أوجاء احد منكم الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا)[٢] فاباح للمريض العدول عن الماء الى التراب حمية له ان يصيب جسده مايؤذيه وهذا تنبيه على الحمية عن كل مؤذ له من داخل او خارج فقد ارشد سبحانه عباده الى أصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده ونحن نذكر هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ونبين ان هديه فيه اكمل هدى: فاما طب القلوب فمسلم الى الرسل صلوات الله عليهم وسلامه عليهم ولا سبيل الى حصوله الا من جهتهم وعلى ايديهم فان صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وأن تكون مؤثرة لمرضاته ولمحابه متجنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولاحياة ألبتة الا بذلك ولا سبيل الى تلقيه الا من جهة الرسل وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم فغلط ممن يظن ذلك وانما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية وصحتها وقوتها وحياة قلبه وصحته وقوته عن ذلك بمعزل: ومن لم يميز بين هذا وهذا فليبك على حياة قلبه فانه من الاموات وعلى نوره فانه منغمس فى بحار الظلمات اهـ والله اعلم

١ - البقرة ١٩٦
٢ - النساء ٤٣

« تم الفهرس »

الإنصاف

فيما بين العلماء من الاختلاف

للأمام شيخ الاسلام حافظ المغرب

﴿ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر بن عاصم ﴾

النمري القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ

عنيت بنشره وتصحيحه سنة ١٣٤٣ هـ

إدارة الطباعة المنيرية

لصاحبها ومديرها محمد منير عبده اغا الدمشقي

بمصر بشارع الكحكيين نمرة ١

المطبعة العربية بمصر لصاحبها خير الدين الزركلي



وما توفيـــــقي الا بالله

اخبرنا الشيخ الفقيه الامام العالم العامل الصدر الكبير شيخ المسلمين قاضي القضاة شرف الدين ابو حفص عمر بن عبد الله بن صالح الحسني اطال الله بقاه قراءة عليه ونحن نسمع بايوان تدريسه بالصالحية اخبرنا الشيخ الامام العالم العامل الحافظ فخر الحفاظ مفتي الأمة قدوة الأئمة شرف الدين ابو الحسن على بن ابي المكارم المفضل بن على المقدسي قراءة عليه ونحن نسمع أنبأنى الشيخ ابو الطيب عبد المنعم بن يحي بن خلف الحميرى بقراءتي عليه بحق اجازته عن ابى الحسن على بن عبد الله بن موهب الجذامى عن مصنفه الحافظ ابى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى

قال الحافظ ابو الحسن المقدسى وأنبأ به اجازة ابو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري وآخرون عن ابى محمد عبد الرحمن بن محمد ابن عتاب الجذامي وغيره اجازة عن مصنفه الحافظ ابى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى المذكور رضى الله عنه * قال الحمد لله رب العالمين الذى جعل العلم نوراً للمهتدين وشفاء لصدور المؤمنين وحجة على الجاهلين والمبطلين وصلي الله على محمد وعلى آله أجمعين

أما بعد فان بعض اخوانا المعتنين بالعلم المقيدين له والحاملين لآثاره المتفقهين فيه رغب أن اجمع له مايقف به على ماكان عليه علماء السلف من الصحابة والتابعين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب في الصلاة وهل كانوا يعدونها آية منها فيجهرون بها اذا قرؤا فاتحة الكتاب او يخفونها عندقراءتهم لها او يسقطونها فلا يرونها آية منها ولا من أوائل سائر سور القرآن سواها وهل اختلفوا في ذلك او كانوا على وجه منه متفقين وما الذى اختاره أئمة الفقهاء الذين تدور علي مذاهبهم الفتيا في امصار المسلمين من ذلك وما الآثار التي كانت سبب اختلافهم فيما اختلفوا فيه من اسقاط بسم الله الرحمن الرحيم وفي اثباتها وفي الجهر بها واخفائها وما نزعت به كل فرقة لمذهبها من جهة الأثر واحتجت به من ذلك لاختيارها بما روته عن سلفها فاجبته بعون الله تعالى وفضله فيما رغب وسارعت الي ماطلب ابتغاء ثواب الله تعالى في نشر ماعلمنى الله وخوف الوعيد الوارد في كتمان ماانزل الله في كتابه أو بينه رسوله صلى الله عليه وسلم. والى الله عز وجل اضرع مبتهلا في ان يهب لنا وللناظرين فيه علما نافعا وعملا يقرب منه متقبلا وهو حسبي عليه توكلت فيما له قصدت وما توفيقي الا بالله فأول ماابدأ به الاخبار عن جملة اقوال العلماء في ذلك

باب

ذكر اختلافهم في قراءة «بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة فى اول فاتحة الكتاب وهل هى آية منها

اختلف علماء السلف والخلف في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب وهل هى آية منها فذهب مالك واصحابه الى انها لاتقرأ في اول فاتحة الكتاب في شىء من الصلوات المكتوبات سرا ولا جهرا وليست عندهم آية من أم القرآن ولا من غيرها من سور القرآن إلا في سورة النمل في قوله عز وجل (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم)[1] وان الله لم ينزلها في كتابه في غير هذا الموضع من سورة النمل : وروى مثل قول مالك في ذلك كله عن الاوزاعى وبذلك قال ابو جعفر محمد جرير بن يزيد الطبرى : واجاز مالك واصحابه قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة النافلة في أول فاتحة الكتاب وفي سائر سور القرآن للمتهجدين ولمن يعرض القرآن عرضا على المقرئين : وأم القرآن عندهم سبع أيات يعدون (انعمت عليهم) آية وهو عد أهل المدينة من القراء وأهل الشام وأهل البصرة:

وقال اهل العراق والمشرق وسفيان الثورى وابن ابى ليلى والحسن ابن حى وابو حنيفة واصحابه واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وابو عبيد القاسم بن سلام يقرأ الامام في اول فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ويخفيها عمن خلفه وروى ذلك عن عمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم

١ ـ النمل ٣٠

على اختلاف فى ذلك عن عمر وعلى ولم يختلف عن ابن مسعود في انه كان يخفيها وهو قول ابراهيم النخعى والحكم بن عتيبة وحماد بن ابي سليمان وغيرهم : وهي آية من أول فاتحة الكتاب عند جماعة قراء الكوفيين وجمهور فقهائهم الا ان السنة عندهم فيها اخفاؤها فى صلاة الجهر تسليما واتباعا للآثار المرفوعة فى ذلك: وقال الكرخي وغيره من أصحاب أبى حنيفة انه لا يحفظ عنه هل هى آية من فاتحة الكتاب أو لا قالوا ومذهبه يقتضى انها ليست آية من فاتحة الكتاب لانه يسر بها في صلاة الجهر قال داود بن على هي آية من القرآن منفردة في كل موضع كتبت فيه في المصحف في أول فاتحة الكتاب وفي أول كل سورة من القرآن وليست من شيء من السور الا في سورة النمل وانما هي آية مفردة غير لاحقة بالسورة وزعم الرازي ان مذهب أبى حنيفة يقتضى عنده ماقال داود

وذهب الشافعى وأصحابه الى قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب جهراً في صلاة الجهر وسراً في صلاة السر وقال هي آية من فاتحة الكتاب اول آياتها ولا تتم سبع آيات الا بها ولا تجزيء صلاة لمن لم يقرأها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : يعنى « لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحه الكتاب » وقوله عليه الصلاة والسلام « كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج » ومن لم يقرأها كلها فلم يقرأها : وقول أبي ثور في ذلك كله كقول الشافعي : وروى الجهر بها عن عمر وعلى رضي الله عنهما على اختلاف عنهما وروى ذلك عن عمار وابى هريرة وابن عباس وابن الزبير فلم يختلف في الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم عن

ابن عمر وهو الصحيح عن ابن عباس أيضاً وعليه جماعة اصحابه سعيد ابن جبير وعطاء ومجاهد وطاوس وهو مذهب ابن شهاب الزهرى وعمرو بن دينار وابن جريج ومسلم بن خالد وسائر أهل مكة

واختلف قول الشافعي وكذلك اختلف أصحابه في بسم الله الرحمن الرحيم في غير فاتحة الكتاب هل هي من أوائل السور آية مضافة الى كل سورة أم لا : ومحصل مذهبه انها آية من أول كل سورة على قول ابن عباس «ما كنا نعلم انقضاء السورة الا بنزول بسم الله الرحمن الرحيم فى أول غيرها» وهو قول ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وعطاء وطلوس ومكحول : واليه ذهب ابن المبارك وطائفة ووافق الشافعي على انها آية من فاتحة الكتاب احمد واسحق وابو عبيد وجماعة أهل الكوفة وأهل مكة واكثر أهل العراق إلا أن احمد واسحق وأباعبيد يخفونها في صلاة الجهر فذهب سفيان وابن ابي ليلى والحسن بن حى وابن شبرمة وجماعة أهل الكوفة على ماذكرنا عنهم والحمد لله :

قال ابو عمر لكل فرقة من فرق الفقهاء المذكورين آثار رووها وصاروا اليها فيما ذهبوا اليه من ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه والتابعين نذكر منها ماحضرنا ذكره على حذف التكرار والايثار بما عليه المدار بعون الله وفضله ان شاء الله : —

ذكر الآثار

(التى احتج بها من أسقط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب في الصلاة وكره قراءتها فيها ولم يعدها آية منها)

فمن ذلك حديث عبدالله بن مغفل المزنى وهو حديث يدور على ابى مسعود سعيد بن اياس الجريرى عن ابى نعامة قيس بن عباية الحنفي عن ابن عبدالله بن مغفل عن أبيه وقد زعم قوم ان الجريري انفرد به وليس هو عندى كذلك لانه قد رواه غيره عن قيس بن عباية وهو ثقة عند جميعهم وكذلك الجريري محدث أهل البصرة ثقة روى عنه الجلة من أئمة أهل الحديث منهم شعبة وسفيان وابن علية والحمادان الا انه اختلط في آخر عمره : وأما ابن عبدالله بن مغفل فلم يرو عنه أحد إلا ابو نعامة قيس بن عباية فيما علمت ولم يرو عنه إلا رجل واحد فهو مجهول عندهم والمجهول لاتقوم به حجة :

فمن طرق حديث عبدالله بن مغفل ماحدثنا سعيد بن نصر وعبد الوارث بن سفيان قالا حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابوبكر بن أبى شيبة حدثنا اسماعيل بن ابراهيم هو ابن علية عن الجريري عن قيس بن عباية حدثنى ابن عبدالله بن مغفل عن أبيه قال « ومارأيت رجلا أشد عليه فى الاسلام حدث منه فسمعنى وأنا أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فقال لى يابني إياك والحدث فانى صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأها فاذا

قرأت فقل الحمد لله رب العالمين »

ورواه معمر عن الجريري قال أخبرني من سمع ابن عبدالله بن مغفل عن أبيه فذكر معناه : ورواه خالد بن عبدالله الواسطي الطحان فاختلف عليه فيه : ورواه سعيد بن منصور ووهب بن بقية عنه عن الجريرى عن قيس بن عباية قال اخبرنى ابن عبدالله بن مغفل عن ابيه وساق الحديث مثل رواية ابن علية سواء ورواه اسماعيل بن مسعودعنه عن عثمان بن غياث عن ابى نعامة قيس ابن عباية لم يذكر الجريرى فالحديث انما يدور على ابن عبدالله بن مغفل وقد تقدم الخبر عنه : حدثنا محمد بن ابرهيم بن سعيد حدثنا احمد بن شعيب وأنبأنا اسماعيل بن مسعود أنبأنا خالد حدثنا عثمان بن غياث قال حدثنى أبو نعامة الحنفى قال حدثنى ابن عبد الله بن مغفل «قال كان عبدالله بن مغفل اذا سمع أحداً يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبى بكر وخلف عمر فما سمعت أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم » * قال أبو عمر فحديث عبد الله بن مغفل في اسناده ما وصفنا وقد ذهب اليه من لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم أصلا سراً ولاجهراً وذهب اليه من رأى انها تقرأ سراً وقالوا معناه انه لو صح انهم كانوا يسرون بسم الله الرحمن الرحيم ويجهرون بالحمد لله رب العالمين واستدلوا على ذلك من الآثار بما يأتى ذكرها بعد في باب مفرد لها في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

منها ما رواه سفيان الثورى وغيره عن خالد الحذاء عن ابى نعامة الحنفي

قيس بن عباية عن أنس بن مالك قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم » قال سفيان كانوا يسرون بها وهكذا رواية أبي قلابة والحسن وعائذ بن شريح عن أنس وكذلك رواه جماعة من أصحاب قتادة عن قتادة عن أنس وسنذكر ما حضرنا من الاسانيد بذلك إن شاء الله تعالى: وحديث عائشة رضي الله عنها وهو حديث انفرد به بديل بن ميسرة عن أبي الجوزاء واسمه أوس ابن عبد الله الربعي الازدي هذا من ربيعة الازد بصري عن عائشة ليس له اسناد غيره وبديل بن ميسرة وأبو الجوزاء ثقتان رواه عن بديل بن ميسرة سعيد بن أبي عروبة وحسين المعلم وهذان ثقة من رواه عنه بديل:

حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أبو قلابة الرقاشي قراءة عليه حدثنا عبد الاعلى ومحمد بن حيان العجلي قالا حدثنا حسين المعلم عن بديل بن ميسرة عن أبي الجوزاء عن عائشة «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح القراءة بالحمد لله رب العالمين » * وحدثنا أحمد بن قاسم ابن عبد الرحمن وعبد الوارث بن سفيان قالا حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا الحارث بن أبي أسامة حدثنا سعيد بن عامر عن سعيد بن أبي عروبة عن بديل ابن ميسرة عن أبي الجوزاء عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين ويختمها بالتسليم »:

قال أبو عمر رجال اسناد هذا الحديث ثقات كلهم لا يختلف في ذلك الا أنهم يقولون أن أبا الجوزاء لا يعرف له سماع من عائشة وحديثه عنها ارسال. وأما الفقهاء فيقولون أن هذا الحديث لا حجة فيه لمن يرى

اسقاط بسم الله الرحمن الرحيم من فاتحة الكتاب وإنما فيه الحجة على أن من رأى أن فاتحة الكتاب وغيرها سواء وانه جائز قراءتها وقراءة غيرها دونها في الصلاة ويجيز أن يفتتح الصلاة بغيرها من القرآن فهذا الحديث حجة على من قال ذلك : وأما من قال إن الصلاة لا تجزىء الا بأم القرآن وانها التى يفتتح بها القراءة فى الصلوات دون ما سواها من سور القرآن وان ما سواها من القرآن إنما يقرأ في الصلاة بعدها فلا حجة عليه بهذا الحديث ولا بما كان مثله قالوا وانما قول عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالحمد لله رب العالمين» يعنى دون غيرها من سور القرآن : والحمد لله رب العالمين اسم لسورة أم القرآن : وفاتحة الكتاب اسم ايضا لها وانما قالت عائشة يفتتح بالحمد لله رب العالمين ولم تقل دون أن يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لم يفد[1] السامع فائدة لان بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة مثبتة في المصحف وقد اختلفوا فيها هل هى آية من أول كل سورة أو آية مفردة في أوائل السور كاختلافهم هل هي آية من فاتحة الكتاب على ما تقدم ذكره والحمد لله: وانما قصدت عائشة رحمها الله الى الاعلام بالسورة التى يفتتح بها الصلوات وأخبرت بأي السور يفتتح قراءة الصلاة بكلام رفعت فيه الاشكال فقصدت الي ما في فاتحة الكتاب مما ليس في غيرها لان بسم الله الرحمن الرحيم في غيرها فكان قوله بالحمد لله رب العالمين كما لو قال قائل

---

(١) قوله لم يفد الخ هكذا الاصل والكلام غير منتظم ولعل التعليل محذوف تقديره لانه لم يفد الخ والله اعلم

كان يفتتح الصلاة (براءة من الله ورسوله) ولم يقل بسورة التوبة أو قال (بالم أحسب الناس) ولم يقل بالعنكبوت أو بق أو بيس أو ص أو بق والقلم ومثل هذا كثير: فكذلك قول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالحمد لله رب العالمين ولم تقل بأم القرآن ولا بفاتحة الكتاب لانها قصدت الى اعلام السامع بالسورة التي يفتتح بها قراءة الصلاة فسمتها بذلك وليس فيه ما يسقط بسم الله الرحمن الرحيم ولا ما يثبتها كما لو قالت كان يفتتح بص والقرآن ذي الذكر أو ق والقرآن المجيد أو الحاقة ما الحاقة أو ن والقلم: وما كان مثل ذلك وهذا كله لا يدفع احتماله فبطل أن يكون في حديث عائشة هذا حجة لمن نزع به سقوط بسم الله الرحمن الرحيم *

وحديث أبي هريرة

أما أبو هريرة فتروى عنه في هذا الباب أحاديث متغايرة مختلفة ومتضادة تأتي في أبوابها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى فاما ما احتج به منها من رأى سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب فمن ذلك ما رواه بشر بن رافع أبو الاسباط الحارثي يمامى قال حدثني ابن عم أبي هريرة أنه سمع أبا هريرة يقول « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين » وبشر بن رافع عندهم منكر الحديث قد اتفقوا على انكار حديثه وطرح ما رواه وترك الاحتجاج به ولا يختلف علماء أهل الحديث في ذلك والذين

يروون عن بشر بن رافع حاتم بن اسماعيل وعبـد الرزاق وصفوان بن عيسى ولو صح حديثه احتمل من التأويل ما ذكرنا في حديث عائشة قبل هذا رواه عبد الواحد بن زيد عن عمـارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نهض في الثانية استفتح بالحمد لله رب العالمين ولم يسكت» وهذه رواية يغني ظاهرها عن الكلام فيها : وفيها دليل على أنه كان يسكت بعد التكبيرة في الاول على ما رواه سمرة

ومنها حديث العلاء بن عبد الرحمن: وهو أصح حديث روى في سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب وأبينه وأبعده من احتمال التأويل رواه مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي السائب مولى هشام ابن زهرة أنه سمعه يقول سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج غير تمام» قال قلت يا أبا هريرة انى أحيـانا أكون وراء الامام قال فغمز ذراعى ثم قال اقرأ بها في نفسك يا فارسى فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدي ما سأل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله عز وجل حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله تعالى أثنى على عبدى يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله تعالى مجدني عبدي يقول العبد إياك نعبد وإياك نستعين فيقول الله تعالى فهذه الآية بينى وبين عبدي

ولعبدي ماسأل ويقول العبد إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهؤلاء لعبدي ولعبدى ما سأل» أدخل مالك هذا الحديث في باب القراءة خلف الامام فيما لا يجهر فيه الامام بالقراءة لقول أبي هريرة فيه اقرأ بها في نفسك أى اقرأ بها سراً ولم يدخله في باب العمل فى القراءة مع حديث حميد عن أنس « قال قمت وراء أبى بكر وعمر وعثمان فكلهم كان لايقرأ بسم الله الرحمن الرحيم» وسيأتى هذا الحديث واختلاف الرواة في الفاظه ورفعه وتوقيفه في موضعه من هذا الكتاب بعد هذا إن شاء الله تعالى

وأما حديث العلاء بن عبدالرحمن هذا فرواه كما رواه مالك عبدالملك ابن عبدالعزيز بن جريج ومحمد بن عجلان ومحمد بن اسحق والوليد بن كثير كلهم رووا عن العلاء بن عبد الرحمن ان أبا السائب مولى هشام ابن زهرة حدثه انه سمع ابا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله الا ان الليث بن سعد رواه عن ابن عجلان عن العلاء عن ابى السائب عن ابى هريرة بهذا الاسناد عن النبى صلى الله عليه وسلم « ايما رجل صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت انى لااستطيع ان اقرأ مع الامام قال اقرأ بها في نفسك فان الله عزوجل يقول قسمت الصلاة بينى وبين عبدى قال العبد الحمد لله رب العالمين قلت حمدنى عبدى » ثم ذكر الحديث على هذا بمعنى ما تقدم بجعل قوله « قال الله قسمت الصلاة بينى وبين عبدى » من قول أبى هريرة الى آخر الحديث لم يرفع منه الا قوله « خداج غير تمام » ومالك احفظ

واثبت وزيادة مثله مقبولة وحجة على من قصر عنها : ورواية ابن جريج عن العلاء في هذا الحديث كرواية مالك سواء

وروى هذا الحديث شعبة بن الحجاج وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة عن العلاء بن عبدالرحمن عن ابيه عن ابى هريرة فقالوا عن أبيه في موضع ابى السائب ولم يذكروا ابا السائب فمن اهل العلم بالحديث من جعل هذا اضطراباً يوجب التوقف عن العمل بحديث العلاء هذا ومنهم من قال ليس هذا باضطراب لان العلاء قد روى هذا الحديث عن ابيه وعن ابى السائب جميعاً عن ابي هريرة كذلك رواه ابو اويس عن العلاء عن ابيه وابى السائب جميعاً عن ابى هريرة وساقه نحو سياقة مالك له: والقول عندي في ذلك ان مثل هذا الاختلاف لايضر لان أبا السائب ثقة وعبدالرحمن اباالعلاء ثقة ايضاً فمن ايهما كان فهو من اخبار العدول التى يجب الحكم بها وابو اويس عندهم لايحتجون به فيما انفرد به :

وحديثه حدثنا عبد الوارث بن سفيان وسعيد بن نصر قالا حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا اسماعيل بن اسحق واحمد بن زهير قالا حدثنا اسماعيل بن ابي اويس قال حدثني ابى عن العلاء بن عبدالرحمن قال سمعت من ابي ومن ابى السائب جميعاً وكانا جليسين لابى هريرة قالا قال ابوهريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج هى خداج غير تمام » وذكر الحديث بتمامه كما رواه مالك قال اسماعيل بن اسحق قال على بن المدينى وكان هذا الحديث عن عباد بن صهيب عن الرجلين جميعاً يعنى كما رواه ابواويس :

قال ابو عمر لا أعلم حديثاً في سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب ابين من حديث العلاء هذا لان فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اقرأوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين » فبدأ بها دون بسم الله الرحمن الرحيم فعدها آية ثم قال « يقول العبد الرحمن الرحيم » فعدها آية ثم قال « يقول العبد مالك يوم الدين » فعدها آية ثم قال « يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين » فعدها آية فتمت اربع آيات ثم قرأ الى آخر السورة وقال « هؤلاء لعبدي » ولم يقل هاتان لعبدي وهؤلاء اشارة الى جماعة فعلم انها ثلاث آيات وتقدمت اربع آيات تتمة سبع آيات : وأجمع علماء المسلمين انها سبع آيات فدل هذا الحديث على ان « انعمت عليهم » آية وان « بسم الله الرحمن الرحيم » ليست آية من اول السورة وهذا عند اهل المدينة والشام والبصرة :

وأما أهل مكة وأهل الكوفة من العلماء والقراء فيعدون « بسم الله الرحمن الرحيم » أول آية من أم القرآن وليست «أنعمت عليهم» بآية عندهم فهذا حديث قد رفع الاشكال في سقوط « بسم الله الرحمن الرحيم » ورجاله ثقات * اما ابو السائب فقد روى عنه العلاء بن عبد الرحمن وشريك بن أبي نمر وبكير الأشج وصيفي مولى ابن أفلح ومحمد بن عمرو بن عطاء وعبيد الله بن عمرو قيل انه روى عنه الزهري وصفوان ابن سليم والاسناد عن كل واحد من هذين عنه ليس بالقوى : وأصح ما قيل في أبي السائب هذا أنه مولى هشام بن زهرة كما قال مالك وما تابعه على ذلك وهو مولى الانصار وقيل مولى بنى زهرة وقيل مولى

بني عبد الله بن هشام بن زهرة وقيل عبد الله بن هشام بن زهرة مولى هشام بن زهرة هكذا قال الحفاظ من أصحاب العلاء وكان ابو السائب هذا من جلساء ابى هريرة وروى عن ابي هريرة وعن المغيرة بن شعبة وسعد بن أبى وقاص * وأما عبد الرحمن بن يعقوب مولى جهينة والد العلاء فروى عنه ابنه العلاء وروى عنه محمد بن ابراهيم التيمى والله أعلم ولا أعلم احداً ذكره بجرحة * وأما العلاء فروي عنه جماعة من أئمة أهل الحديث واحتملوه ووثقه احمد بن حنبل رحمه الله تعالى فقال هو عندي فوق سهيل بن ابى صالح ومحمد بن عمرو * وأما ابن معين فقال العلاء بن عبد الرحمن ليس حديثه بحجة وهو وسهيل قريب من السواء هذه حكاية عباس عن ابن معين : وقال ابن ابى خيثمة سمعت يحي بن معين يقول العلاء بن عبد الرحمن ليس بذاك لم يزل الناس يتقون حديثه : وقال أبو حاتم الرازي روى عن العلاء الثقات وأنا أنكر من حديثه أشياء قال ابو عمر العلاء ليس بالمتين عندهم وقد انفرد بهذا الحديث ليس يوجد الا له ولا تروى الفاظه عن احد سواه والله اعلم :

وقد روى منصور بن ابى مزاحم وهو من أهل الصدق عندهم قال حدثنا ابو اويس عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابى هريرة « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم » قال ابو عمر يعضد هذه الرواية رواية مالك وغيره من حديث العلاء هذا قول ابى هريرة : اقرأ بها في نفسك يافارسى : ومعنى قوله في حديث العلاء « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لعبدى ولعبدى ماسأل »

اي قسمت قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة بيني وبين عبدى نصفين هذا معناه عند من رأى سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من اول السورة : ودليلهم على ذلك قوله بأثر ذلك « اقرأوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين » الحديث قالوا وجائز ان يعبر عن القراءة بالصلاة كما يعبر عن الصلاة بالقراءة : قال الله عز وجل (وقرآن الفجر) اى صلاة الفجر (ان قرآن الفجر كان مشهوداً)[1] اي صلاة الفجر

واما من رأى اثبات بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب فقالوا لا يجوز ان يحال اسم الصلاة الى القراءة الا بما لا اشكال فيه من المجاز وبالدليل الذى لا يحتمل التأويل قالوا ومعنى قوله عليه السلام عن الله تبارك اسمه « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين » ان الصلاة دعاء وعبادة فمن العبد الدعاء ومن الله الاجابة: ومن العبد الطاعة بالركوع والسجود والقيام والقعود ومن الله تعالى الجزاء بالمغفرة والهدى قالوا فهذا معنى السورة لانها تقتضى الدعاء بالهدى بعد التحميد والثناء ومن الله الاجابة والجزاء فهذا معنى قسم الصلاة بين العبد وبين ربه على ظاهر الكلام دون إحالة لفظه والله أعلم

وعلى هذا التأويل يكون المعنى في ابتدائه القراءة بالحمد لله رب العالمين فى هذا الحديث بمعنى ما تقدم ذكره في حديث عائشة وغيره من الابتداء بالحمد لله رب العالمين * حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا حمزة بن محمد أنبأنا احمد بن شعيب أنبأنا الحسين بن حريث حدثنا الفضل بن

[1] ـ الاسراء ٧٨

موسى ح وحدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو اسامة كلاهما عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل أم القرآن وهى السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل» هكذا قالا جميعاً والمعنى من قوله أنها مقسومة بين العبد وبين ربه وللعبد ما سأل

ومثل هذا حديث مالك أيضاً عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي سعيد مولى عامر بن كريز أخبره « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلى فلما فرغ من صلاته لحقه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على يده وهو يريد أن يخرج من باب المسجد فقال انى لارجو ان لا تخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الفرقان مثلها قال أبيّ فجعلت أبطىء في المشى رجاء ذلك قلت يا رسول الله السورة التي وعدتني فقال كيف تقرأ اذا افتتحت الصلاة قال فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين حتى اتيت على آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى هذه السورة وهى السبع المثانى والقرآن العظيم الذي اعطيت » فقوله في هذا الحديث «فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين» يحتمل ان يكون كقوله لو قال فقرأت عليه يس والقرآن الحكيم يريد السورة أو قرأت عليه ق والقرآن المجيد إذ ليس في ذلك ما يسقط بسم الله الرحمن الرحيم من أولها ولا

يثبتها والله أعلم : وقد مضى في ذلك ما يكفي فيما تقـدم والآثار التى تعضد هذا التأويل في ثبوت بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب تأتى بعد في بابها إن شاء الله تعالى

﴿ حديث أنس بن مالك ﴾

وأما حديث أنس في هذا الباب فرواه مالك في موطنه عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قمت وراء أبى بكر وعمر وعثمان فكلهم لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم اذا افتتحوا الصلاة هكذا رواه مالك عن حميد الطويل عن أنس موقوفا لم يسنده لم يذكر فيـه النبى صلى الله عليه وسلم لم يختلف في ذلك رواة الموطأ قديماً وحديثاً ابن وهب وغيره الا ما رواه ابن أخيه احمد بن عبد الرحمن بن وهب المعروف ببحشل فانه رواه عن عمه عن مالك عن حميد عن أنس فذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يتابعه على ذلك أحد من رواة ابن وهب وابن أخي ابن وهب عندهم ليس بالقوى قد تكلموا فيـه ولم يروه حجة فيما انفرد به ورواه الوليد بن مسلم عن مالك عن حميد عن أنس فذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم وهو عنـدهم خطأ والصحيح ما في الموطأ وقد ذكرنا الأسانيد بما ذكرنا من اختلاف على ابن وهب وغيره عن مالك في التمهيد وتابعه على ذلك هشيم وحماد بن سلمة : فحديث هشيم ذكره أبو بكر بن أبى شيبة عن هشيم وذكره أيضاً سعيد بن منصور عن هشيم هكذا موقوفاً على أبي بكر وعمر وعثمان لم يذكروا النبي صلى الله عليـه وسلم . ورواه

حماد بن سلمة في كتابه عن ثابت وقتادة وحميد عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين » قال حماد إلا أن حميداً لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى ابن أبى عدى هذا الحديث عن حميد الطويل عن قتادة عن أنس ولست أعلم أحداً ذكره عن حميد عن قتادة عن أنس إلا ابن أبى عدى فيما علمت ويقولون ان اكثر رواية حميد عن أنس إنما سمعها من قتادة وثابت عن أنس ومنها ما سمع من أنس : وأما قتادة فلا أعلم أحداً رواه عنه موقوفا بل جماعة أصحابه ذكروا فيه عنه عن أنس « أن النبى صلي الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر » اختلفوا عنه في ذكر عثمان فيه وكلهم رفعه فذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنهم اختلفوا في لفظه فمنهم من قال فيه كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين ومنهم من قال فيه « كانوا لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم » ومنهم من قال فيه « كانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم » ومنهم من قال « فلم اسمع أحداً منهم جهر ببسم الله الرحمن الرحيم »

فمن أجلّ من رواه عن قتادة ايوب بن ابى تميمة السختيانى *

حدثنا محمد بن ابراهيم بن سعيد حدثنا محمد بن معاوية بن عبد الرحمن رحمه الله وحدثنا عبد الله بن محمد بن أسد حدثنا حمزة بن محمد قالا حدثنا احمد بن شعيب بن على انبأنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن حدثنا سفيان عن ايوب عن قتادة عن أنس « قال صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ومع ابى بكر ومع عمر فافتتحوا بالحمد »

حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن حدثنا محمد بن ابى بكر بن عبد الرزاق حدثنا ابو داود حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام يعنى الدستوائى عن قتادة عن أنس « ان النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين»

وحدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا بكر ابن حماد حدثنا مسدد حدثنا يحيي بن سعيد عن هشام عن قتادة عن انس « ان النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

حدثنا عبد الوارث حدثنا قاسم حدثنا حماد بن غالب حدثنا على بن الجعد حدثنا شعبة وشيبان ابن عبد الرحمن عن قتادة عن انس قال« كان النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

حدثنا احمد بن قاسم بن عبد الرحمن وعبد الوارث بن سفيان قالا حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا الحارث بن ابي اسامة حدثنا سعيد بن عامر عن سعيد بن ابى عروبة عن قتادة عن أنس « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

حدثنا سعيد بن نصر نا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا محمد بن بشر حدثنا سعيد حدثنا قتادة عن أنس «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة

بالحمد لله رب العالمين » وبه عن أبى بكر حدثنا وكيع عن هشام عن قتادة عن أنس مثله أخبرنا عبدالله بن محمد حدثنا حمزة بن محمد حدثنا احمد بن شعيب أنبأنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابو عوانة عن قتادة عن أنس قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

فهؤلاء حفاظ اصحاب قتادة ليس في روايتهم لهذا الحديث ما يوجب سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب على ماقدمنا ذكره الا ان فيه متعلقا لمن ذهب الى انهم كانوا يخفونها ولا يجهرون بها*

وحدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبع حدثنا محمد ابن عبد السلام حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر غندر حدثنا شعبة قال سمعت قتادة عن انس « قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع ابى بكر وعمر وعثمان فلم اسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم »

وحدثنا احمد بن قاسم بن عيسى حدثنا عبيد الله بن محمد حدثنا البغوى حدثنا على بن الجعد حدثنا شعبة وشيبان عن قتادة قال سمعت انس ابن مالك يقول « صليت خلف النبى صلى الله عليه وسلم وخلف ابى بكر وخلف عمر وعثمان فلم اسمع احدا منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم »

حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبع حدثنا محمد بن وضاح أنبأنا ابو بكر بن ابي شيبة وموسى بن معاوية قالا حدثنا وكيع عن شعبة عن قتادة عن انس قال « صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

وابى بكر وعمر وعثمان فكانوا لا يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم»

اخبر عبد الله بن محمد وعبد الرحمن بن عبد الله بن خالد قالا حدثنا ابن حمدان ببغداد حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثنى ابي حدثنى وكيع فذكره باسناده * ورواه عبيد الله بن موسى ان شعبة قال قلت لقتادة انت سمعت أنس بن مالك يقول « صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر فلم اسمعهم يجهرون ببسم الله قال نعم » وبهذا اللفظ ايضا رواه الاسود بن عامر وعبد الرحمن بن زياد الرضاصى عن شعبة عن قتادة عن انس . وكذلك رواه حجاج بن ارطاة عن قتادة عن انس

حدثنا عبد الله حدثنا حمزة حدثنا احمد بن شعيب انبأنا عبيد الله ابن سعيد قال حدثنى عقبة قال حدثنى شعبة وابن ابى عروبة عن قتادة عن انس قال «صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف ابى بكر وعمر وعثمان فلم اسمع أحداً منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم »

حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد ابن الهيثم ابو الاحوص حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعى عن قتادة عن أنس « قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين» ورواه محمد بن شعيب بن شابور عن الاوزاعي قال كتب الى قتادة قال حدثنى انس بن مالك « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين لا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم في اول السورة ولا

في آخرها » * ورواه اسحق بن أبي طلحة عن انس حدثنا عبدالوارث
حدثنا قاسم حدثنا ابو الاحوص محمد بن الهيثم حدثنا محمد بن كثير
حدثنا الاوزاعى عن اسحق بن عبد الله بن ابى طلحة عن انس بن مالك
قال « صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر فكلهم
كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين » * رواه الوليد بن مسلم
حدثنا الاوزاعى قال حدثنى اسحق بن عبد الله بن طلحة قال سمعت انس
ابن مالك يقول (صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف
ابى بكر وعمر فكلهم كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين
لا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم في اول السورة ولا في آخرها »
رواه ثابت البنانى عن انس وقد ذكرناه من رواية حماد بن سلمة
عن ثابت وقتادة وحميد عن انس ورواه عمار بن رزيق عن
الأعمش عن شعبة عن ثابت عن أنس « ان النبى صلى الله عليه وسلم
وابا بكر وعمر كانوا لايجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم » فأخطأ فيه ولا
يصح لشعبة عن ثابت لانه لم يروه الا الأحوص بن جواب عن عمار
ابن رزيق عن الأعمش عن شعبة عن ثابت عن انس ولم يروه اصحاب شعبة
الذين هم فيه حجة ولا يعرف للأعمش عن شعبة رواية محفوظة والحديث
لشعبة صحيح عن قتادة لا عن ثابت * ورواه ابو قلابة الجرمي عن انس
من حديث الثوري عن خالد الحذاء عن ابى قلابة عن انس قال « كان
النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر لايجهرون بيسم الله الرحمن
الرحيم » هكذا رواه يحيى بن ادم وعبيدالله الاشجعي عن الثورى ورواه

الفريابى عن الثورى عن خالد الحذاءعن ابى نعامة عن أنس قال « كان النبى صلى اللهعليه وسلم وابو بكر وعمر لايقرؤن بسم اللهالرحمن الرحيم» قال سفيان يعنى لايجهرون بها قال ابو عمر يمكن أن يكون هذا الحديث عن خالد الحذاء عن ابى نعامة الحنفي : وعن ابي قلابة فيكون عنده باسنادين ولا يكون اختلافا على خالد الحذاء : ورواه مالك بن دينار عن أنس بن مالك « قال صليت خلف رسول الله صلى اللهعليه وسلم وخلف ابى بكر وخلف عمر وخلف عثمان فكانوا يفتتحون القراءة بالحمد للهرب العالمين وكانوا يقرؤن مالك يوم الدين » * ورواه يزيدالرقاشى عن أنس « أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ابى بكر وعمر وعثمان فلم يسمع احداً منهم يجهر بسم الله الرحمن الرحيم »

ورواه منصور بن زاذان عن انس بهذا المعنى ايضاً * أخبرنا محمد ابن ابراهيم حدثنا محمد بن معاوية رحمه الله وحدثناعبدالله بن محمدحدثنا حمزة قالا حدثنا احمد بن شعيب انبأنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال سمعت ابى يقول حدثنا أبو حمزة عن منصور بن زاذان عن انس ابن مالك « قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلمفلميسمعنا قراءة بسم الله الرحمن الرحيم وصلى بنا ابو بكر وعمر فلم نسمعها منهما » * وروى هذا الحديث عن الحسن عن أنس فبعض رواتهيقول فيهعن انس « صليت مع رسول اللهصلى الله عليه وسلمومع ابى بكروعمرفلم اسمعهم يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم » * وبعضهم يقول فيه عن أنس « كان النبى صلى الله عليه وسلم يسر ببسم الله الرحمن الرحيم وابو بكر

وعمر » * ورواه عائذبن شريح عن انس بن مالك قال « صليت خلف رسول الله صلى الله عليـه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فلم يجهروا ببسم الله الرحمن الرحيم » * من حديث أبى الأحوص سلام بن سليم عن يوسف بن أسباط عن عائذ بن شريح

فهذا مابلغنا من حديث انس بن مالك من اختلاف الفاظه وكلها قد نزع بما شاء منها من احتج لمذهبه من الفقهاء الذين ذكرنا مذاهبهم في صدر هذا الكتاب والتأويل سائغ فيه ولا حجة عندى في شيء منها لانه قال مرة « كانوا يفتتحون بالحمدلله رب العالمين » ومرة قال «كانوا لا يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم » ومرة قال « كانوا لايقرؤنهـا » ومرة قال لم أسمعهم يقرؤن ببسم الله الرحمن الرحيم » وقدقال مرة أو سئل عن ذلك « كبرت ونسيت » وقدروى شعبة وابن علية عن أبي سلمة سعيدبن يزيد قال « سألت انس بن مالك اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح القراءة في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم او بالحمد لله رب العالمين فقال لقـد سألتني عن شيء ماسألني عنه احد » * قال ابو عمر الذى عندى انه من حفظه عنه حجة على من سأله في حين نسيانه وبالله التوفيق *

فمن رأى قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب سراً احتج بقول أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر وعثمان « أنهم كانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم » و « أنهم كانوا يسرون ببسم الله الرحمن الرحيم » وانه لم يسمعهم يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم يعني جهرا عندهم : وروى منصور بن ابى مزاحم قال حدثنا ابو أويس

عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يجهر بسم الله الرحمن الرحيم » وكذلك قول ابي هريرة في حديث مالك وغيره عن العلاء « إقرأ بها في نفسك » يريد لا يجهر بها

وهذا مذهب سفيان وسائر الكوفيين وأهل الحديث احمد واسحاق وابي عبيد ومن تابعهم : وقد روى هذا الحديث عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن اسناده ضعيف ولا حجة فيه لانه انفرد به محمد بن عبدالملك الأنصاري المدنى الضرير وهو منكر الحديث عندهم متروك نزل بغداد فحدث بها بحنا كير الاسناد ترك لذلك حديثه منها ما رواه عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله الانصارى « قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلم اسمع أحدا منهم يجهر بسم الله الرحمن الرحيم » وهذا لا يوجد عن جابر الا بهذا الاسناد

ومما احتج به من رأى قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب ما حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا جعفر بن محمد بن شاكر حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن سمرة قال « كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكتتان سكتة اذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وسكتة اذا فرغ من القراءة » فأنكر ذلك عليه عمران بن الحصين فكتبوا الى أبي فكتب ابي ان صدق سمرة *

ومما روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم وكان المشركون يقولون نراه يدعو اله اليمامة يعنون مسيلمة وكانوا يسمونه الرحمن

وكانوا يهزؤون فنزلت ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بهافما جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسم الله الرحمن الرحيم بعده » قال ابو عمر هذه الرواية ضعيفة في تأويل هذه الآية لم يتابع عليها الذي جاء بها وفي هذه الآية أقاويل قد ذكرتها في كتاب الاستذكار والحمد لله

وأما ماروى عن الصحابة والتابعين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم سراً في أول فاتحة الكتاب في الصلاة فمن ذلك ما ذكره وكيع فيما حدثناه عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا ابن وضاح حدثنا موسى بن معاوية حدثنا وكيع * وما ذكره عبد الرزاق فيما حدثناه خلف بن سعيد حدثنا عبد الله بن محمد بن على حدثنا احمد بن خالد حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا عبد الرزاق: وما ذكره ابو بكر بن أبي شيبة فيما حدثنا احمد بن عبد الله بن محمد بن على عن أبيه عن عبد الله ابن يونس عن بقى بن مخلد عن ابى بكر * ومن غير كتب هؤلاء أيضا نذكر منها ما حضرنا ذكره * منها ما روى عن عمر بن الخطاب من وجوه ليست بالقائمة انه قال « لا يخفي الامام اربعا التعوذ وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين وربنا لك الحمد » * وروى ابو حمزة عن ابراهيم عن علقمة والاسود عن عبد الله قال « ثلاث يخفيهن الامام الاستعاذة وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين » * وروى حصين وحماد ومغيرة عن ابراهيم قال « يسر الامام اربعا الاستعاذة وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين وربنا لك الحمد » * وكذلك رواه ابو عوانة واسرائيل عن منصور عن ابراهيم * وروى الثورى عن منصور عن ابراهيم قال خمس يجهر بها الامام سبحانك

اللهم وبحمدك والتعوذ وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين وربنا ولك الحمد ذكره وكيع وعبد الرزاق عن الثوري * وروى وكيع عن أبيه عن منصور عن ابراهيم قال أما أنا فأخفي الاستعاذة وبسم الله الرحمن الرحيم: وذكر ابو بكر حدثنا اسحاق بن سليمان الرازى عن ابى سنان عن حماد عن ابراهيم عن الاسود قال صليت خلف عمر سبعين صلاة لم يجهر فيها ببسم الله الرحمن الرحيم قال ابو عمر هذا كله مذهب الكوفيين وأكثر العراقيين وكانوا يجعلون ما خالفه بدعة * وذكر ابن ابى شيبة حدثنا هشيم أنبأنا مغيرة عن ابراهيم قال الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم بدعة * قال وحدثنا وكيع عن ابيه عن مغيرة عن ابراهيم مثله * وأما أهل الحجاز فعلى خلاف ذلك منهم من يرى السنة ان لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم سرا ولا جهراً ومنهم من رأى السنة ان يجهر بها وبآمين ويجهر بالاستعاذة والتوجيه

وممن رأى من السلف ان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم سراً ولا يجهر بها في أول فاتحة الكتاب في الصلاة عمر وعلى وعمار وقد اختلف عن بعضهم فروى عنهم الجهر بها ولم يختلف عن ابن مسعود فيما علمت انه كان يسرها * وبه قال ابو جعفر محمد بن على بن حسين والحسن وابن سيرين وروى ذلك عن ابن عباس وروى عنه الجهر بها * وذكر عبد الرزاق عن اسرائيل عن ثوير بن ابى فاختة عن ابيه ان علياً كرم الله وجهه كان لا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وكان يجهر بالحمد لله رب العالمين: وروى المحاربى وغيره عن ابى سعيد مولى حذيفة عن ابى وائل

شقيق بن سلمة ان علياً وابن مسعود كانا لا يجهران بسم الله الرحمن الرحيم * وروى الثورى وشريك عن عبد الملك بن ابى بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال الجهر بسم الله الرحمن الرحيم قراءة الاعراب * وروى حماد بن زيد عن كثير بن شنظير ان الحسن سئل عن الجهر بسم الله الرحمن الرحيم فقال انما يفعل ذلك الاعراب *وذكر ابو بكر حدثنا هشيم انبأنا ابن عون عن محمد بن سيرين انه كان يخفى بسم الله الرحمن الرحيم قال واخبرنا هشيم انبأنا حصين عن ابراهيم قال كانوا لايجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم*وروى وكيع عن اسرائيل عن جابر عن ابى جعفر محمد بن على قال لايجهر ببسم الله الرحمن الرحيم * اخبرنا قاسم بن محمد قراءة منى عليه ان قاسم بن اصبغ حدثهم حدثنا ابن وضاح حدثنا موسى بن معاوية حدثنا عبيد الله بن موسى قال أملى علينا سفيان الثوري قال فاذا قمت الى الصلاة المكتوبة فكبر وارفع يديك ثم قل سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في نفسك ثم اجهر بالحمد لله رب العالمين يعني في صلاة الجهر؛ قال ابو عمر وهذا قول سائر الكوفيين على ماقدمنا عنهم في صدر هذا الكتاب والله الموفق للصواب *

ذكر ما احتج به من رأى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم من الآثار المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف والصحابة والتابعين ومن قال انها الآية الاولى من فاتحة الكتاب وانها لا تقرأ سراً إلا في صلاة السر وقد ذكرنا القائل بذلك في صدر هذا الكتاب :

اخبرنا احمد بن عبد الله بن محمد بن على حدثنا ابى حدثنا الحسن بن عبد الله الزبيرى وحدثنا ح قال ثنا احمد بن سعيد حدثنا عبد الله بن محمد بن طفيل حدثنا عبد الله بن محمد بن الجارود النيسابورى بمكة أنبأنا محمد بن يحيي أنبأنا ابن أبي مريم قال اخبرنى الليث بن سعد قال حدثني خالد بن زيد عن سعيد بن أبى هلال عن نعيم المجمر قال صليت وراء أبى هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن حتى بلغ ولا الضالين فقال آمين وقال الناس آمين وكان يقول كلما ركع وسجد الله أكبر واذا قام من الجلوس قال الله أكبر ويقول اذا سلم والذى نفسي بيده انى لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حديث محفوظ من حديث الليث عن خالد بن يزيد الاسكندرانى عن سعيد بن ابى هلال وهما جميعا من ثقات المصريين * وأما الليث فامام أهل بلده وقد رواه غير الليث على ما تراه في هذا الباب * وقال عمرو ابن هشام البيروتى صليت خلف الليث بن سعد فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وبآمين * وذكر ابو يحي الساجي عن جعفر بن محمد الفريابى عن ميمون بن ابى الاصبع عن عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد قال أخبرنى خالد بن يزيد عن سعيد بن ابى هلال عن نعيم المجمر

قال صليت وراء ابى هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في أم الكتاب وقال انى لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم * اخبرنى عبد الرحمن بن يحيي أنبأنا احمد بن سعيد ح وحدثنا خلف بن احمد حدثنا احمد بن مطرف قالا انبأنا عبيد الله بن يحيي قال حدثنى ابى رحمه الله حدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن ابي هلال عن نعيم المجمر قال صلى بنا ابو هريرة فوق سطح فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن حتى بلغ ولا الضالين فقال آمين ثم كبر كلما خفض ورفع ثم قال والذي نفسي بيده انى لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم *

وروى ابن وهب قال اخبرني حيوة بن شريح قال اخبرنى خالد بن يزيد عن ابن ابى هلال عن نعيم المجمر قال صليت وراء ابى هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن حتي بلغ ولا الضالين قال آمين فقال الناس امين فلما ركع قال الله اكبر وساق تمام الحديث قال فلما سلم قال والذى نفسي بيده انى لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم

ورواه يحيي بن ايوب عن سعيد بن ابى هلال عن نعيم المجمر عن ابى هريرة مثله بمعناه مختصراً: قال ابو عمر حديث نعيم المجمر هذا يعارض حديث العلاء اقرأ بها في نفسك وابن ابي هلال الذى عليه يدور هذا الحديث ليس بدون العلاء ومما يشهد لصحة حديث ابن ابى هلال عن نعيم المجمر عن ابى هريرة مارواه سعيد المقبرى وصالح مولى التوئمة عن ابى

هريرة انه كان يفتتح بيسم الله الرحمن الرحيم : هذا لفظ رواية صالح عن أبي هريرة .

وذكر ابو بكر بن ابى شيبة قال حدثنا هشيم انبأنا ابو معشر عن سعيد بن ابى سعيد عن أبى هريرة انه كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وقد روي حديث ابى هريرة مرفوعا كما رواه سعيد بن ابى هلال عن نعيم المجمر عن أبى هريرة : العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريرة اخبرنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا أبو يحيي بن ابى ميسرة فقيه مكة حدثنا النضر بن سلمة حدثنا اسماعيل بن ابى أويس عن أبيه عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابى هريرة «ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا افتتح الصلاة جهر بها ببسم الله الرحمن الرحيم» * قال ابو يحيي قال لى موسى بن هارون الحمال هذا الحديث قد رواه عن أبي اويس عبد الله كما رواه عنه ابنه

ومما يدل على ان بسم الله الرحمن الرحيم آية من أول فاتحة الكتاب وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها كذلك ويجهر بها ما وصفت أم سلمة في قراءة رسول الله صلى عليه وسلم * حدثنا ابراهيم بن شاكر حدثنا عبد الله بن عثمان حدثنا طاهر بن عبد العزيز حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا ابو عبيد القسم بن سلام حدثنا يحيي بن سعيد الأموى حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز حدثنا جريج عن عبد الله بن مليكة عن أم سلمة ام المؤمنين « قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته آية آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين» * حدثنا

سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا حفص بن غياث عن ابن جريج عن ابن ابى مليكة عن ام سلمة قالت « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين »

حدثنا سعيد بن يحي بن سعيد الأموى عن ابيه عن ابن جريج عن ابن ابى مليكة عن ام سلمة « قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ قطع قراءته آية آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم مالك يوم الدين » * وذكر الساجى حدثنا محمد بن موسى الحرشي حدثنا عمر بن محمد المقدمي حدثنا نافع بن عمر الجمحي قال سمعت ابن ابى مليكة يحدث عن ام المؤمنين انها سئلت عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت او تقدرون على ذلك «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين يرتل آية آية » ذكر عبد الرزاق انبأنا ابن جريج قال اخبرني عمرو بن دينار ان سعيد بن جبير أخبره « أن المؤمنين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم فاذا نزلت بسم الله الرحمن الرحيم علموا ان السورة قد انقضت ونزلت الأخرى * وروى هذا الحديث جماعة عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس * اخبرنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ابو داود حدثنا قتيبة بن سعيد واحمد بن محمد بن شبويه واحمد بن عمرو بن السرح قالوا حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير

قال قتيبة(١) عن ابن عباس « قال كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم » وهذا لفظ ابن السرح * اخبرنا عبد الله حدثنا محمد حدثنا أبو داود حدثنا هناد بن السرى حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل قال سمعت أنس بن مالك يقول « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال اتدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى في الجنة »

اخبرنا عبد الله بن محمد حدثنا حمزة حدثنا احمد بن شعيب انبأنا على بن حجر وحدثنا سعيد بن نصر وعبد الوارث بن سفيان قالا حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا على بن مسهر عن المختار بن فلفل عن أنس قال « بينا النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفي اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما يضحكك يارسول الله قال نزلت علىّ آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال نهر وعدنيه ربي في الجنة آنيته اكثر من عدد الكواكب ترد علىّ امتى فيختلج العبد منهم فأقول يارب انه من أمتى فيقال انك لا تدري ما أحدث بعدك » واللفظ لحديث النسائى *

اخبرنا قاسم بن محمد حدثنا خالد بن سعد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنى محمد بن احمد بن عبد الله عن أبى عون النسائي قدم

(١) هكذا الاصل فليتنبه

علينا بغداد حاجاً سنة سبع وثمانين ومأتين حدثنا على بن حجر حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقى عن عبد الكريم الجزرى عن ابى الزبير عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قام في الصلاة فأراد أن يقرأ قال بسم الله الرحمن الرحيم قال ابو عمر قد رفعه غيره ايضا عن ابن عمر ولا يثبت فيه : الا انه موقوف على ابن عمر من فعله والله اعلم كذلك رواه سالم ونافع ويزيد الفقير عن ابن عمر وروى ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر انه كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب ويقرؤها كذلك فى السورة التى يقرأ بعدها وكذلك رواه أيوب وابن جريج وعبدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فعله: وذكر أبو بكر حدثنا ابو اسامة حدثنا عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر انه كان اذا افتتح الصلاة قرأ بسم الله الرحمن الرحيم واذا فرغ من الحمد قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وروى ابن وهب حدثنا عبد الله بن عمرو اسامة بن زيد عن نافع عن ابن عمر انه كان يفتتح ام الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم ثم يفتتح السورة بعد ببسم الله الرحمن الرحيم: ذكر الساجي حدثنا جعفر ابن محمد حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا سعدان بن يحيي الحلمي حدثنا عمر بن ذر عن سعيد بن عبد الرحمن بن ابزى عن ابيه قال صليت خلف عمر بن الخطاب فسمعته يجهر بسم الله الرحمن الرحيم قال وحدثنا جعفر بن محمد حدثنا ابو نعيم الحلبي عن ابى الزبير عن ابن عمر أنه كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب واذا فرغ من السورة ويجهر فيها قال وحدثنا ابن المثنى حدثنا يحيي بن سعيد حدثنا حميد حدثنا

بكر أن ابن الزبير كان يستفتح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم قال حميد كان بكر يستفتح القراءة بالحمد لله رب العالمين وروى وكيع عن شعبة عن الازرق عن قيس قال سمعت ابن الزبير قرأ بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين فلما ختمها قرأ بسم الله الرحمن الرحيم: وروى اسحاق ابن راهويه عن المعتمر بن سليمان قال سمعت اسماعيل بن حماد يذكر عن ابي خالد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وذكره الساجي عن يحي بن حبيب بن عربي عن معتمر بن سليمان باسناده مثله الا انه قال ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم: قال ابو عمر الصحيح في هذا الحديث أيضاً والله اعلم انه روى عن ابن عباس فعله لا مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم وروى وكيع عن سفيان عن عاصم بن ابى النجود عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس انه كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وذكره الساجي عن بندار عن ابن مهدى عن سفيان الثوري عن عاصم قال سمعت سعيد بن جبير يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في كل ركعة: وروى عبد الرزاق وغيره عن ابن جريج قال اخبرني أبي ان سعيد بن جبير اخبره عن ابن عباس قال في قول الله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني)[1] قال هي ام القرآن قال عبد الرزاق قرأها عليّ ابن جريج بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية آية وقال قرأها عليّ أبي كما قرأتها عليك

١ ـ الحجر ٨٧

وقال قرأها على ابن جبير كما قرأتها عليك وقال ابن عباس قد اخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم يعنى فاتحة الكتاب السبع المثانى قال عبدالرزاق وابن معمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه يفتتح بسم الله الرحمن الرحيم *

أخبرنا ابراهيم بن شاكر حدثنا عبدالله بن عثمان حدثنا طاهر بن عبدالعزيز انبأنا على بن عبد العزيز أنبأنا أبوعبيد القسم بن سلام أخبرنا حجاج عن ابن جريج عن أبيه عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن قوله عز وجل (ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم) قال هي أم القرآن استثناها الله لأُمة محمد صلى الله عليه وسلم وأخرها حتى أخرجها لهم ولم يعطها أحداً قبل أمة محمد قال سعيد ثم قرأها ابن عباس وقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال ابن جريج قلت لابى أخبرك سعيد بن جبير عن ابن عباس قال له بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب قال نعم * وروى حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يجهر بسم الله الرحمن الرحيم يقول هو شيء اختلسه الشيطان من عامة الناس *

وقد روي عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعمار بن ياسر انهم كانوا يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم والطرق عنهم ليست بالقوية وقد قدمنا الاختلاف عنهم في ذلك * روى عن عمر رحمه الله فيها ثلاث روايات أحدها انه كان لايقرؤها والثانية انه كان يقرؤها سراً والثالثة انه جهر بها * وكذلك اختلف عن أبى هريرة من الجهر بها والاسرار ففي

حديث العلاء اقرأ بها في نفسك يافارسي: وفي حديث نعيم المجمر انه كان يجهر بها ويقول أنا أشبهكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وكذلك اختلف عن ابن عباس والأكثر عنه والاشهر الجهر بها وانها أول آية من فاتحة الكتاب وعليه جماعة اصحاب ابن عباس الفقهاء واهل العلم بتأويل القرآن ولا أعلم انه اختلف في الجهر بها في فاتحة الكتاب عن ابن عمر وشداد بن أويس وعبدالله بن الزبير وهو قول سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد وطاوس وعكرمة ومكحول وعمر ابن عبدالعزيز وابن شهاب الزهري ومحمد بن كعب القرظي وهو أحد قولي ابن وهب صاحب مالك وروى معاذ بن معاذ عن حميد الطويل عن بكر بن عبدالله المزنى قال كان ابن الزبير يجهر بسم الله الرحمن الرحيم * أخبرنا ابراهيم بن شاكر حدثنا عبدالله بن عثمان حدثنا طاهر ابن عبدالعزيز حدثنا علي بن عبدالعزيز حدثنا أبو عبيد القسم بن سلام أخبرنا حسان بن عبدالله عن المفضل بن فضالة عن أبى صخر حميد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال فاتحة الكتاب سبع آيات ببسم الله الرحمن الرحيم قال المفضل وكان ابن شهاب يقول من ترك بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك آية من فاتحة الكتاب أو قال من السورة * وبه عن أبي عبيد أنبأنا ابن أبى مريم عن عبدالجبار بن عمر انه سمع كتاب عمر بن عبدالعزيز يقول أن استفتحوا ببسم الله الرحمن الرحيم : وروى المعتمر بن سليمان أنبأنا أبو المقدام قال صليت خلف عمر بن عبدالعزيز فسمعته يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وعن المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أبى قلابة انه كان

يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكان عمر بن عبدالعزيز يحمل الناس على عمل أهل المدينة

ومما يدل على انه كان من عمل اهل المدينة الجهر بسم الله الرحمن الرحيم ماذكره الشافعي قال حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز حدثنا ابن جريج اخبرنى عبدالله بن عثمان بن خثيم أن أبا بكر بن حفص بن عمر بن سعد اخبره ان انس بن مالك اخبره قال صلى معاوية بالمدينة صلاة يجهر فيها بالقراءة فلم يقل بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر فى الخفض والرفع فلما فرغ ناداه المهاجرون والأنصار يامعاوية نقصت الصلاة اين بسم الله الرحمن الرحيم واين التكبيرة اذا خفضت ورفعت فكان اذا صلى بهم بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكبر * وذكر هذا الخبر عبدالرزاق وغيره عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر قال الشافعي واخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن والسورة التى بعدها : وذكر الساجى حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا حماد بن زيد انبأنا ايوب عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يستفتح بسم الله الرحمن الرحيم يجهر بها وكان يقول انما ذلك شيء سرقه الشيطان من الناس : وذكر عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء قال لا ادع قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ابداً لأم القرآن والسورة التى بعدها قال وانبأ معمر عن الزهرى مثله قال وانبأ معمر عن الزهرى في قول الله تبارك وتعالى (والزمهم كلمة التقوى)[1] قال بسم الله الرحمن الرحيم حين لم يقرأ المشركون بسم الله الرحمن الرحيم : قال

[1] - الفتح ٢٦

ابو عمر حين لم يقرأ بها سهيل بن عمرو العامري واصحابه الذين عقدوا الصلح مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام الحديبية في انصرافه عنهم الى العام القابل وابوا أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وفي ذلك نزلت سورة الفتح في قوله تعالى (والزمهم) يعني المؤمنين (كلمة التقوى وكانوا أحق بها واهلها)[1] وقد قيل في قوله تعالى (والزمهم كلمة التقوى)[1] لا اله الا الله: وقول ابن شهاب في ذلك يعضده الآثار في صلح الحديبية ونزول سورة الفتح والله اعلم:

وكان مكحول يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فكلم في ذلك فأبى الا ان يجهر بها: وروى الوليد بن مسلم عن الهيثم بن جميل عن النعمان بن المنذر عن مكحول قال لا يقرأ بفاتحة الكتاب حتى يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: وقال عطاء الخراساني الجهر بها حسن جميل: قال عكرمة لا يصلى خلف من لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: وكان طاوس يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب ولا يقرأها في السورة التي بعدها وخالفه عطاء وأكثر اصحاب ابن عباس في ذلك فكانوا يقرؤنها في فاتحة الكتاب وفي السورة التي يقرؤون بعدها: وكان مالك بن انس يرى قراءتها في النوافل في فاتحة الكتاب وفي سائر سور القرآن وهو قول محمد بن الحسن: وكان الشافعي يرى قراءتها في الصلوات المكتوبات وفي النوافل فرضا لانها عنده آية من فاتحة الكتاب ولا صلاة عنده لمن لم يقرأها بتمامها في كل ركعة ومن اسقط عنده منها حرفا واحدا لم تجزئه صلاته ولم تصح له الركعة منها اذا لم يقرأ ام القرآن كلها فيها:

١ ـ الفتح ٢٦

ومذهب احمد بن حنبل الاسرار ببسم الله الرحمن الرحيم كمذهب الكوفيين وقال لا يجهر بها أحد الا في قيام رمضان في غير فاتحة الكتاب بين السورتين فانه من فعل ذلك فلاشيء عليه قال عبدالله بن احمد بن حنبل سمعت أبي يقول يقرأ الرجل بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة في قيام رمضان والذي يختم القرآن يقرأ كما في المصحف يعجبني ذلك :

حدثنا احمد بن قاسم حدثنا محمد بن عبدالله بن أبي ذليم حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى عن عبدالله بن نافع قال لا أرى لاحد أن يترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فريضة ولا نافلة . وروى أبو ثابت عن ابن نافع عن مالك قال لا بأس أن تقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في الفريضة والنافلة . ولا يصح هذا عندنا عن مالك والله أعلم وانما هو صحيح عن ابن نافع * أخبرنا أبو محمد قاسم بن محمد حدثنا خالد ابن سعد ح وأنبأنا عبدالرحمن بن يحيى حدثنا احمد بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عثمان الاعناقى أنبأنا عبد الله بن محمد بن خالد أنبأنا أصبغ بن الفرح قال كان ابن وهب يذهب الى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم رجع الى الاسرار بها

(آخر الكتاب والحمدلله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه . حسبي الله ونعم الوكيل)

قوبلت هذه الرسالة على نسخة محفوظة بمكتبة رواق المغاربة وعليها اجازات من علماء القرن الثامن والله اعلم

الزهــــر النضــــر

في نبأ الخضر

تأليف

الحافظ الحجة شهاب الدين أبى الفضل

احمد بن علي بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ



الحمد لله المنفرد بالبقاء والدوام * وعلى من خصه بمزيد التفضل والسيادة مزيد الصلاة والسلام* وأنزل عليه فى الكتاب المكنون (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) * وعلى آله وصحبه الذين كانوا يأمرون بالخير ويأتمرون * صلاة وسلاما دائمين الى يوم يبعثون .

(أما بعد) فقد تكرر السؤال قديماً وحديثاً عن الخضر صاحب موسى هل هو نبي أو ولي وهل عمر الى أن أدرك بعثة النبي صلى الله عليـه وسلم وعاش بعده أو مات قبل ذلك أو هو حي باق وعن كثير من أخباره وكنت جمعت في ذلك مما صنف فيه بخصوصه من القدماء أبوجعفر بن المنادى ومن المتأخرين أبو الفرج بن الجوزي وأضفت اليهمـــا أشياء ظفرت بها بطول التتبع . ثم لما التزمت فى كتابي الاصابة في تميـيز الصحابة أن أذكر كل من جاء فى خبر من

الاخبار أنه لقى النبي صلى الله عليه وسلم لزم ذكرى للخضر عليه السلام لأنه من شرط الاصابة وان لم يرد في خبر ثابت أنه من جملة الصحابة وقد أفردته الآن ليقف كل سائل عنه على كل ما كنت قرأته وسمعته وجعلته أبوابا والله أسأل النفع به أنه قريب مجيب

باب نسبه

قيل هو ابن آدم من صلبه . وهذا قول رواه الدارقطنى في الافراد من طريق رواد بن الجراح عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما * ورواد ضعيف ومقاتل متروك والضحاك لم يسمع من ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ القول الثاني ﴾ أنه ابن قابيل بن آدم : ذكره أبو حاتم السجستانى في كتاب المعمرين قال حدثنا مشيختنا منهم أبو عبيدة فذكره . وهذا معضل . وحكي صاحب هذه المقالة ان اسمه خضرون وهو الخضر * ﴿ القول الثالث ﴾ جاء عن وهب بن منبه أنه بليا بن ملكان بن قالع ابن شالخ بن عابر بن ارفخشذ بن سام بن نوح . وبهذا قال ابن قتيبة وحكاه النووى وزاد وقيل كلمان بدل ملكان * ﴿ القول الرابع ﴾ جاء عن اسماعيل ابن أبي أويس أنه المعمر بن مالك بن عبد الله بن نصر بن الازد . وقيل اسمه عامر حكاه أبو الخطاب بن دحية عن ابن حبيب البغدادى * ﴿ القول الخامس ﴾ هو ابن عمائيل بن النور بن العيص بن اسحق حكاه ابن قتيبة أيضاً وكذا سمى أباه عاميل مقاتل ﴿ القول السادس ﴾ انه من سبط هرون أخي موسى روى عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو بعيد واعجب منه قول ابن اسحق انه ارميا بن خلقيا وقد رد ذلك ابو جعفر بن جرير * ﴿ القول السابع ﴾ انه ابن بنت فرعون حكاه محمد بن ايوب عن ابن لهيعة .

وقيل ابن فرعون لصلبه حكاه النقاش * ﴿ القول الثامن ﴾ انه اليسع حكى عن مقاتل ايضاً وهو بعيد ايضاً * ﴿ القول التاسع ﴾ انه من ولد فارس جاء ذلك عن ابن شوذب اخرجه الطبري بسند جيد من رواية ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب * ﴿ القول العاشر ﴾ انه من ولد بعض من كان آمن بابراهيم وهاجر معه من ارض بابل حكاه ابن جرير الطبري في تاريخه : وقيل كان ابوه فارسيا وامه رومية . وثبت في الصحيحين ان سبب تسميته الخضر انه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء . هـذا لفظ احمد من رواية ابن المبارك عن معمر عن همام عن أبى هريرة رضى الله عنه والفروة الارض اليابسة : وقال احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبى هريرة رضى الله عنـه رفعه إنما سمى الخضر خضراً لانه جلس على فروة فاهتزت تحته خضراء والفروة الحشيش الابيض . قال عبد الله بن احمد أظنه تفسير عبـد الرزاق : وفى الباب عن ابن عباس رضى عنهمـا من طريق قتادة عن عبد الله بن الحرث عنه ومن طريق منصور عن مجاهد . قال النووى كنيته أبو العباس . وهـذا متفق عليـه .

﴿ باب ما ورد في ذكر كونه نبياً ﴾

قال الله تعالى في خبره عن موسى حكاية عنه « وما فعلتـه عن أمرى » وهذا ظاهره أنه فعله بأمر من الله والاصل عـدم الواسطة ويحتمل أن يكون بواسطة نبي آخر لم يذكره وهو بعيد ولا سبيل الى القول بأنه إلهـام لان ذلك لا يكون من غير النبي وحياً حتى يعمـل به ما عمل من قتل النفس وتعريض الانفس للغرق :فان قلنا انه نبي فلا انكار في ذلك وأيضاً كيف يكون غير النبي أعلم من النبي وقد أخبر النبى صلى الله عليـه وسلم في الحديث الصحيح أن الله

تعالى قال لموسى « بلى عبدنا خضر » وأيضاً فكيف يكون النبي تابعا لغير نبي وقال الثعلبي هو نبي في جميع الأقوال : وكان بعض أكابر العلماء يقول . أول عقدة تحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبياً لان الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي الى أن الولى أفضل من النبي كما قال قائلهم

مقـــام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولى

وقال أبو جعفر بن جرير فى تاريخه كان الخضر ممن كان فى ايام أفريدون الملك فى قول عامة أهل الكتاب الاول . وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان على أيام ابراهيم الخليل عليه السلام وانه بلغ مع ذى القرنين الذى ذكر أن الخضر كان ملتزمه نهر الحياة فشرب من مائه وهو لا يعلم ولا يعلم ذو القرنين ومن معه فخلد وهو عندهم حي الى الآن : قال ابن جرير وذكر ابن اسحق ان الله تعالى استخلف على بنى اسرائيل رجلا منهم وبعث الخضر معه نبيا قال ابن جرير بين هذا الوقت وبين أفريدون أزيد من ألف عام قال وقول من قال انه كان فى أيام افريدون اشبه الا ان يحمل على انه لم يبعث نبيا الا فى زمن ذلك الملك ٭ قلت بل يحتمل أن يكون قوله وبعث معه الخضر نبياً أى أيده لان ذلك الوقت كان وقت انشاء نبوته فلا يمتنع ان يكون نبي قبل ذلك ثم أرسل مع هـذا الملك : وإنما قلت ذلك لان غالب اخباره مع موسى هي الدالة على تصحيح قول من قال انه كان نبياً ثم اختلف من قال انه كان نبياً هل كان مرسـلا فجاء عن ابن عباس ووهب بن منبه انه كان نبياً غير مرسل وجاء عن اسماعيل بن أبي زياد ومحمد ابن إسحق وبعض اهل الكتاب انه ارسل الى قومه فاستجابوا له ونصر هـذا القول ابو الحسن الرمانى ثم ابن الجوزى وقال الثعلبي هو نبي على جميع الأقوال معمر محجوب عن الابصار ٭ وقال أبو حيان فى تفسيره والجمهور على انه نبي وكان علمه معرفة بواطن أوحيت اليه وعلم موسى الحكم بالظاهر : وذهب الى انه كان

وليا جماعة من الصوفية وقال به أبو على بن أبي موسى من الحنابلة وأبو بكر بن الانباري في كتابه الزاهر بعد أن حكى عن العلماء قولين هل كان نبياً أو ولياً: وقال أبو القاسم القشيرى في رسالته لم يكن الخضر نبياً وانما كان ولياً وحكى الماوردى قولاً ثالثاً أنه ملك من الملائكة يتصور فى صور الآدميين مغيراً ذاتاً: وقال أبو الخطاب بن دحية لا ندرى هو ملك أو نبي أو عبد صالح . وجاء من طريق أبى صالح كاتب الليث عن يحيي بن أيوب عن خالد بن يزيد ان كعب الاحبار قال ان الخضر بن عاميل ركب في نفر من أصحابه حتى بلغ بحر الترك وهو بحر الصين فقال لاصحابه دلوني فدلوه فى البحر أياماً وليالي ثم صعد فقالوا له يا خضر ما رأيت فلقد أكرمك الله وحفظ لك نفسك فى لجة هذا البحر قال استقبلني ملك من الملائكة فقال لى فكيف وقد أهوى رجل من زمان داود النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبلغ ثلث قعره حتي الساعة وذلك منذ ثلثمائة سنة أخرجه أبو نعيم فى ترجمة كعب من الحلية :

(باب ما ورد في تعميره والسبب في ذلك)

روى الدارقطنى بالاسناد الماضى(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نسىء للخضر فى أجله حتى يكذب الدجال . وذكر ابن إسحق فى المبتدأ قال حدثنا أصحابنا ان آدم لما حضره الموت جمع بنيه وقال ان الله تعالى منزل على اهل الارض عذابا فليكن جسدى معكم فى المغارة حتى تدفنوني بأرض الشام فلما وقع الطوفان قال نوح لبنيه ان آدم دعى الله ان يطيل عمر الذى يدفنه الى يوم القيامة فلم يزل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذي تولى دفنه وأنجز الله له ماوعده فهو

(١) تقدم ان في سنده رواد بن الجراح وهو ضعيف عن مقاتل بن سليمان وهو متروك عن الضحاك عن ابن عباس والضحاك لم يلق ابن عباس

يحيا الى ما شاء الله ان يحيا * وروى ابن عساكر فى ترجمة ذى القرنين من طريق خيثمة بن سليمان حدثنا أبو عبيدة بن أخى هناد حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابى قال حدثنا معتمر بن سليمان عن أبي جعفر عن ابيه انه سئل عن ذى القرنين فقال كان عبداً من عباد الله صالحاً وكان من الله بمنزل ضخم وكان قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة يقال له رفائيل وكان يزوره فبينما يتحدثان إذ قال له حدثنى كيف عبادتكم فى السماء فبكى وقال وما عبادتكم عند عبادتنا . ان في السماء ملائكة قيام لا يجلسون أبداً يقولون رب ما عبدناك حق عبادتك فبكى ذو القرنين ثم قال يارفائيل اني أحب أن أعمرحتى أبلغ عبادة ربي حق طاعته قال وتحب ذلك قال نعم قال فان لله عينا تسمى عين الحياة من شرب منها شربة لم يمت أبداً حتى يكون هو الذى يسأل ربه الموت قال ذوالقرنين فهل تعلم موضعها قال لا غير انا نتحدث فى السماء ان لله ظلمة فى الارض لم يطأها إنس ولا جن فنحن نظن أن العين فى تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء الارض فسألهم عن عين الحياة فقالوا لا نعرفها قال فهل وجدتم فى علمكم ان لله ظلمة فقال عالم منهم لِمَ تسألُ عن هذا فاخبره فقال اني قرأت فى وصية آدم ذكر هذه الظلمة وأنها عند قرن الشمس فتجهز ذو القرنين وسار اثنتى عشرة سنة الى أن بلغ طرف الظلمة فاذا هى ليست بليل وهى تفور مثل الدخان فجمع العساكر وقال انى أريد ان أسلكها فمنعوه فسأله العلماء الذين معه ان يكف عن ذلك لئلا يسخط الله عليهم فأبى فانتخب من عساكره ستة الاف رجل على ستة الاف فرس أنثى بكر وعقد للخضر على مقدمته فى الفى رجل فسار الخضر بين يديه وقد عرف ما يطلب وكان ذو القرنين يكتمه ذلك فبينا هو يسير إذ عارضه واد فظن ان العين فى ذلك الوادى فلما أتى شفير الوادى استوقف أصحابه وتوجه فاذا هو على حافة عين من ماء فنزع ثيابه فاذا ماء أشد بياضاً من اللبن واحلى

من الشهد فشرب منه وتوضأ واغتسل ثم خرج ولبس ثيابه وتوجه ومر ذو القرنين فأخطأ الظلمة . وذكر بقية الحديث

ويروى عن سليمان الاشج صاحب كعب الاحبار عن كعب ان الخضر كان وزير ذى القرنين وانه وقف معه على جبل الهند فرأى ورقة فيها بسم الله لرحمن الرحيم من آدم أبى البشر الى ذريته اوصيكم بتقوى الله واحذركم كيد عدوي وعدوكم ابليس فانه انزلني هنا قال فنزل ذو القرنين فمسح جلوس آدم فكانت مائة وثلاثين ميلا *

ويروى عن الحسن البصرى قال وكّل الياس بالفيافي ووكّل الخضر بالبحور وقد أعطيا الخلد في الدنيا الى الصيحة الاولى وانهما يجتمعان فى موسم كل عام. وقال الحارث بن أبى أسامة في مسنده حدثنا عبد الرحيم بن واقد حدثنى محمد بن بهرام أخبرنا أبان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الخضر فى البحر واليسع في البر يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج ويعتمران كل عام ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما الى قابل » * قلت وعبد الرحيم وأبان متروكان * وقال عبد الله بن المغيرة عن ثور عن خالد بن معدان عن كعب قال الخضر على منبر من نور بين البحر الأعلى والبحر الأسفل وقد أمرت دواب البحر أن تسمع له وتطيع وتعرض عليه الارواح غدوة وعشية . ذكره العقيلى : وقال عبد الله بن المغيرة يحدث بما لا أصل له وقال ابن يونس أنه منكر الحديث * وروى ابن شاهين بسند ضعيف الى خصيف قال أربعة من الانبياء أحياء اثنان في السماء عيسى وادريس واثنان في الارض الخضر والياس فأما الخضر فانه في البحر وأما صاحبه فانه في البر : وسيأتى في الباب الاخير أشياء من هذا الجنس كثيرة وقال الثعلبى يقال أن الخضر لا يموت إلا في آخر الزمان عند رفع القرآن : قال

النووى في تهذيبه قال الاكثرون من العلماء هو حى موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والاخذعنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة أومواطن الخير اكثر من ان تحصى وأشهر من ان تذكر : قال وقال ابن الصلاح في فتاواه هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم قال وانما شذ بانكاره بعض المحدثين ٠

قال السهيلى فى كتاب التعريف والاعلام اسم الخضر مختلف فيه فذكر بعض ما تقدم وذكر في قول من قال أنه ابن عاميل بن سماطين بن أرما بن خالفا بن عيصو بن إسحق وأن أباه كان ملكا وأن أمه فارسية اسمها ألهاء وانها ولدته في مغارة وانه وجد هناك شاة ترضعه فى كل يوم من غنم رجل من القرية فأخذه الرجل ورباه فلما شب طلب الملك كاتبا يكتب الصحف التى أنزلت على ابراهيم فجمع أهل المعرفة والنبالة فكان فيمن أقدم عليه ابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه ومعرفته بحث عن جلية أمره حتى عرف أنه ابنه فضمه الى نفسه وولاه أمر الناس ثم ان الخضر فر من الملك لاسباب يطول ذكرها الى أن وجد عين الحياة فشرب منها فهو حي الى أن يخرج الدجال فهو الرجل الذى يقتله الدجال ثم يحييه قال وقيل إنه لم يدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لا يصح قال وقال البخارى وطائفة من أهل الحديث مات الخضر قبل انقضاء مائة سنة من الهجرة قال ونصر شيخنا أبو بكر بن العربي هذا لقوله صلى الله عليه وسلم « على رأس مائة سنة لا يبقى على الارض ممن هو عليها أحد » يريد ممن كان حياً حين هذه المقالة قال وأما اجتماعه مع النبي صلى الله عليه وسلم وتعزيته لاهل بيته وهم مجتمعون بغسله عليه الصلاة والسلام فروى من طرق صحاح منها ما ذكره ابن عبد البر فى التمهيد وكان امام أهل الحديث في وقته

فذكر الحديث في تعزية الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم يسمعون القول ولا يرون القائل فقال لهم علي رضى الله عنه هو الخضر قال وقد ذكر ابن أبي الدنيا من طريق مكحول عن أنس رضى الله عنه اجتماع الياس بالنبي صلى الله عليه وسلم واذا جاز بقاء الياس الى العهد النبوى جاز بقاء الخضر انتهى ملخصاً

وتعقبه عليه فيه أبو الخطاب بن دحية بأن الطرق التى أشار اليها لم يصح منها شيء ولا ثبت اجتماع الخضر مع أحد من الانبياء الامع موسى كما قص الله تعالى من خبرهما قال وجميع ما ورد في حياته لا يصح منها شيء باتفاق أهل النقل وانما يذكر ذلك من يروى الخبر ولا يذكر علته اما لكونه لا يعرفها وإما لوضوحها عند أهل الحديث قال واما ما جاء عن المشايخ فهو مما يتعجب منه كيف يجوز لعاقل أن يلقى شخصاً لا يعرفه فيقول له أنا فلان فيصدقه . قال وأما حديث التعزية الذى ذكره أبو عمر فهو موضوع رواه عبد الله بن المحرز عن يزيد بن الاصم عن علي رضى الله عنه وابن محرز متروك وهو الذى قال ابن مبارك في حقه كما أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه لما رأيته كانت بعرة أحب الىّ منه ففضل رؤية النجاسة على رؤيته: قلت فقد جاء ذكر التعزية المذكورة من غير رواية عبد الله بن محرز كما سأذكره بعد قال وأما حديث مكحول عن أنس رضى الله عنه فهو موضوع ثم نقل تكذيبه عن احمد ويحيي وإسحق وأبى زرعة قال وسياق المتن ظاهر النكارة وانه من الخرافات انتهى كلامه ملخصاً . وسأذكر حديث أنس رضى الله عنه بطوله وان له طريقاً غير التى أشار اليها السهيلى

(ذكر شيء من أخبار الخضر قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم)

قد قص الله تعالى في كتابه ما جرى لموسى عليه السلام معه وأخرجه الصحيحان من طرق عن أبي بن كعب وفي سياق القصة زيادات في غير الصحيح قد نبهت عليها فى فتح البارى بشرح البخارى وثبت في الصحيحين ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال « وددت أن موسى صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما» وهذا مما استدل به من زعم أنه لم يكن حالة هذه المقالة موجوداً إذ لو كان موجوداً لأمكن أن يصحبه بعض أكابر الصحابة رضى الله عنهم فيرى منه نحواً مما رأى موسى وقد أجاب عن هذا من ادعى بقاءه بان التمنى انما كان لما يقع بينه وبين موسى عليهما السلام وغير موسى لا يقوم مقامه

(ومن أخباره مع غير موسى)

ما أخرجه الطبرانى في المعجم الكبير من وجهين عن بقية بن الوليد عن محمد بن زياد الالهانى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال« الا أخبركم عن الخضر قالوا بلى يارسول الله قال بينا هو ذات يوم يمشى في سوق بنى اسرائيل أبصره رجل مكاتب فقال له تصدق علي بارك الله فيك فقال الخضر آمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون . ماعندى من شيء أعطيك فقال المسكين أسألك بوجهه لما تصدقت علي فاني نظرت السماحة في وجهك ورجوت البركة عندك فقال الخضر آمنت بالله ما عندى شيء أعطيك الا أن تأخذنى وتبيعني فقال المسكين وهل يستقيم هذا قال نعم الحق أقول لقد سألتنى بأمر عظيم أما انى لا أخيبك بوجه ربى بعنى قال فقدمه الى السوق فباعه بأربعمائة درهم فمكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء فقال له إنك انما اشتريتنى التماس خير عندى فاوصنى بعمل قال أكره أن أشق عليك انك شيخ كبير ضعيف قال ليس يشق علي قال فقم فانقل هذه الحجارة وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم فخرج الرجل لبعض حاجته ثم انصرف وقد نقل الحجارة في ساعة فقال أحسنت وأطقت ما لم أرك تطيقه قال ثم عرض للرجل سفر فقال انى أحسبك أميناً فاخلفنى في أهلي خلافة حسنة قال نعم وأوصنى بعمل قال انى

أ كره ان أشق عليك قال ليس يشق علي قال فاضرب من اللبن لبيتى حتى أقدم عليك قال ومر الرجل لسفره ثم رجع وقد شيد بناءه فقال أسألك بوجه الله ما سبيلك وما أمرك قال سألتنى بوجه الله ووجه الله أوقعنى في العبودية فقال الخضر سأخبرك أنا الخضر الذى سمعت به سألني مسكين صدقة فلم يكن عندي ما أعطيه له فسألنى بوجه الله ومن سئل بوجه الله فرد سائله وهو يقدر وقف يوم القيامة وليس على وجهه جلد ولا لحم الا عظم تقعقع فقال الرجل آمنت بالله شققت عليك يانبى الله ولم أعلم قال لا بأس أحسنت وأيقنت فقال الرجل بأبي أنت وأمي يانبي الله احكم في أهلى ومالي بما شئت أو اختر فأخلى سبيلك قال أحب ان تخلى سبيلى فاعبد ربى قال فخلى سبيله فقال الخضر الحمد لله الذى أوقعنى في العبودية ثم نجانى منها»
قلت وسند هذا الحديث حسن لولا عنعنة بقية ولو ثبت لكان نصا ان الخضر نبي لحكاية النبى صلى الله عليه وسلم قول الرجل يانبي الله وتقريره على ذلك

(ذكر من ذهب الى ان الخضر مات)

نقل أبو بكر النقاش في تفسيره عن علي بن موسى الرضى وعن محمد بن اسماعيل البخارى ان الخضر مات وان البخاري سئل عن حياة الخضر فأنكر ذلك واستدل بالحديث «ان على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها أحد » وهذا أخرجه هو فى الصحيح عن ابن عمر وهو عمدة من تمسك بانه مات وانكر ان يكون باقياً : وقال أبو حيان فى تفسيره الجمهور على انه مات ونقل عن أبي الفضل المرسى ان الخضر صاحب موسى مات لانه لو كان حياً لزمه المجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم والايمان به واتباعه وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعي » وأشار الى أن الخضر هو غير صاحب موسى وقال غيره لكل زمان خضر وهي دعوى لا دليل

عليها : ونقل أبو الحسن بن المنادى في كتابه الذى جمعه في ترجمة الخضر عن ابراهيم الحربي ان الخضر مات وبذلك جزم ابن المناوي المذكور : وذكر ابن الجوزى في جزئه الذى جمعه في ذلك عن أبي يعلى بن الفراء الحنبلى قال سئل بعض اصحابنا عن الخضر هل مات فقال نعم وبلغني مثل هذا عن ابى طاهر ابن العبادى وكان يحتج بانه لو كان حيا لجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم: واستدل ابن الجوزى بانه لو كان حياً مع ما ثبت أنه كان في زمن موسى وقبل ذلك لكان جسده مناسباً لاجساد أولئك ثم ساق بسند له الى أبي عمر ان الجوني قال قال كان أنف دانيال ذراعا ولما كشف عنه في زمن أبي موسى قام رجل جنبه فكانت ركبة دانيال محاذية لرأسه والذين يدعون رؤية الخضر في سائر أخبارهم ما يدل على أن جسده نظير أجسادهم ثم استدل بما أخرجه احمد من طريق مجالد عن الشعبى عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده لو ان موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعنى » قال فاذا كان هذا في حق موسى فكيف لم يتبعه الخضر لو كان حيا فيصلي معه الجمعة والجماعة ويجاهد تحت رايته كما ثبت ان عيسى يصلي خلف امام هذه الامة : واستدل أيضا بقوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآية قال ابن عباس ما بعث الله نبياً الا وقد أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه

وقال ابو الحسن بن المنادى بحثت عن تعمير الخضر وهل هو باق أم لا فاذا أكثر المغفلين مغترون بأنه باق من أجل ما روى في ذلك قال والاحاديث المرفوعة في ذلك واهية والسند الى أهل الكتاب ساقط لعدم ثقتهم وخبر مسلمة ابن مصقلة كالخرافة : وخبر رياح كالرياح قال وماعدا ذلك كله من الاخبار كلها واهية الصدور والاعجاز لا يخلو حالها من أحد أمرين اما ان تكون ادخلت

على الثقات استغفالا أو يكون بعضهم تعمد : وقد قال الله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) قال وأهل الحديث متفقون على أن حديث أنس منكر السند غير مستقيم المتن وان الخضر لو كان حيا لما وسعه التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والهجرة اليه قال وقد اخبرني بعض اصحابنا ان ابراهيم سئل عن تعمير الخضر فانكر ذلك وقال هو متقادم الموت قال وروجع غيره فقال من احال على غائب حي او مفقود ميت لم ينتصف منه وما ألقى هذا بين الناس الا الشيطان انتهى

وقد ذكرت الاخبار التي أشار اليها وأضفت اليها أشياء كثيرة من جنسها وغالبها لا يخلو طريقه من علة . وبالله المستعان : واحتج ابن الجوزى ايضا بما ثبت في صحيح البخارى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر « اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض »

(ذكر الاخبار التي وردت ان الخضر كان في زمن النبي)
(صلى الله عليه وآله وسلم ثم بعده الى الآن)

روى ابن عدى فى الكامل من طريق عبد الله بن نافع عن كثير بن عبدالله بن عمرو ابن عوف عن ابيه عن جده « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في المسجد فسمع كلاما من ورائه فاذا هو يقول اللهم اعنى على ما ينجيني مما خوفتني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سمع ذلك الا يضم اليها اختها فقال الرجل اللهم ارزقني شوق الصالحين الى ما شوقتهم اليه فقال النبي صلي الله عليه وسلم لأنس بن مالك اذهب يا انس فقل له يقول لك رسول الله سلى الله عليه وسلم استغفر لي فجاءه انس فبلغه فقال الرجل يا انس انت رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الي فارجع فاستثبته فقال النبي صلى الله عليه وسلم قل له نعم فقال له اذهب فقل له ان الله فضلك على الانبياء مثل ما فضل به

رمضان على الشهور وفضل امتك على الامم مثل ما فضل يوم الجمعة على سائر الايام فذهب ينظر اليه فاذا هو الخضر » : كثير بن عبد الله ضعفه الائمة لكن جاء من غير روايته *

قال ابو الحسين بن المنادى اخبرنى ابو جعفر احمد بن النضر العسكرى ان محمد بن سلام المنبحى حدثهم * واخرجه ابن عساكر من طريق محمد بن الفضل بن جابر عن محمد بن سلام المنبحي حدثنا وضاح بن عباد الكوفي حدثنا عاصم بن سليمان الاحول حدثنى انس بن مالك رضى الله عنه قال « خرجت ليلة من الليالى أحمل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطهور فسمع مناديا ينادى فقال لى يا انس صه فسكت فاستمع فاذا هو يقول اللهم اعنى على ما ينجينى مما خوفتنى منه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال اختها معها فكأن الرجل لقن ما أراد النبي صلى الله عليه وسلم فقال وارزقنى شوق الصالحين الى ما شوقتهم اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لي يا أنس ضع لي الطهور وأئت هذا المنادي فقل له ادع الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعينه على ما ابتعثه به وادع لامته ان يأخذوا ما أتاهم به بينهم بالحق قال فأتيته فقلت رحمك الله ادع الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعينه على ما ابتعثه به وادع لامته أن يأخذوا ما أتاهم به بينهم بالحق فقال لي ومن أرسلك فكرهت أن أخبره ولم أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له رحمك الله ما يضرك من أرسلنى ادع الله بما قلت لك فقال لا أو تخبرني من أرسلك قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يارسول الله أبى أن يدعو لك بما قلت له حتى أخبره بمن أرسلنى فقال ارجع اليه فقل له أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعت اليه فقلت له فقال لى مرحبا برسول رسول الله أنا كنت أحق ان آتيه اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وقل له يارسول الله الخضر يقرأ لك السلام ورحمة

الله ويقول لك يارسول الله ان الله فضلك على الانبياء كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور وفضل أمتك على الامم كما فضل يوم الجمعة على سائر الايام قال فلما وليت سمعته يقول اللهم اجعلنى من هذه الامة المرحومة المرشدة المتوب عليها » *

وأخرجه الطبرانى في الاوسط عن بشر بن على بن بشر العمى عن محمد بن سلام وقال لم يروه عن أنس الاعاصم ولا عنه الاوضاح تفرد به محمد بن سلام قلت وقد جاء من وجهين آخرين عن أنس رضى الله عنه : وقال أبو الحسين بن المنادى هـذا حديث واه بالوضاح وغيره وهو منكر الاسناد سقيم المتن ولم يراسل الخضر نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يلقـه : واستبعده ابن الجوزى من جهة امكان لقياه النبي صلى الله عليه وسلم واجتماعه معه ثم لايجيء اليه* وأخرج ابن عساكر من طريق أبي خالد مؤذن مسجد مُسلبة حدثنا أبو داود عن أنس فذكر نحوه *

وقال ابن شاهين حدثنا موسى بن أنس بن خالد بن عبـد الله بن طلحة ابن موسى بن أنس بن مالك حدثنا أبي حدثنا محمد بن عبـد الله الانصارى حدثنا حاتم بن أبى رواد عن معاذ بن عبد الله بن أبى بكر عن أبيـه عن أنس رضى الله عنه قال «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة لحاجة فخرجت خلفه فسمعنا قائلا يقول اللهم انى أسألك شوق الصالحين الى ما شوقتهم اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أضاف اليها أختهـا فسمعنا القائل وهو يقول اللهم انى أسألك أن تعيننى بما ينجينى مما خوفتنى منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت ورب الكعبة يا أنس أئت الرجل فاسأله أن يدعو لرسول الله أن يرزقه الله القبول من أمتـه والعون على ما جاء به من الحق والتصديق قال أنس رضي الله عنه فأتيت الرجل فقلت يا أبا عبد الله أدع لرسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال لى ومن أنت فكرهت أن أخبره ولم أستأذن وأبى ان يدعوحتى اخبره فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أخبره فرجعت فقلت له أنارسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك فقال مرحباً برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعى له وقال أقرئه مني السلام وقل له انا أخوك الخضر انا كنت أحق أن آتيك قال فلما وليت سمعته يقول اللهم اجعلني من هذه الامة المرحومة المتاب عليها » *

وقال الدارقطنى في الافراد حدثنا احمد بن العباس البغوى حدثنا أنس بن خالد حدثني محمد بن عبد الله به نحوه. ومحمد بن عبد الله هذا هو ابو سلمة الانصارى وهو واهي الحديث جداً وليس هو شيخ البخارى قاضي البصرة ذاك ثقة وهو أقدم من ابي سلمة * وروينا في فوائد ابى اسحق براهيم بن محمد المزنى تخريج الدارقطني حدثنا محمد بن اسحق بن خزيمة حدثنا محمد بن احمد بن زيد انا عمر بن عاصم حدثنا الحسن بن رزين عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس لا اعلمه الا مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم قال « يلتقي الخضر والياس في كل عام في الموسم بحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله. بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله » . قال الدارقطني في الافراد لم يحدث به عن ابن جريج غير الحسن ابن رزين : وقال ابو جعفر العقيلى لم يتابع عليه وهو مجهول وحديثه غير محفوظ : وقال ابو الحسين بن المنادى هو حديث واه بالحسن المذكور انتهى

وقد جاء من غير طريقه لكن من وجه واه جداً اخرجه ابن الجوزي من طريق احمد بن عمار حدثنا محمد بن مهدى حدثنا مهدي بن هلال حدثنى ابن جريج فذكره بلفظ « يجتمع البرى والبحرى الياس والخضر كل عام بمكة قال

ابن عباس بلغنا انه يحلق احدهما رأس صاحبه ويقول احدهما للآخر قل بسم الله الى آخره » وزاد قال ابن عباس «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد قالها في كل يوم إلا أمن من الحرق والغرق والسرق وكل شيء يكرهه حتى يمسي وكذلك حتى يصبح » قال ابن الجوزى : احمد بن عمار متروك عند الدارقطني . ومهدى بن هلال مثله . وقال ابن حيان مهدى بن هلال يروى الموضوعات * ومن طريق عبيد بن إسحق العطار حدثنا محمد بن ميسر عن عبد الله بن الحسن عن ابيه عن جده عن على رضى الله عنه « قال يجتمع في كل يوم عرفة جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر فيقول جبريل ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرد عليه ميكائيل ما شاء الله كل نعمة فمن الله فيرد عليهما اسرافيل ما شاء الله الخير كله بيد الله فيرد عليهم الخضر فيقول ما شاء الله لا يدفع السوء إلا الله ثم يتفرقون فلا يجتمعون إلا الى قابل في مثل هذا اليوم » وعبيد بن إسحق متروك الحديث .

وأخرج عبد الله بن احمد في زوائد كتاب الزهد لأبيه عن الحسن بن عبد العزيز عن السرى بن يحي عن عبد العزيز بن أبي رواد قال يجتمع الخضر والياس ببيت المقدس في شهر رمضان من أوله الى آخره ويفطران على الكرفس وامثال الموسم كل عام — وهذا معضل * وروينا في فوائد أبي علي أحمد بن محمد بن على الباشانى حدثنا عبد الرحيم بن حبيب الداريانى حدثنا صالح عن أسد بن سعيد عن جعفر بن محمد عن آبائه عن علي رضى الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكر عنده الادهان «فقال فضل دهن البنفسج على سائر الادهان كفضلنا أهل البيت على سائر الخلق قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدهن به ويستعط » فذكر حديثا طويلا فيه الكراث والبازروج والجرجير والهندباء والكمأة والكرفس واللحم والحيتان —

وفيه — الكمأة من الجنة ماؤها شفاء العين وفيها شفاء من السم وهي طعام الياس واليسع يجتمعان كل عام بالموسم يشربان شربة من ماء زمزم يكتفيان بها الى قابل فيرد الله شبابهما فى كل مائة عام مرة وطعامهما الكمأة والكرفس » قال ابن الجوزي لايشك حديثي في ان هذا الحديث موضوع والمتهم به عبدالرحيم بن حبيب فقد قال ابن حبان انه كان يضع الحديث : وقد تقدم عن مقاتل ان اليسع هو الخضر * وقال ابن شاهين حدثنا محمد بن احمد بن عبدالعزيز الحرانى حدثنا ابو طاهر خير بن عرفة حدثنا هاني، بن المتوكل حدثنا بقية عن الاوزاعى عن مكحول سمعت واثلة بن الاسقع « قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك حتى اذا كنا بأرض جذام وقد كان أصابنا عطش فاذا بين أيدينا غيث فسرنا ميلا فاذا بغدير حتى اذا ذهب ثلث الليل اذا نحن بمنادى ينادى بصوت حزين اللهم اجعلنى من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها والمبارك عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياحذيفة ويا أنس ادخلا الى هذا الشعب فانظرا ماهذا الصوت قال فدخلنا فاذا نحن برجل عليه ثياب بيض أشد بياضاً من الثلج واذا وجهه ولحيته كذلك واذا هو أعلى جسما منا بذراعين أو ثلاثة فسلمنا عليه فرد علينا السلام ثم قال مرحباً أنتما رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا نعم من أنت رحمك الله قال أنا الياس النبي خرجت أريد مكة فرأيت عسكركم فقال لى جند من الملائكة على مقدمهم جبريل وعلى ساقتهم ميكائيل هذا أخوك رسول الله فسلم عليه والقه . ارجعا اليه فاقرئاه منى السلام وقولا له لم يمنعني من الدخول الى عسكركم إلا أنى تخوفت أن يذعر الابل ويفزع المسلمون من طولي فان خلقي ليس كخلقكم قولا له صلى الله عليه وسلم يأتينى قال حذيفة وأنس فصافحناه فقال لأنس ياخادم رسول الله من هذا قال هذا حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحب به ثم قال والله انه لفي السماء أشهر

منه في الارض تشبه أهل السموات صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حذيفة هل تلقى الملائكة قال مامن يوم الا وأنا القاهم يسلمون عليّ وأسلم عليهم قال فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فخرج معنا حتى أتينا الشعب فاذاضوء وجه الياس وثيابه كالشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلكم فتقدمنا قدر خمسين ذراعاً فعانقه ملياً ثم قعدا فرأينا شيئاً شبه الطير العظام قد أحدقت بهما وهي بيض قد نشرت أجنحتها فحالت بيننا وبينهما ثم صرخ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياحذيفة ويا أنس فقدمنا فاذا بين أيديهما مائدة خضراء لم أر شيئاً قط أحسن منها قد غلبت خضرتها بياضنا فصارت وجوهنا خضراء واذا عليها جبن وتمر ورمان وموز وعنب ورطب وبصل ماخلا الكراث فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلوا بسم الله فقلنا يارسول الله أمن طعام الدنيا هذا قال لا قال لنا هذا رزقي ولي في كل اربعين يوماً وليلة أكلة يأتيني بها الملائكة فكان هذا تمام الاربعين وهو شيء يقول الله له كن فيكون فقلنا من أين وجهك قال خلف رومية كنت في جيش من الملائكة مع جيش من مسلمي الجن غزونا أمة من الكفار قلنا فكم مسافة ذلك الموضع الذى كنت فيه قال أربعة اشهر وفارقته أنا منذ عشرة أيام وأنا أريد مكة أشرب منها في كل سنة شربة وهي ريي وعصمتي الى تمام الموسم من قابل قلنا واى المواطن اكثر مثواك قال الشأم وبيت المقدس والمغرب واليمن وليس من مسجد من مساجد محمد صلى الله عليه وسلم إلا وانا ادخله كبيراً وصغيراً فقلنا متى عهدك بالخضر؟ قال منذ سنة كنت قد التقيت انا وهو بالموسم وانا القاه بالموسم وقدكان قال انك ستلقى محمداً قبلي فاقرئه مني السلام وعانقه وبكى وعانقنا وبكى وبكينا فنظرنا اليه حين هوى في السماء وكأنه حمل حملا فقلنا يارسول الله لقد رأينا عجباً اذ هوى الى السماء قال يكون بين جناحي ملك حتى ينتهي به حيث اراد » * قال ابن الجوزى

لعل بقية سمع هذا من كذاب فدلسه عن الاوزاعى قال وخير بن عرفة لايدرى من هو قلت هو محــدث مشهور مصري واسم جده عبدالله بن كامل يكنى أبا الطاهر روى عنه أبوطالب الحافظ شيخ الدارقطني وغيره ومات سنة ٢٨٣

وقد رواه غــير بقيــة عن الاوزاعي على صــفة اخرى قال ابن أبي الدنيا حــدثنى ابراهيم بن سـعيد الجـوهرى حدثنـا يزيد بن يزيد الموصلي التيمي مولى لهم حدثنا ابو اسحق الحرشى عن الاوزاعي عن مكحول عن أنس رضى الله عنه قال « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بلغ الناقة بهذا الحجر اذا نحن بصوت يقول اللهم اجعلنى من امة محمـد المرحومة المغفور لها المتاب عليها المستجاب منها فقال لى رسول الله صـلى الله عليه وسلم يا أنس انظر ماهذا الصوت قال فدخلت الجبـل فاذا رجل أبيض الرأس واللحية عليـه ثياب بيض طوله أكثر من ثلثمائة ذراع فلما نظر إلىّ قال انت رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قال ارجع اليه فاقرأ عليه منى السلام وقل له هذا أخوك الياس يريد يلقاك فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وانا معه حتى اذا كنت قريباً منه تقدم وتأخرت فتحدثا طويلا فنزل عليهما شيء من السماء شبيه السفرة فدعواني فأكلت معهما فاذا فيهـا كمأة ورمان وكرفس فلما أكلت قمت فتنحيت وجاءت سحابة فاحتملته فجعلت أنظر الى بياض ثيابه فيها تهوى به قبل الشام فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم بأبي أنت وأمي هذا الطعام الذى أكلنا من السماء نزل عليك قال سألته عنـه فقال أتانى به جبريل ولي كل أربعين يوما أكلة وفي كل حول شربة من ماء زمزم وربما رأيته على الجب يمسك الدلو فيشرب وربمـا سقانى » . قال ابن الجوزى يزيد وأبو اسحق لا يعرفان وقد خالف هذا الذى قبله في طول الياس * وأخرج ابن عساكر من طريق على ابن الحسين بن ثابت الثورى عن هشام بن خالد عن الحسين بن يحيى الحسنى

عن ابن أبى رواد « قال الخضر والياس يصومان ببيت المقدس ويحجان في كل سنة ويشربان من زمزم شربة تكفيهما الى مثلهـا من قابل » * ثم وجدت فى زيادات الزهد لعبد الله بن احمد بن حنبل قال وجدت في كتاب أبى بخطه حدثنا مهـدي بن جعفر حدثنى ضمرة عن السرى بن يحيى عن ابن أبى رواد قال «الياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام » قال عبـد الله وحدثنى الحسن هو ابن رافع عن ضمرة عن السرى عن عبد العزيز بن أبى رواد مثله * وقال ابن جرير في تاريخه حدثنا عبـد الرحمن ابن عبد الله بن الحكم المصرى حدثنا محمد بن المتوكل حدثنا ضمرة بن ربيعة عن عبـد الله بن شوذب قال الخضر من ولد فارس والياس من بنى اسرائيل يلتقيان في كل عام بالموسم

وقال الفاكهي في كتاب مكة حدثنا الزبير بن بكار حدثنى حمزة بن عتبة حدثنى محمد بن عمران عن جعفر بن محمد بن على قال كنت مع أبى بمكة في ليالى العشر وأبي قائم يصلى في الحجر فدخل عليه رجل أبيض الرأس واللحيـة من الاعراب فجلس الى جنب أبى فخفف فقال اني جئتك يرحمك الله تخبرني عن أول خلق هذا البيت قال ومن أنت قال أنا رجل من أهل المغرب قال إن أول خلق هذا البيت ان الله لما رد عليه الملائكة حيث قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها) غضب فطافوا بعرشه فاعتذروا فرضى عنهم وقال اجعـلوا لى فى الارض بيتاً يطوف به من عبادي من أغضب عليه فأرضى عنه كما رضيت عنكم فقال له الرجل أي يرحمك ما بقي من أهل زمانك أعلم منك ثم ولى فقال لي أبي أدرك الرجل فرده عليّ فخرجت وأنا أنظر اليـه فلما بلغ باب الصفا مثل فكأنه لم يكن شيئاً فأخبرت أبى فقال تدرى من هذا قال قلت لا . قال هذا الخضر

(باب ما جاء في بقاء الخضر بعد النبي «ص» ومن نقل عنه أنه رآه وكلمه)

قال ابن أبي حاتم فى التفسير حدثنا أبى حدثنا عبد العزيز الاويسى حدثنا على بن أبى على الهاشمي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه أن على ابن أبى طالب رضى الله عنه قال « لما توفى النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية فجاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركا من كل ما فات فبالله فثقوا وإياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب » قال جعفر أخبرنى أبى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه « قال تدرون من هذا . هذا الخضر » *

ورواه محمد بن منصور الجزار عن محمد بن جعفر وعبدالله بن ميمون القداح جميعاً عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن الحسين سمعت أبى يقول « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت التعزية يسمعون حسه ولا يرون شخصه السلام عليكم ورحمة الله أهل البيت ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركا من كل مافات فبالله فثقوا وإياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب فقال علي رضى الله عنه تدرون من هذا هذا الخضر » * قال ابن الجوزى تابعه محمد بن صالح عن محمد بن جعفر ومحمد بن صالح ضعيف * ورواه الواقدى وهو كذاب ورواه محمد بن أبى عمر عن محمد بن جعفر وابن أبى عمر مجهول قلت هذا إطلاق ضعيف فابن أبى عمر أشهر من أن يقال فيه هذا ، هو شيخ مسلم وغيره من الائمة وهو ثقة حافظ صاحب مسند مشهور به مروي وهذا الحديث فيه أخبرنا به شيخنا حافظ العصر أبو الفضل بن الحسين رحمه الله قال أخبرنى أبو محمد بن القيم أنا أبو الحسن بن البخارى عن محمد بن معمر أنا سعد

ابن أبي الرجا أنا احمد بن محمد بن النعمان أنا أبوبكر بن المقرى أنا اسحق بن احمد الخزاعى حدثنا محمد بن يحيي بن أبي عمر العدني حدثنا محمد بن جعفر قال كان ابي هو جعفر بن محمد الصادق يذكر عن أبيه عن جده عن على بن أبي طالب رضي الله عنه « انه دخل عليه نفر من قريش فقال ألا أحدثكم عن أبى القاسم قالوا بلى » فذكر الحديث بطوله في وفاة النبي صلي الله عليه وسلم وفي آخره « فقال جبريل يا احمد عليكم السلام هذا آخر وطئى في الارض انما كنت أنت حاجتى من الدنيا :فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية جاء آت يسمعون حسه ولايرون شخصه فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب وان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم فقال علي هل تدرون من هذا هذا الخضر »انتهى ومحمد بن جعفر هو أخو موسى الكاظم حدث عن أبيه وغيره روى عنه ابراهيم بن المنذر وغيره وكان قد دعى لنفسه بالمدينة وبمكة وحج بالناس سنة ٢٠٠ وبايعوه بالخلافة فخرج المعتصم فظفر به فحمل إلى أخيه المأمون بخراسان فمات بجرجان سنة ٢٠٣

وذكر الخطيب في ترجمته أنه لما ظفر به صعد المنبر فقال أيها الناس اني كنت قد حدثتكم بأحاديث زورتها فشق الناس الكتب التى سمعوها منه وعاش سبعين سنة : قال البخارى أخوه اسحق أوثق منه وأخرج له الحاكم حديثاً ـ قال الذهبي انه ظاهر النكارة في ذكر سليمان بن داود عليه السلام *

وقال سيف بن عمرو التميمى في كتاب الردة له عن سعيد بن عبد الله عن ابن عمر رضى الله عنهما قال « لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ابو بكر حتى دخل عليه فلما رآه قال انا لله وانا اليه راجعون وصلى عليه فرفع أهل البيت عجيجاً سمعه أهل المصلى فلما سكن مابهم

سمعوا تسليم رجل على الباب صيت جلد يقول السلام عليكم يا أهل البيت كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة الا وان فى الله خلفا من كل احد ونجاة من كل مخافة والله فارجوا وبه فثقوا فان المصاب من حرم الثواب فاستمعوا له وقطعوا البكاء ثم طلعوا فلم يرو أحداً فعادوا لبكائهم فناداهم مناد آخر يا أهل البيت أذكروا الله تعالى واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل هلكة فبالله فثقوا واياه فاطيعوا فان المصاب من حرم الثواب فقال أبو بكر رضي الله عنه هذا الخضر والياس قد حضرا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم » : وسيف فيه مقال وشيخه لا يعرف ٭

وقال ابن ابى الدنيا حدثنا كامل بن طلحة اخبرنا عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل أشعر المنكبين فى ازار ورداء يتخطى أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بعضادتى باب البيت فبكى ثم أقبل على الصحابة فقال إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل ما فات وخلفا من كل هالك فالى الله فأنيبوا وبنظره اليكم في البلاء فانظروا فان المصاب من لم يجز بالثواب ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر رضى الله عنه علي بالرجل فنظروا يميناً وشمالا فلم يروا أحداً فقال أبو بكر رضى الله عنه لعل هذا الخضر أخو نبينا جاء يعزينا عليه صلى الله عليه وسلم » . عباد ضعفه البخارى والعقيلى : وقد أخرجه الطبراني في الاوسط عن موسى بن هرون عن كامل وقال تفرد به عباد عن أنس رضى الله عنه

وقال ابن شاهين في كتاب الجنائز له حدثنا ابن أبي داود ثنا احمد بن عمرو بن السراج ثنا ابن وهب عمن حدثه عن محمد بن عجلان عن محمد بن المنكدر

قال بينما عمر بن الخطاب يصلي على جنازة اذا هاتف يهتف من خلفه الا لا تسبقنا لصلاة رحمك الله فانتظره حتى لحق بالصف فكبر فقال ان تعذبه فقد عصاك وان تغفر له فانه فقير الى رحمتك فنظر عمر وأصحابه الى الرجل فلما دفن الميت سوى الرجل عليه من تراب القبر ثم قال : طوبى لك ياصاحب القبر ان لم تكن عريفا أو جابيا أو خازنا أو كاتبا أو شرطيا فقال عمر رضى الله عنه خذوا لى هذا الرجل نسأله عن صلاته وعن كلامه فتولى الرجل عنهم فاذا أثر قدمه ذراع فقال عمر رضي الله عنه هذا والله الخضر الذى حدثنا عنه النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن الجوزى فيه مجهول وانقطاع بين ابن المنكدر وعمر

وقال ابن ابي الدنيا ثنا ابى ثنا علي بن شقيق ثنا ابن المبارك انبأنا عمر بن محمد بن المنكدر قال بينما رجل يمشي يبيع ويحلف قام عليه شيخ فقال ياهذا بع ولا تحلف فعاد فحلف فقال بع ولا تحلف قال أقبل على ما يعنيك قال هذا ما يعنيني ثم قال آثر الصدق على ما يضرك على الكذب فيما ينفعك وتكلم فاذا انقطع علمك فاسكت واتهم الكاذب فيما يحدثك به غيرك قال اكتب لي هذا الكلام فقال ان يقدر شيء يكن ثم لم يره فكانوا يرون انه الخضر :قال ابن الجوزى كأن هذا أصل الحديث

وقد رواه ابو عمر بن السماك في فوائده عن يحيى بن ابى طالب عن على بن عاصم عن عبد الله بن عبد الله قال كان ابن عمر قاعداً ورجل قد أقام سلعته يريد بيعها فجعل يكرر الايمان اذ مر به رجل فقال اتق الله ولا تحلف به كاذباً عليك بالصدق فيما يضرك واياك والكذب فيما ينفعك ولا تزيدن فى حديث غيرك فقال ابن عمر لرجل : اتبعه فقل له اكتب هذه الكلمات فتبعه فقال ما يقضى من شيء يكن ثم فقده فرجع فاخبر ابن عمر فقال ابن عمر رضى الله عنه ذاك الخضر: قال ابن الجوزى على بن عاصم ضعيف سيء الحفظ ولعله اراد ان

يقول عمر بن محمد بن المنكدر فقال ابن عمر

وقد رواه احمد بن محمد بن مصعب أحد الوضاعين عن جماعة مجاهيل عن عطاء عن ابن عمر رضى الله عنهما ـ قلت وجدت طريقا جيدة غير هذا عن ابن عمر رضى الله عنه قال البيهقي في دلائل النبوة أنا أبو زكريا بن ابي اسحق ثنا احمد بن سليمان الفقيه ثنا الحجاج بن قراقصة أن رجلين كانا يتبايعان عند عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما فكان أحدهما يكثر الحلف فبينما هما كذلك اذ مر بهما رجل فقام عليهما فقال للذي يكثر الحلف ياعبد الله اتق الله ولا تكثر الحلف فانه لا يزيد في رزقك ان حلفت ولا ينقص من رزقك ان لم تحلف قال امض لما يعنيك قال ان هذا مما يعنيني قالها ثلاث مرات ورد عليه قوله فلما أراد أن ينصرف عنهما قال اعلم أن من الايمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك ولا يكن في قولك فضل على فعلك ثم انصرف فقال عبد الله بن عمر الحقه فاستكتبه هؤلاء الكلمات فقال ياعبد الله ا كتبني هذه الكلمات يرحمك الله فقال الرجل ما يقدر الله يكن وأعادها عليه حتى حفظهن ثم مشى حتى وضع إحدى رجليه في المسجد فما أدرى أرض تحته أم سماء قال فكانوا يرون أنه الخضر أوالياس

وقال ابن ابى الدنيا ثنا يعقوب بن يوسف ثنا مالك بن اسماعيل ثنا صالح ابن أبي الاسود عن محفوظ بن عبد الله عن شيخ من حضرموت عن محمد بن يحيى قال « قال على بن ابى طالب رضي الله عنه بينما أنا أطوف البيت اذا أنا برجل معلق بالاستار وهو يقول يامن لا يشغله سمع عن سمع يامن لا يغلطه السائلون يامن لا يتبرم بالحاح الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك قال قلت دعاؤك هذا عافاك الله أعده قال وقد سمعته ؟ قلت نعم قال فادع به في دبر كل صلاة فوالذى نفس الخضر بيده لو أن عليك من الذنوب عدد نجوم السماء وحصى

الارض لغفر الله لك أسرع من طرفة عين » * وأخرجه الدينورى في المجالسة من هذا الوجه

وقد روى احمد بن حرب النيسابورى عن محمد بن معاذ الهروى عن سفيان الثورى عن عبد الله بن محرز عن يزيد الاصم عن على ابن ابى طالب فذكر نحوه ولكن قال « فقلت ياعبد الله أعد الكلام قال وسمعته قلت نعم قال والذى نفس الخضر بيده وكان الخضر يقولهن عند دبر الصلاة المكتوبة لا يقولها أحد دبر الصلاة المكتوبة الا غفرت ذنوبه وان كانت مثل رمل عالج وعدد المطر وورق الشجر ورواه محمد بن معاذ الهروى عن ابى عبيد المخزومي عن عبد الله بن الوليد عن محمد بن حميد عن سفيان الثورى نحوه .

وأخرج البيهقي في الدلائل قال ثنا أبوعبدالله الحافظ ثنا ابوجعفر البغدادى ثنا عبد الله بن عبدالرحمن الصنعانى ثنا ابوالوليد المخزومى ثنا أنس بن عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال « لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عزتهم الملائكة يسمعون الحس ولايرون الشخص فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فانما المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » :

وقال البيهقى ايضاً أنا أبو شعبة احمد بن محمد بن عمرو الاحمسى حدثنا الحسن بن حميد بن الربيع اللخمى ثنا عبدالله بن أبى زياد ثنا شيبان ابن حاتم ثنا عبدالواحد بن سليمان الحارثى ثنا الحسن بن على عن محمد بن على هو ابن الحسين بن على قال « لما كان قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم هبط اليه جبرائيل » فذكر قصة الوفاة مطولة وفيه « فأتاهم آت يسمعون حسه ولايرون شخصه فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فذكر مثله في التعزية *

وروى سيف فى الفتوح ان جماعة كانوا مع سعد بن أبي وقاص فرأوا أبا محجن وهو يقاتل فذكر قصة أبي محجن بطولها وانهم قالوا وهم لايعرفونه ماهو إلا الخضر : وهذا يقتضى انهم كانوا جازمين بوجود الخضر في ذلك الوقت.

وقال ابو عبدالله بن بطة العكبري الحنبلي ثنا شعيب بن احمد بن أبي العوام ثنا أبي ثنا إبراهيم بن عبدالحميد الواسطى ثنا أبين بن سفيان عن غالب بن عبدالله العقيلي عن الحسن البصرى قال « اختلف رجل من أهل السنة وغيلان القدري في شيء من القدر فتراضيا بينهما على أول رجل يطلع عليهما من ناحية ذكراها فطلع عليهما أعرابي فطوى عباءة فجعلها على كتفه فقالاله رضيناك حكما فيما بيننا فطوى كساءه ثم جلس عليه ثم قال اجلسا فجلسنا بين يديه فحكم على غيلان قال الحسن ذاك الخضر » * في اسناده أبين بن سفيان وهو متروك

وروى حماد بن عمر النصيبي أحد المتروكين ثنا السرى بن خالد عن جعفر ابن محمد عن ابيه عن جده على بن الحسين ان مولى لهم ركب البحر فكسر به فبينا هو يسير على ساحله إذ نظر الى رجل على شاطىء البحر ونظر الى مائدة نزلت من السماء فوضعت بين يديه فأكل منها ثم رفعت فقال له بالذى وفقك بما أرى أي عبادالله أنت قال الخضر الذي تسمع به فقال بماذا جاءك هذا الطعام والشراب قال بأسماء الله العظام »

وأخرج احمد في كتاب الزهد له عن حماد بن أسامة ثنا مسعر عن معن بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود قال بينما رجل في بستان بمصر في فتنة ابن الزبير مهموماً مكتئباً ينكث في الارض بشيء اذ رفع رأسه فاذا بفتى صاحب مسحاة قد سنح له قائماً بين يديه فرفع رأسه فكأنه ازدراه فقال له مالى أراك مهموماً قال لاشيء قال أما الدنيا فان الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر وإن الآخرة أجل صادق يحكم فيه ملك قادر حتى

ذكر ان لها مفصلا كمفاصل اللحم من أخطأ شيئا أخطأ الحق قال فلما سمع ذلك منه اعجبه فقـــال اهتمامي بما فيه المسلمون قال فان الله سينجيك بشفقتك على المسلمين وسل من ذا الذى سأل الله فلم يعطه او دعاه فلم يجبه أو توكل عليه فلم يكفه او وثق به فلم ينجه قال فطفقت أقول اللهم سلمنى وسلم منى قال فتجلت ولم يصب فيها بشيء قال مسعر يرون انه الخضر

وأخرجه ابو نعيم في الحلية في ترجمة عون بن عبدالله من طريق ابى اسامة وهو حماد بن اسامة وقال بعده : ورواه ابن عيينة عن مسعر وقال ابراهيم بن محمد بن سفيان الراوى عن مسلم عقب روايته عن مسلم لحديث ابى سعيد في قصة الذى يقتله الدجال يقال ان هذا الرجل الخضر : وقال عبدالرزاق انا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن ابى سعيد في قصة الذى يقتـله الدجال وفي آخره قال معمر بلغنى انه يجعل على حلقة صفيحة من نحاس وبلغنى انه الخضر وهذا عزاه النووى لمسند معمر فأوهم ان له فيه سنداً وانما هو قول معمر:

وقال ابو نعيم في الحلية ثنا عبيدالله بن محمد هو أبو الشيخ ثنا محمد بن يحيي هو ابن منده ثنا احمد بن منصور المروزي ثنا احمد بن جبيل قال قال سفيان ابن عيينة بينا أنا أطوف بالبيت إذ أنا برجل مشرف على النـاس حسن الشبه فقلنا بعضنا لبعض ماأشبه هذا الرجل أن يكون من أهل العلم قال فاتبعناه حتى قضى طوافه فسار الى المقام فصلى ركعتين فلما سلم أقبل على القبلة فدعى بدعوات ثم التفت الينا فقال هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قلنـا وماذا ؟ قال قال ربكم أنا الملك أدعوكم الى أن تكونوا ملوكا ثم أقبل على القبلة فدعى بدعوات ثم التفت الينا فقال تدرون ماذا قال ربكم ؟ قلنا ماذا ؟ قال قال ربكم أنا الحي الذى لايموت أدعوكم الى أن تكونوا أحياء لاتموتون ثم أقبل على القبلة فدعى بدعوات ثم التفت الينا فقال تدرون ماذا قال ربكم ؟ قلنا ماذا قال ربنا حدثنا رحمك قال قال ربكم

أنا الذي اذا أردت شيئاً كان أدعوكم الى أن تكونوا بحال اذا أردتم شيئاً كان لكم . قال ابن عيينة ثم ذهب فلم نره قال فلقيت سفيان الثورى فأخبر بعدذلك فقال ماأشبه أن يكون هذا الخضر أو بعض هؤلاء الابدال : تابعه محرز بن أبى جدعة عن سفيان ورواها زياد بن أبي الاصبع عن سفيان أيضاً . وروى محمدبن الحسن بن أبى الازهر عن العباس بن يزيد عن سفيان نحوها . وأخرج أبوسعيد في شرف المصطفى من طريق احمد بن أبى ترة ثنا محمد بن الفرات عن ميسر بن سعيد (بن أبي عروبة) عن أبيه بينما الحسن في مجلسه والناس حوله إذأقبل رجل مخضرة عيناه فقال له الحسن : أهكذا ولدتك أمك أم هى بينة قال أو ماتعرفنى يا اباسعيد قال من أنت فانتسب له فلم يبق فى المجلس أحد إلا عرفه فقال ياهذا ماقصتك فقال يا أباسعيد عمدت الى جميع مالى فألقيته فى مركب فخرجت أريد الصين فعصفت علينا ريح فغرقت فخرجت الى بعض السواحل على لوح فأقمت أردد نحواً من أربعة اشهر آكل ما أصيب من الشجر والعشب وأشرب من ماء العيون ثم قلت لأمضين على وجهي فاما ان اهلك واما ان انجو فسرت فرفع لي قصر كأن سناه فضة فرفعت مصراعه فاذا داخله أروقة في كل طاق منها صندوق من لؤلؤ وعليها أقفال مفاتيحها رأى العين ففتحت بعضها فخرجت من جوفه رائحة طيبة واذا فيه رجال مدرجون في ألوان الحرير فحركت بعضهم فاذا هو ميت في صفة حي فأطبقت الصندوق وخرجت واغلقت باب القصر ومضيت فاذا أنا بفارسين لم أر مثلهما جمالا على فرسين أغرين محجلين فسألاني عن قصتى فأخبرتهما فقالا تقدم امامك فانك تصير الى شجرة تحتها روضة هناك شيخ حسن الهيئه على دكان يصلى فأخبره خبرك فانه يرشدك الى الطريق فمضيت فاذا أنا بالشيخ فسلمت فردعلىّ وسألنى عن قصتى ثم قال ماصنعت قلت اطبقت الصناديق واغلقت الابواب فسكن وقال اجلس فمرت به سحابة فقالت السلام عليك ياولي

الله فقال اين تريدين قالت اريد بلد كذا وكذا فلم تزل تمر به سحابة بعد سحابة حتى اقبلت سحابة فقال اين تريدين قالت البصرة قال انزلى فنزلت فصارت بين يديه فقال احملى هذا حتى توديه الى منزله سالما فلما صرت على متن السحابة قلت اسألك بالذي اكرمك إلا اخبرتنى عن القصر وعن الفارسين وعنك قال اما القصر فقد أكرم الله به شهداء البحر ووكل بهم ملائكة يلقطونهم من البحر فيصيرونهم في تلك الصناديق مدرجين في اكفان الحرير . والفارسان ملكان يغدوان ويروحان عليهم بالسلام من امر الله واما انا فالخضر وقد سألت ربى ان يحشرنى مع امة نبيكم قال الرجل فلما صرت على السحابة اصابنى الفزع من هول عظيم حتى صرت الى ماترى فقال الحسن لقد عاينت عظيماً

وروى الطبراني في كتاب الدعاء قال ثنا يحيي بن محمد الحنائي ثنا المعلى بن حرمي عن محمد بن مهاجر البصرى ثنى ابوعبدالله بن التوم الرقاشى ان سليمان إبن عبدالملك اخاف رجلا وطلبه ليقتله فهرب الرجل فجعلت رسله تختلف الى منزل ذلك الرجل يطلبوبه فلم يظفر به فجعل الرجل لايأتي بلدة إلا قيل له قد كنت تطلب ههنا فلما طال عليه الامر عزم على ان يأتى بلدة لاحكم لسليمان عليها فذكر قصة فيها فبينا هو فى صحراء ليس فيها شجر ولاماء اذا هو برجل يصلى قال فخفته ثم رجعت الى نفسي فقلت والله مامعه راحلة ولادابة قال فقصدت نحوه فركع وسجد ثم التفت إلىّ فقال لعل هذا الطاغي اخافك قلت اجل قال فما يمنعك من السبع قلت يرحمك الله وماالسبع قال : قل سبحان الواحد الذى ليس غيره إله . سبحان القديم الذى لابارىء له . سبحان الدائم الذى لانفاد له . سبحان الذي هو كل يوم في شأن . سبحان الذي يحيي ويميت . سبحان الذى خلق مايرى ومالايرى . سبحان الذي علم كل شىء بغير تعليم. ثم قال قلها فقلتهـا وحفظتها والتفت فلم أر الرجل قال والقى الله في قلبي الأمن ورجعت

راجعاً من طريق اريد اهلي فقلت لآتين باب سليمان بن عبدالملك فأتيت بابه فاذا هو يوم إذنه وهو يأذن للناس فدخلت وانه لعلى فراشه فما غدا ان رآني فاستوى على فراشه ثم أومأ إلى فما زال يدنيني حتى قعدت معه على الفراش قال سحرتني او ساحر انت مع مابلغني عنك فقلت ياامير المؤمنين ماانا بساحر ولااعرف السحر ولاسحرتك قال فكيف فما ظننت انه يتم ملكي إلا بقتلك فلما رأيتك لم استقر حتى دعوتك فأقعدتك معي على فراشي ثم قال اصدقني امرك فأخبرته قال يقول سليمان : الخضر ـ والله الذي لااله إلا هو ـ علمكها . اكتبوا له امانًا واحسنوا جائزته واحملوه الى اهله .

وأخرج ابو نعيم في الحلية في ترجمة رجاء بن حيوة من تاريخ السراج ثم من رواية محمد بن ذكوان عن رجاء بن حيوة قال اني لواقف مع سليمان بن عبد الملك وكانت لي منه منزلة إذ جاء رجل ذكر رجاء من حسن هيئته قال فسلم فقال يا رجاء انك قد ابتليت بهذا الرجل وفي قربه الزيغ يا رجاء عليك بالمعروف وعون الضعيف واعلم يارجاء انه من كانت له منزلة من السلطان فرفع حاجة انسان ضعيف لا يستطيع رفعها لقى الله يوم القيامة وقد ثبت قدميه للحساب واعلم يارجاء انه من كان في حاجة اخيه المسلم كان الله في حاجته واعلم يارجاء أن من احب الاعمال الى الله فرجا أدخلته على مسلم : ثم فقده وكان يرى أنه الخضر عليه السلام

وذكر الزبير بن بكار في الموفقيات قال اخبرني السري بن الحرث الانصاري من ولد الحرث بن الصمة عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وكان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة ويصوم الدهر قال بت ليلة في المسجد فلما خرج الناس إذا رجل قد جاء الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسند ظهره الى الجدار ثم قال اللهم انك تعلم اني كنت أمس صائما ثم أمسيت فلم افطر على شيء وظللت

اليوم صائما ثم امسيت ولم افطر على شيء اللهم واني امسيت وأشتهى الثريد فأطعمنيها من عندك قال فنظرت الى وصيف داخل من خوخة المنارة ليس فى خلقة الناس معه قصعة فأهوى بها الى الرجل فوضعها بين يديه وجلس الرجل يأكل وحصبنى فقال هلم فجئت وظننت أنها من الجنة فأحببت أن آكل منها فأكلت منها لقمة فاذا طعام لا يشبه طعام الدنيا ثم احتشمت فقمت فرجعت مكانى فلما فرغ من اكله اخذ الوصيف القصعة ثم أهوى راجعاً من حيث جاء ثم قام الرجل منصرفا فاتبعته لأعرفه فمثل فلا أدرى أين سارفظننته الخضر:

واخرج ابن عساكر من طريق ابراهيم بن عبد الله بن المغيرة عن عبد الله حدثني ابى ان قوام المسجد قالوا للوليد بن عبد الملك ان الخضر يصلى كل ليلة في المسجد

وقال اسحاق بن ابراهيم الحنبلى في كتاب الرماح له ثنا عثمان بن سعيد الانطاعي ثنا على بن العشم المصيصي عن عبد الحميد بن بحر عن سلام الطويل عن داود بن يحيي مولى عون الطفاوى عن رجل كان مرابطا في بيت المقدس وبعسقلان قال بينا أنا اسير فى وادى الاردن اذا انا برجل في ناحية الوادي قائم يصلى فاذا بسحابة تظله من الشمس فوقع فى قلبي انه الياس النبي فأتيته فسلمت عليه فانفلت من صلاته فرد السلام فقلت له من انت يرحمك الله فلم يرد علىّ شيئاً فأعدت عليه القول مرتين فقال انا الياس النبي فأخذتنى رعدة شديدة خشيت على عقلى ان يذهب فقلت له ان رأيت رحمك الله أن تدعو لى ان يذهب الله عني ما اجد حتى افهم حديثك قال فدعالى ثمان دعوات فقال يابر يارحيم ياحي ياقيوم ياحنان يامنان يا هيا شراً هيا فذهب عنى ما كنت أجد فقلت الى من بعثت قال الى اهل بعلبك قلت فهل يوحى اليك اليوم فقال اما من بعث محمد خاتم النبيين فلا قلت فكم من الانبياء في الحياة قال اربعة انا

والخضر في الارض وادريس وعيسى في السماء قلت فهل تلتقي انت والخضر قال نعم في كل عام بعرفات قلت فما حديثكما قال يأخذ من شعرى وآخذ شعره قلت فكم الابدال قال هم ستون رجلا خمسون ما بين عريش مصر الى شاطىء الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بانطاكية وسبعة في سائر الامصار بهم يسقون الغيث وبهم ينصرون على العدو وبهم يقيم الله امر الدنيا حتى اذا اراد ان يهلك الدنيا اماتهم جميعا : في اسناده جهالة ومتروكون

وقال ابو الحسن ابن المنادي في الجزء المذكور ثنى احمد بن ملاعب ثنا يحيى بن سعيد السعيدي نى ابو جعفر الكوفي ثنى ابو عمر النصيبي قال خرجت اطلب مسلمة بن مصقلة بالشام وكان يقال انه من الابدال فلقيته بوادى الاردن فقال لى اخبرك بشيء رأيته اليوم في هذا الوادى قال قلت بلى قال دخلت اليوم هذا الوادى فاذا انا بشيخ يصلى الى شجرة فألقي في روعي انه الياس النبى فدنوت منه فسلمت عليه فركع فلما جلس سلم عن يمينه وعن شماله ثم أقبل عليّ فقال وعليك السلام فقلت من أنت يرحمك الله قال أنا الياس النبي قال فأخذتنى رعدة شديدة حتى خررت على قفاى قال فدنا مني فوضع يده بين ثديى فوجدت بردها بين كتفى فقلت يانبي الله ادع الله أن يذهب عنى ما أجد حتى أفهم كلامك عنك فدعا له بثمانية أسماء خمسة منها بالعربية وثلاثة بالسريانية فقال يا واحد يا أحد يا صمد يا فرد يا وتر ودعا بالثلاثة الاسماء الاخر فلم أعرفها ثم أخذ بيدى فأجلسنى فذهب عنى ما كنت أجد فقلت يانبي الله ألم تر هذا الرجل ما يصنع ؟ — أعنى مروان بن محمد — وهو يومئذ يحاصر أهل حمص فقال لى مالك وماله جبار عات على الله فقلت يانبي الله أما اني قد مررت به فاعرض عنى فقلت يانبي الله اما اني وان كنت قد مررت بهم فانى لم أهو أحد الفريقين وأنا أستغفر الله وأتوب اليه قال فأقبل على بوجهه ثم قال لي

قد أحسنت هكذا فقل ثم لا تعـد قلت يانبي الله هل في الارض اليوم من الابدال أحد قال نعم هم ستون رجلا منهم خمسون فيما بين العريش الى الفرات ومنهم ثلاثة بالمصيصة وواحد بانطاكية وسائر العشرة فى سائر أمصار العرب فقلت يانبى الله هل تلتقى أنت والخضر قال نعم نلتقي في كل موسم بمنى قلت فما يكون من حديثكما قال يأخذ من شعرى وآخذ من شعره قلت يانبي الله انى رجل خلو ليست لى زوجة ولا ولد فان رأيت أن تأذن لي فأصحبك وأكون معك قال انك لن تستطيع ذلك فانك لا تقدر على ذلك قال فبينا هو يحدثنى اذ رأيت مائدة قد خرجت من أصـل الشجرة فوضعت بين يديه ولم أر من وضعها وعليها ثلاثة أرغفة فمد يده ليأكل وقال كل وسم وكل مما يليك فمددت يدي فأكلت أنا وهو رغيفا ونصف ثم ان المائدة رفعت ولم أر أحداً رفعها وأتى بأناء فيه شراب فوضع في يده ولم أر أحدا وضعه فشرب ثم ناولنى فقال اشرب فشربت أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن ثم وضعت الاناء فرفع الاناء فلم ار احدا رفعه ثم نظر الى اسفل الوادي فاذا دابة قد أقبلت فوق الحمار ودون البغل وعليه رحالة فلما انتهى اليه نزل فقام ليركب ودرت لآخذ بغرز الدابة فركب ثم سار ومشيت الى جنبه وانا اقول يانبى الله ان رأيت ان تأذن فأصحبك وأكون معك فقال الم أقل إنك لن تستطيع ذلك فقلت فكيف لى بلقائك قال انك اذا رأيتك رأيتنى قلت على ذلك قال لعلك تلقاني في رمضان معتكفا ببيت المقدس واستقبلته شجرة فأخذ من ناحية ودرت من الجانب الآخر استقبله فلم ار شيئا : قال ابن الجوزى مسلمة والراوي عنه وابو جعفر والكوفي لا يعرفون

وروى داود بن مهران ثنى شيخ عن حبيب ابي محمد انه رأى رجلافقال له من انت قال انا الخضر * وعن محمد بن عمران عن جعفر الصادق انه كان مع ابيه فجاءه رجل فسأله عن مسـائل قال فأمرنى ان ارد الرجـل فلم اجده فقال

ذاك الخضر * وعن ابي جعفر المنصور انه سمع رجلا يقول في الطواف اشكو اليك ظهور البغى والفساد فدعاه فوعظه وبالغ ثم خرج فقال اطلبوه فلم يجدوه فقال ذاك الخضر

وأخرج ابن عساكر من طريق عمر بن فروخ عن عبد الرحمن بن حبيب عن سعد بن سعيد عن ابي طيبة عن كثير بن وبرة قال اتانى اخ لي من الشام فاهدى الي هدية فقلت من اهداها اليك قال ابراهيم التيمى قلت ومن اهداها الى ابراهيم التيمي قال قال كنت جالسا في فناء الكعبة فأتانى رجل فقال انا الخضر واهداها الي وذكر لي تسبيحات ودعوات

وذكر ابو الحسين بن المنادى من طريق مسلمة بن عبد الملك عن عمر بن عبد العزيز انه لقى الخضر (ح) وفي المجالسة لابى بكر الدينوري من طريق ابراهيم بن خالد عن عمر بن عبد العزيز قال رأيت الخضر وهو يمشى مشياً سريعا وهو يقول صبراً يانفس صبراً لايام تفقد لتلك ايام الابد صبراً لايام قصار لتلك الايام الطوال

وقال يعقوب بن سفيان في تاريخه ثنا محمد بن عبد العزيز الرملى قال ثنا ضمرة هو ابن ربيعة عن السرى بن يحيى عن رياح بن عبدة قال رأيت رجلا يماشى عمر بن عبد العزيز معتمداً على يده فقلت في نفسى ان هذا الرجل جاف فلما صلى قلت يا ابا حفص من الرجل الذى كان معك معتمدا على يدك آنفا قال وقد رأيته يارياح قلت نعم قال انى لاراك رجلا صالحا ذاك اخى الخضر بشرنى انى سألى واعدل . قلت هذا اصلح اسناد وقفت عليه في هذا الباب ايضا * وقد اخرجه ابو عروبة الحرانى في تاريخه عن ايوب بن محمد الوراق عن ضمرة ايضا * واخرجه ابو نعيم في الحلية عن ابن المقرى عن ابى عروبة في ترجمة عمر بن عبد العزيز :

وروينا في الجزء الاول من فوائد الحافظ ابى عبد الله محمد بن مسلم بن

زرارة الرازي ثنى الليث بن خالد ابو بكر عمرو وكان ثقة قال ثنا المسيب ابو يحيي وكان من اصحاب مقاتل بن حيان قال وفدت على عمر بن عبد العزيز فاذا انا برجل او شيخ يحدثه او قال يتكيء عليه قال ثم لم اره فقلت يا امير المؤمنين رأيت رجلا يحدثك قال ورايتـه قلت نعم قال ذاك اخى الخضر يأتينى فيوفقنى ويسددنى

وقال أبو عبد الرحمن السلمي في تصنيفه سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت بلالا الخواصى يقول كنت في تيـه بنى اسرائيل فاذا رجل يماشينى فتعجبت ثم ألهمت أنه الخضر فقلت بحق الحق من أنت قال أنا أخوك الخضر فقلت ما تقول في الشافعي قال من الاوتاد (الابدال) قلت فاحمـد بن حنبل قال صديق قلت فبشر بن الحارث قال لم يخلف بعده مثله قلت بأى وسيلة رأيتك قال ببرك لامك * وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا ظفر بن محمد حدثنا عبد الله بن ابراهيم الحريرى قال قال أبو جعفر محمد بن صالح بن دريج قال بلال الخواص رأيت الخضر في النوم فقلت له ما تقول فى بشر قال لم يخلف بعده مثله قلت ما تقول في احمد قال صديق

وقال أبو الحسن بن جهضم حدثنا محمد بن داود قال حدثنا محمد بن الصلت عن بشر (ابن الحارث) الحافي قال كانت لى حجرة وكنت أغلقها اذا خرجت ومعى المفتاح فجئت ذات يوم وفتحت الباب ودخلت فاذا شخص قائم يصلى فراعنى فقال يا بشر لا تفزع أنا أخوك أبو العباس الخضر قال بشر قلت له علمنى شيئاً قال قل : أستغفر الله من كل سبب تبت منه ثم عدت اليه وأسأله التوبة وأستغفر الله من كل عقد عقدته على نفسى ففسخته ولم أف به

وذكر عبد المغيث من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال ما يمنعكم ان تكفروا ذنوبكم بكلمات أخى الخضر فذكر نحو

الكلمات المذكورة في حكاية بشر. وروى أبو نعيم عن أبي الحسن بن مقسم عن أبي محمد الحريري سمعت أبا إسحق المرستاني يقول رأيت الخضر فعلمني عشر كلمات وأحصاها بيده اللهم انى أسألك الاقبال عليك والاصغاء اليك والفهم عنك والبصيرة في أمرك والنفاذ في طاعتك والمواظبة على ارادتك والمبادرة الى خدمتك وحسن الادب في معاملتك والتسليم والتفويض اليك

وقال أبو الحسن بن جهضم حدثنا الخلدى حدثنا ابن مسروق حدثنا أبو عمران الخياط قال: قال لى الخضر ما كنت أظن أن لله وليّاً إلا وقد عرفته فكنت بصنعاء اليمن في المسجد والناس حول عبد الرزاق يسمعون منه الحديث وشاب جالس ناحية المسجد فقال لى ما شأن هؤلاء قلت يسمعون من عبد الرزاق قال عمن قلت عن فلان عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال هلا تسمعوا عن الله عز وجل قلت فأنت تسمع عن الله عز وجل قال نعم قلت من أنت قال الخضر فعلمت ان لله أولياء ما عرفتهم

وابن جهضم معروف بالكذب : وعن الحسن بن غالب قال حججت فسبقت الناس وانقطع بى فلقينى شاب فأخذ بيدى فالحقنى بهم فلما قدمت قال لى أهلى انا سمعنا انك هلكت فرحنا الى أبى الحسن القزوينى فذكرنا له ذلك وقلنا أدع الله له فقال ما هلك وقد رأى الخضر قال فلما قدمت جئت اليه فقال لى ما فعل صاحبك قال الحسن بن غالب وكنت في مسجدى فدخل علىّ رجل « فقال غداً تأتيك هدية فلا تقبلها وبعدها بأيام تأتيك هدية فاقبلها قال فبلغنى ان أبا الحسن القزوينى قال عنى قد رأى الخضر مرتين : قال ابن الجوزى الحسن ابن غالب كذبوه .

وأخرج ابن عساكر في ترجمة أبى زرعة الرازي بسند صحيح الى أبى زرعة أنه لما كان شاباً لقي رجلا مخضوبا بالحناء فقال له لا تغش أبواب الامراء قال

ثم لقيته بعـــد أن كبرت وهو على حالته فقال لى ألم أنهك عن غشيان أبواب الامراء قال ثم التفت فلم أره فكأن الارض انشقت فدخل فيها قال فخيل أنه الخضر فرجعت فلم أزر أميراً ولا غشيت بابه ولا سألته حاجة * وذكر ابن أبى حاتم في الجرح والتعديل : عبد الله بن بحر قال وروى كلاما في الزهد عن رجل تراءى له ثم غاب عنه فلا يدرى كيف ذهب فكان يرى أنه الخضر :روى نعيم ابن ميسرة عن رجل من يحصب عنه :

وروينا في اخبار ابراهيم بن ادهم قال ابراهيم بن بشار خادم ابراهيم بن ادهم صحبته بالشام فقلت ياابا اسحق اخبرنى عن بدء امرك قال كنت شاباً قد حبب إلي الصيد فخرجت يوماً فأثرت ارنباً او ثعلباً فبينا انا اطرده إذ هتف بى هاتف لااراه : ياإبراهيم الهذا خلقت ابهذا امرت ففزعت ووقفت ثم تعوذت وركضت الدابة ففعل ذلك مراراً ثم هتف بى هاتف من قربوس السرج والله مالهذا خلقت ولا بهذا امرت قال فنزلت فصادفت راعياً لأبى يرعى الغنم فأخذت جبته الصوف فلبستها ودفعت اليه الفرس وما كان معى وتوجهت الى مكة فبينا انا في البادية إذ انا برجل يسير ليس معه إناء ولازاد فلما امسى وصلى المغرب حرك شفتيه بكلام لم افهمه فاذا بإناء فيه طعام وإناء فيه شراب فأكلت معـه وشربت وكنت على هذا اياما وعلمنى اسم الله الاعظم ثم غاب عنى وبقيت وحدى فبينا انا ذات يوم مستوحش من الوحدة دعوت الله فاذا شخص أخذ بحجزتى فقال لى سل تعطه فراعنى قوله فقال لاروع عليك انا اخوك الخضر

وذكر عبدالمغيث بن زهير الحربي في جزء جمعه في اخبار الخضر عن احمد ابن حنبل قال كنت ببيت المقـدس فرأيت الخضر والياس : وعن احمد قال كنت نائما فجاءنى الخضر فقال قل لاحمد ان ساكن السماء والملائكة راضون عنك . وعن احمد بن حنبل انه خرج الى مكة فصحب رجلا قال فوقع فى نفسى انه الخضر قال ابن الجوزى في مانقضه ماجمعه عبدالمغيث لايثبت هذا عن احمد قال وذكر فيه عن معروف الكرخى انه قال حدثنى الخضر ومن أين يصح هذا

عن معروف . وقال ابوحيان في تفسيره اولع كثير ممن ينتمي الى الصلاح ان بعضهم يرى الخضر : وكان الامام ابوالفتح القشيرى يذكر عن شيخ له انه رأى الخضر وحدثه فقيل له من اعلمه انه الخضر ام كيف عرف ذلك فسكت قال ويزعم بعضهم ان الخضر يقرتبة يتولاها بعض الصالحين على قدم الخضر ومنه قول بعضهم لكل زمان خضر . قلت وهو حيث سلم يدل على ان الخضر المشهور مات : قال ابو حيان وكان بعض شيوخنا في الحديث وهو عبدالواحد العباسى الحنبلي يعتقد اصحابه فيه انه يجتمع بالخضر . قلت وذكر لى الحافظ ابوالفضل العراقى شيخنا ان الشيخ عبدالله بن اسعد اليافعي كان يعتقد ان الخضر حي قال فذكرت له مانقل عن البخارى والحربى وغيرهما من انكار ذلك فغضب وقال من قال انه مات غضبت عليه قال فقلنا له رجعنا عن اعتقاد موته: وأدركنا من كان يدعى انه يجتمع بالخضر منهم القاضى علم الدين البساطى الذى ولى قضاء المالكية زمن الظاهر برقوق وكان كثير من أهل العلم ينكرون عليه ذلك

والذي تميل اليه النفس من حيث الادلة القوية خلاف مايعتقده العوام من استمرار حياته لكن ربما عرضت شبهة من جهة كثرة الناقلين للاخبار الدالة على استمراره فيقال هب ان اسانيدها واهية اذ كل طريق منها لايسلم من سبب يقتضي تضعيفها فماذا يصنع فى المجموع فانه على هذه الصورة قد يلتحق بالتواتر المعنوي الذى مثلوا له بجود حاتم فمن هنا مع احتمال التأويل في ادلة القائلين بعدم بقائه كآية (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد) وكحديث «رأس مائة سنة» وغير ذلك مما تقدم بيانه . واقوى الادلة على عدم بقائه عدم مجيئه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانفراده بالتعمير من بين أهل الاعصار المتقدمة بغير دليل شرعي.

والذى لايتوقف فيه الجزم بنبوته . ولو ثبت انه ملك من الملائكة لارتفع الاشكال كما تقدم والله أعلم * اه تم كتاب الزهر النضر في نبأ الخضر للحافظ شهاب الدين أبى الفضل احمد بن على بن محمد بن حجر الكنانى العسقلانى

فرغ منه يوم الجمعة عشرين شوال سنة ٨٦٧ سبع وستين وثمانمائة هجرية اهـ

الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية

للامام العلامة الحافظ

(أبى الفضل شهاب الدين أحمد الشهير بابن حجر العسقلانى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فضل بعض خلقه على بعض درجات * والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالآيات البينات * وعلى آله وصحبه الذين فازوا بنصرة دينه حتى حازوا الصفات المعلومات * وعلى التابعين لهم باحسان صلاة وسلاما دائمين الى يوم بعث الاموات *

﴿ أما بعد ﴾ فان جماعة من الاخوان التمسوا إفراد مختصر من أخبار فقيه الديار المصرية أبى الحرث الليث بن سعد أبى المكارم وشيئا من عوالى حديثه تذكرة لعهده : وتبصرة لمن يخفى عليه حال من قبله اذا أتى من بعده : فأجبت طلبتهم . وصوبت رغبتهم . وجمعت في هذه الاوراق ما تيسر من ذلك لما فيه من نشر السنة ورتبتها على ثمانية أبواب على عدد أبواب الجنة (الباب الاول) في ذكر نسبه ونسبته ومولده وبلدته (الباب الثاني) فى ذكر طلبه العلم ورحلته وأسماء بعض شيوخه وصفة مبدأ أمره ونشأته (الباب الثالث) في مهارته في شبابه وتحريه أسباب المروءة ومكارم الاخلاق في جميع أسبابه (الباب الرابع) في ثناء الائمة عليه بالصفات الجميلة وبيان سعة حفظه وكثرة علومه الجزيلة (الباب الخامس)

فى عظيم مقداره عند الخلفاء وغيرهم من الاحرار والحلفاء (الباب السادس)
في معرفة بعض الا خذين للحديث عنه والاشارة الى بعض المقتبسين للفقه منه
(الباب السابع) في بيان وقت وفاته ، ومقدار عمره عند مماته . (الباب الثامن)
في سياق عوالى حديثه : الدال على رفيع قدره في قديم أمره وحديثه : والله أسأل
أن لا يجعل ما علمنا علينا وبالا وأن يسبل علينا ستر حلمه وكرمه سبحانه وتعالى

الباب الاول

أخبرنا أبو العباس احمد بن أبى بكر العز الحنبلى في كتابه الينا من دمشق
غير مرة أخبرنا التقي ابو الفضل بن أبى طاهر الحاكم مشافهة عن أبى الحسن بن
المقير أخبرنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ في كتابه الينا أخبرنا ابو القاسم
عبد الرحمن بن الحافظ ابى عبد الله بن منده اذنا اخبرنا ابي اخبرنا ابو سعيد
عبد الرحمن بن احمد بن يونس بن عبد الاعلى فى تاريخ مصر قال الليث بن
سعد بن عبد الرحمن الفقيه يكنى أبا الحرث يقال انه مولى بنى فهم ثم لآل خالد
ابن ناشر بن ظاعن الفهمي ثم من بنى كنانة بن عمرو بن القيس وكان اسمه في
ديوان مصر في موالى بنى كنانة من فهم وأهل بيته يقولون نحن من الفرس من
أهل اصبهان قال ابن يونس وليس لما قالوه من ذلك عندنا صحة يعنى كونهم
من الفرس : فاما ان اصلهم من اصبهان فجاء عن الليث نفسه ذلك قرأت على
أبى الحسن بن أبى المجد عن ابى بكر الدمشقي ان يوسف بن خليل الحافظ
اخبرهم اخبرنا ابو الحسن الجمال اخبرنا ابو علي الحداد اخبرنا ابو نعيم حدثنا عبد
الله بن محمد بن جعفر سمعت ابا الحسن الطحان يقول سمعت عيسى بن حماد يقول
سمعت الليث يقول نحن من اهل اصبهان فاستوصوا بهم خيراً وقال يعقوب
ابن سفيان في تاريخه كان الليث يقول اصلنا من اصبهان وقال ابو احمد الحاكم في

الكنى ابو الحرث الليث بن سعد مولى بنى فهم من قيس : وقال ابن يونس فيما اخرجه من طريق عمرو بن ابي الطاهر بن السرح سمعت يحيي بن بكير يقول سعد والد الليث كان من موالى قريش ثم افترض في بنى فهم فنسب اليهم وتبعه الليث بعده : وقال البخارى الليث مولى بنى فهم : وقال خليفة بن خياط الليث مولى بني قيس وظن ابو نصر الكلاباذى اختلاف النسبين فجعلهما قولين وليس كذلك بل فهم من قيس والله اعلم

﴿ ذكر مولده ﴾ قال يعقوب بن سفيان في تاريخه قال يحيي بن بكير سمعت ابن الليث يقول كان الليث يقول لنا قال لى بعض أهلي اني ولدت سنة اثنتين وتسعين والذى أوقن اني ولدت سنة اربع وتسعين وقال ابو صالح كاتب الليث سمعت الليث يقول مات عمر بن عبد العزيز ولى سبع سنين

﴿قلت﴾ وكانت وفاة عمر سنة احدى ومائة فيكون مولده سنة اربع وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن ابيه ولد سنة اربع وقال بعضهم سنة ثلاث وكذا قال ابن سعد ولد الليث سنة ثلاث أو اربع وتسعين وقال البخارى فى تاريخه قال يحيي بن بكير ولد الليث لاربع عشرة خلت من شعبان سنة أربع وتسعين وكذا قال ابن حبان وزاد يوم الجمعة

﴿ قلت ﴾ ومولده بقرقشندة على نحو أربع فراسخ من الفسطاط فيكون له منذ ولد سبعمائة سنة واربعون سنة لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً والله أعلم

الباب الثاني

قال أبو نعيم في الحلية أدرك الليث نيفاً وخمسين رجلا من التابعين : وقال البخارى قال يحيي بن بكير قال سمعت من ابن شهاب الزهرى بمكة سنة ثلاث عشرة وهي أول سنة حج : وروى ابن يونس من طريق ابن وهب عن الليث قال

خسفت الشمس ونحن بمكة سنة ثلاث عشرة: وسمع ببلده من يزيد بن ابى حبيب وجعفر بن ربيعة والحرث بن يعقوب وعبيد الله بن أبي جعفر وخالد بن يزيد وخير بن نعيم وسعيد بن يزيد بالحجاز من عطاء بن أبي رباح ونافع مولى ابن عمر وهشام بن عروة ويحيى بن سعيد الانصارى وابى الزبير محمد بن مسلم المكي وأيوب بن موسى الاموى وعبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة وعمرو بن شعيب وعمرو بن دينار وقتادة وسمع فى رحلته الى العراق وهو كبير من هشيم وهو أصغر منه : قال ابو صالح خرجت مع الليث في سنة إحدى وستين فشهدنا الاضحى ببغداد فقال لى الليث سل عن منزل هشيم الواسطي فقل له أخوك الليث المصرى يقرأ عليك السلام ويسألك أن تبعث اليه شيئاً من كتبك فذهبت اليه ففعل فكتبت لليث منها وسمعتها من هشيم مع الليث : وروى غير واحد عن الليث قال دخلت على نافع مولى ابن عمر فقال من أين قلت من أهل مصر قال ممن قلت من قيس قال ابن كم قلت ابن عشرين قال أما لحيتك فلحية ابن أربعين : وروى الخطيب من طريق الخضر بن عبيد حدثنا عيسى بن حماد سمعت الليث يقول حججت أنا وابن لهيعة فرأيت نافعاً مولى ابن عمر فدخلت معه الى دكان علاف فحدثنى فمر بنا ابن لهيعة فقال من هذا قلت مولى لنا فلما رجعنا إلى مصر جعلت أحدث عن نافع فأنكر ذلك ابن لهيعة وقال أين لقيته قلت أما رأيت العبد الذى في دكان العلاف هو ذاك

(قلت) وقعت لى نسخة الليث عن نافع فيها من الاحاديث المرفوعة والموقوفة نحو المائة ومع ذلك فكان الليث يروى عنه ما ليس عنده منه مشافهة بالواسطة وربما روى عنه بأكثر من واسطة واحد فانه روى عن هقل بن زياد عن الاوزاعي عن داود بن عطاء عن موسى بن عقبة عن نافع وقد سمع من ابن شهاب الزهري كثيرا ويدخل بينه وبين الزهري الواسطة بواحد كعقيل ويونس

وغيرهما وذلك في الصحيحين وباثنين كما روى عن ابراهيم بن سعد عن صالح ابن كيسان عن ابن شهاب وبثلاثة كما روى عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن يزيد بن الهاد عن ابن شهاب وبخمسة كما روى عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن يزيد بن الهاد عن ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن الزهرى وسمع من أبي الزبير وحديثه عنه من اصح الحديث فانه لم يسمع منه شيئاً دلس فيه : وقد روى عن خالد بن يزيد عن سعيد بن ابى هلال عن محمد ابن عجلان عن ابى الزبير ومامن هؤلاء الوسائط الا من سمع منه الكتب ولكنه كان لا يحب التدليس فكان لا يبالى اذا نزل في الرواية اذا لم يسمع فقد حدث عن هشام بن عروة وسمع من ربيعة وحدث عن يحيي بن أيوب عن أيوب بن موسى عنه وسمع من سعيد المصري وحدث عن يزيد بن ابي حبيب عن عبد الحميد ابن جعفر عنه: وكان من سعة علمه يحدث من لسانه بما عنده قال ابن يونس انفرد الغرباء عن الليث باحاديث لم يسمعها منه أهل مصر: وقد حدث عنه من شيوخه محمد بن عجلان وهشام بن سعد ومن أقرانه ابن لهيعة وقيس بن الربيع وهشيم ابن سعد وعبد الله بن المبارك وغيرهم وقال يعقوب بن سفيان حدثنا يحيي بن بكير أخبرني من سمع الليث يقول كتبت من علم الزهرى كثيرا يعني عن غيره قال فأردت أن أركب البريد اليه الى الرصافة فخفت أن لا يكون ذلك لله فتركت ذلك يعني فصار يروى عنه بالواسطة لذلك :

الباب الثالث

قال يعقوب بن سفيان في تاريخه سمعت يحيي بن بكير يقول قال عبد العزيز ابن محمد هو الدراوردى رأيت الليث بن سعد عند ربيعة يناظرهم في المسائل وقد فاق أهل الحلقة : وقال ابن يونس بالسند الماضى اليه حدثنا علي بن قديد سمعت

يحيي بن عثمان بن صالح يذكر أن يحيي بن بكير حدثه قال سمعت شرحبيل بن يزيد يقول أدركت الناس في زمن هشام بن عبد الملك وهم متوافرون مثل يزيد بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر وجعفر بن ربيعة والحرث بن يزيد وابن هبيرة ومن يقدم مصر من علماء أهل المدينة ومن علماء أهل الشام للرباط والليث يومئذ حدث شاب وانهم ليعرفون فضله ويقدمونه ويشار اليه : وقال يعقوب بن سفيان سمعت يحيى بن بكير يقول سمعت الليث يقول رآني يحيى بن سعيد الانصاري وقد فعلت شيئاً من المباحات فقال لا تفعل فانك امام منظور اليك

(قلت) ويحيى بن سعيد تابعي من شيوخ الليث وقال يحيى بن عمر بن صالح السهمى حدثنا عمر بن خالد قال قلت لليث بلغنى انك أخذت بركاب بن شهاب الزهرى قال نعم للعلم فاما لغير ذلك فلا والله ما فعلته بأحد قط . أخبرنا أبو محمد ابراهيم بن داود العابد اذنا مشافهة أخبرنا ابراهيم بن على بن سنان أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم عن احمد بن محمد التيمى اخبرنا الحسن بن احمد المقري أخبرنا ابو نعيم حدثنا محمد بن ابراهيم بن على حدثنى الحضرمي حدثنا علان بن المغيرة سمعت أبا صالح كاتب الليث يقول كنا على باب مالك ابن أنس فامتنع علينا أى احتجب فقلنا ليس يشبه هذا صاحبنا قال فسمع مالك كلامنا فامر بادخالنا عليه فقال لنا من صاحبكم قلنا الليث بن سعد قال تشبهونى برجل كتبت اليه في قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا فانفذ الينا منه ما صبغنا به ثياب صبياننا وثياب جيراننا وبعنا الفضل بالف دينار ه وبه الى ابي نعيم حدثنا ابراهيم بن محمد بن يحيى حدثنا محمد بن اسحق هو السراج سمعت قتيبة بن سعيد يقول قفلنا مع الليث من الاسكندرية وكان معه ثلاث سفائن سفينة فيها مطبخه وسفينة فيها عياله وسفينة فيها أضيافه: وبه الى أبي نعيم حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا اسماعيل بن عبد الله حدثنا عبد الله بن صالح قال صحبت الليث

عشرين سنة فكان لا يتغدى وحده ولا يتعشى وحده الامع الناس وبه الى ابي نعيم حدثنا سليمان بن احمد حدثنا احمد بن ابى يحيى حدثنا عبدالملك بن شعيب ابن الليث سمعت أسد بن موسى يقول كان عبدالله بن على يطلب بنى أمية فيقتلهم فرحلت الى مصر فدخلتها في هيئة رثة فدخلت على الليث فلما فرغ المجلس خرجت فتبعني خادم فقال اجلس حتى أخرج اليك فجلست حتى خرج وأنا وحدى فدفع لى صرة فيها مائة دينار وقال يقول لك الليث اصلح بهذه النفقة أمرك ولم شعثك وكان معي في حجزتي الف دينار فأخرجتها له وقلت له استأذن لى على الشيخ فدخلت فأخبرته بنسبي فقال انها صلة وليست صدقة واعتذرت اليه عن قبول صلته وقلت أكره أن أعود نفسى عادة وأنا عنها غنى قال فادفعها الى بعض أصحاب الحديث ممن تراه مستحقا لها فلم يزل بي حتى أخذتها ففرقتها في جماعة* ومن طريق منصور بن عمار قال كنت عند الليث جالساً فأتته امرأة ومعها قدح فقالت يا أبا الحرث ان زوجى يشتكى وقد نعت لنا العسل فقال اذهبي الى الوكيل فقولى له يعطيك مطراً[1] فجاء الوكيل يساره بشيء فقال له الليث اذهب فاعطها مطراً انها سألت بقدرها فاعطيناها بقدرنا قال والمطر عشرون ومائة رطل: وعن منصور قال دخلت على الليث وعلى رأسه خادم فغمزه فخرج فضرب بيده الى مصلاه فاستخرج منه كيسا فرمى به الىّ وقال يا ابا السرى لا تعلم به ابنى فتهون عليه فاذا فيه الف دينار: وقال ابو حاتم بن حبان كان الليث لا يتردد اليه أحد الا أدخله في جملة عياله ما دام يتردد اليه ثم ان أراد الخروج زوده بالبلغة الى وطنه* وقال عباس بن محمد الدورى سمعت يحيى بن معين يقول كان الليث يصلى في المسجد كل صلاة يجيء على فرسه فكان له مجلس يجلس فيه فمر به يحيى بن أيوب فغمزه فقام معه فسأله عن مسئلة فأجابه فبعث اليه بمائة دينار وقال الترمذى

---

(١) قوله مطراً هو وعاء معروف عند بعض أهل مصر يسع نحو مائة رطل مصري تقريباً اهـ

سمعت قتيبة يقول كان الليث في كل صلاة يتصدق على ثلثمائة مسكين * وقال أشهب كان الليث لا يرد سائلا وكان يطعم الناس الهرائس بعسل النحل وسمن البقر في الشتاء وفي الصيف بشيء من اللوز والسكر: وبالسند الماضي قريباً الى أبي نعيم حدثنا احمد بن اسحق حدثنا اسحق بن اسماعيل سمعت محمد بن رمح يقول كان دخل الليث في كل سنة ثمانين الف دينار ما أوجب الله عليه درهما قط بزكاة: وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث سمعت أبي يقول قال الليث ما وجبت على زكاة قط منذ بلغت: وقال حرملة بن يحيى سمعت ابن وهب يقول كان الليث يصل مالكا كل سنة بمائة دينار وكتب اليه مرة ان على دينا فبعث اليه بخمسمائة دينار وبه الى ابى نعيم حدثنا سليمان بن احمد الطبراني حدثنا عبد الملك بن يحيى بن بكير سمعت ابي يقول وصل الليث ابن لهيعة لما احترقت داره بالف دينار وحج فأهدى اليه مالك طبقا فيه رطب فرد اليه على الطبق الف دينار ووصل منصور بن عمار القاضي بالف دينار : وقال الحرث بن مسكين اشترى قوم من الليث ثمرة بمال ثم انهم ندموا فاستقالوه فاقالهم ثم استدعاهم فاعطاهم خمسين دينارا وقال انهم كانوا أملوا أملا فأحببت ان اعوضهم *

الباب الرابع

قال أبو بكر بن الاثرم سمعت أباعبدالله احمد بن حنبل يقول ما في هؤلاء المصريين أثبت من الليث لاعمرو بن الحرث ولاغيره ماأصح حديثه وجعل يثنى عليه : وقال يعقوب بن سفيان قال الفضل بن زياد قال احمد بن حنبل الليث كثير العلم صحيح الحديث وقال حنبل بن اسحق سئل احمد فقيل له محمد بن عجلان وابن أبي ذئب والليث عن المقبرى أيهم أحب اليك قال الليث * وقال عباس الدورى عن يحيى بن معين الليث في يزيد بن أبى حبيب أثبت من محمد بن

اسحق وقال محمد بن احمد بن عياض حدثنا هرون بن يزيد سمعت ابن وهب يقول كل ما كان في كتب مالك وأخبرني من أرضى من أهل العلم فهو الليث بن سعد وقال شعيب بن الليث قيل لأبي إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك قال لو كتبت ما في صدري في كتبي ما وسعه هذا المركب وقال يحيى بن بكير ما رأيت فيمن رأيت مثل الليث وما رأيت أكمل منه كان فقيه البلد عربي اللسان يحسن القرآن والنحو والحديث والشعر والمذاكرة الى أن عد خمس عشرة خصلة ما رأيت مثله

﴿ ذكر ثنائهم عليه بالفقه ﴾ وبالسند الماضي الى أبي نعيم حدثنا محمد بن عبدالرحمن بن سهل حدثنا احمد بن اسماعيل الصدفي حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا حرملة بن يحيى سمعت الشافعي يقول الليث أنفع للاثر من مالك: وقال أبو احمد ابن عدى حدثنا ابراهيم بن اسحق سمعت احمد بن عبدالرحمن بن وهب يقول سمعت الشافعي يقول الليث أفقه من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به : وفي رواية عن الشافعي ضيعه قومه وفي أخرى ضيعه أصحابه وقال أبو محمد بن أبي حاتم سمعت أبازرعة يقول سمعت يحيي بن بكير يقول الليث أفقه من مالك ولكن كانت الحظوة لمالك : وقال أبو عبدالله البوشنجي سمعت يحيي بن بكير يقول أخبرت عن سعيد بن أبي أيوب انه كان يقول لو أن مالكا والليث اجتمعا كان مالك عند الليث أبكم ولباع الليث مالكا فيمن يريد *

(قلت) ثناؤهم عليه بحفظ الحديث وضبطه قال ابن أبي حاتم سألت أبازرعة الليث يحتج بحديثه قال أى لعمرى وقال يحيي بن معين ثبت وقال يعقوب بن شيبة ومحمد بن سعد وآخر ثقة وقال ابن أبي مريم ما رأيت أحداً من خلق الله أفضل من ليث وما كانت خصلة يتقرب بها الى الله الا كانت تلك الخصلة في الليث : وقال أبو يعلي الخليلي كان امام وقته بلامدافعة وقال ابن حبان كان من سادات أهل زمانه فقهاً وعلماً وحفظاً وفضلا وكرماً: وقال النووى في تهذيبه أجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته في الفقه والحديث

الباب الخامس

وبالسند الماضى أول الجزء الى أبى سعيد بن يونس حدثنا محمد بن الحرث حدثنا محمد بن عبدالملك بن شعيب بن الليث حدثنا أبي عن أبيه قال قال الليث قال لى أبوجعفر المنصور حين أردت أن أودعه قد رأيت ماسرنى من سداد عقلك فاتق الله في الرعية أمثالك وقال يعقوب بن سفيان حدثنا يحيي بن بكير قال قال الليث قال لى أبوجعفر المنصور تلى لى قلت انى أضعف عن ذلك اني رجل من الموالي قال مابك ضعف معى الا ضعف بدنك أتريد قوة أقوى منى فأما اذا أبيت فدلنى على رجل قالوا وكان الامراء بمصر لايقطعون أمراً دون الليث * وقال أبوعبدالله البوشنجي سمعت يحيي بن بكير يحدث عن يعقوب ابن داود الوزير قال قال لي أمير المؤمنين لما قدم الليث العراق الزم هذا الشيخ فقد ثبت عند أمير المؤمنين انه مابقى أحد أعلم بما كان منه * وقال أشهب بن عبدالعزيز كان لليث أربع مجالس كل يوم مجلس لحوائج السلطان ومجلس لاصحاب الحديث ومجلس لاصحاب المسائل ومجلس لحوائج النـاس لايسأله أحد فيرده صغرت حاجته أو كبرت وقال منصور بن عمار كان الليث اذا تكلم رجل فى المسجد الجامع أخرجه قال فلما دخلت مصر تكلمت فى الجامع فاذا رجلان قد دخلا فأخذا بى فقالا أجب أباالحرث قال فذهبت وأنا أقول واسوأتاه أخرج من البلد هكذا قال فلما دخلت على الليث سلمت فقال أنت المتكلم فى المسجد قلت نعم قال أعد عليّ ماقلت قال فأعدته فرق الشيخ وبكى فقال مااسمك قلت منصور بن عمار قال أبوالسرى قلت نعم قال فدفع إليّ كيساً وقال صن هذا الكلام عن أبواب السلاطين ولاتمدحن أحداً من المخلوقين بعد مدحك لرب العالمين ولك عليّ في كل سنة مثلها: وبالسند الماضى الى أبى نعيم حدثنا محمد بن

احمد الجرجرائي حدثنا أبو على الطرائفي حدثنا لؤلؤ خادم الرشيد قال جرى بين هرون الرشيد وبنت عمه زبيدة بنت جعفر كلام فقال هرون أنت طالق ان لم أكن من أهل الجنة ثم ندم فجمع الفقهاء فاختلفوا ثم كتب الى البلدان فاستحضر علماءها اليه فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا وبقي شيخ لم يتكلم وكان في آخر المجلس وهو الليث بن سعد قال فسأله قال اذا خلى أمير المؤمنين مجلسه كلمته فصرفهم فقال يدنيني أمير المؤمنين فأدناه فقال أتكلم على الامان قال نعم فأمر باحضار مصحف فأحضر فقال تصفحه ياأمير المؤمنين حتى تصل الى سورة الرحمن فاقرأها ففعل فلما انتهى الى قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قال أمسك يا أمير المؤمنين قل والله قال فاشتد ذلك على هرون فقال يا أمير المؤمنين الشرط أملك فقال والله حتى فرغ من اليمين قال قل انى اخاف مقام ربى فقال ذلك فقال يا أمير المؤمنين فهى جنتان وليست بجنة واحدة قال فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر فقال له الرشيد احسنت وامر له بالجوائز والخلع وأمر له باقطاع الجيزة ولا يتصرف أحد بمصر الا بأمره وصرفه مكرما : وقال يحيي بن بكير كتب الوليد بن رفاعة وهو أمير مصر في وصيته قد أسندت وصيتى لعبدالرحمن ابن خالد بن مسافر والى الليث بن سعد وليس لعبدالرحمن أن يفتات على الليث فان له نصحاً ورأياً وكان الليث يومئذ ابن أربع وعشرين سنة :وقال سعيد بن أبي مريم كان اسمعيل بن اليسع الكندى من خير قضاتنا غير انه كان يذهب مذهب أبى حنيفة في ابطال الحبس فأبغضوه فكتب الليث في أمره فعزل: وقال يحيي بن عثمان بن صالح عن أبيه جاء الليث الى اسمعيل فجلس بين يديه فرفع اسمعيل مجلسه فقال انما جئت اليك مخاصما قال فيماذا قال في أحباس المسلمين قد حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فمن بقي بعد هؤلاء وقام فكتب الى المهدي فورد الكتاب بعزله فأتاه الليث

فجلس الى جنبه وقال للقارىء اقرأ كتـــاب أمير المؤمنين فقال له اسمعيل يا أبا الحرث وما كنت تصنع بهذا والله لو أمرتنى بالخروج لخرجت فقال له الليث والله انك لعفيف عن أموال الناس قال يونس بن عبدالاعلى كان فى كتـاب الليث الى الخليفـة انا لم ننكر عليه شيئاً غير انه أحدث أحكاماً لا نعرفها: وعن عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم عن أبيه قال كتب فيه ياأمير المؤمنين انك وليت علينا رجلا مانقمنا عليه في الدينار والدرهم الا خيراً الا انه يكيـد السنة فعزله: وبالسند الماضي الى أبى نعيم حدثنا سليمان بن احمد حدثنا مطلب بن شعيب سمعت عبدالله بن صالح يقول سمعت الليث بن سعد يقول لما قدمت على هرون الرشيد قال لى ياليث ماصلاح بلدكم قلت يا أمير المؤمنين صلاح بلدنا اجراء النيل وصلاح أميرها ومن رأس العين يأتى الكدر فاذا صفا رأس العين صفت العين قال صدقت ياأبا الحرث *

الباب السادس

تقدم انه روى عنه بعض شيوخه وأقرانه وأن قول مالك حدثنى من أرضى من أهل العلم يريد به الليث وممن روى عنه من أقرانه فمن دونهم عطاف بن خالد وعبد الله بن المبارك والوليد بن مسلم وأبوالنضر هاشم بن القاسم ويونس بن محمد المؤدب وعبد الله بن وهب ويعقوب بن ابراهيم بن سعد ويحيى بن اسحق السيلحينى وعلى بن نصر الجهضمى وابوسلمة الخزاعى والحسن بن سوادة وحجين ابن المثنى وأبو نوح المعروف بقرادة وعبد الله بن الحكم وبشر بن السرى وشبابة بن سوادة وحجاج بن محمد وأشهب بن عبد العزيز: واكثر هؤلاء من شيوخ الامام احمد بن حنبل وسعيد بن سليمان وسعيد بن أبى مريم وسعيد بن كثير بن عفير ويحيي بن عبد الله بن بكير وعبد الله بن صالح وعبد الله بن يزيد

المقرى وعمرو بن خالد الحرانى وعمرو بن الربيع بن طارق وعلىّ بن عياش الحمصى وعبد الله بن يوسف التنيسى : وغالب هؤلاء من شيوخ البخارى: وأبو الوليد الطيالسى واحمد بن يونس ويحيي بن يحيي التميمى : وهؤلاء من شيوخ مسلم وأبي داود واكثر عنه قتيبة بن سعيد وهو من شيوخ الائمة الخمسة ومحمد بن رمح ومحمد بن الحرث وعيسى بن حماد وهو آخر من حدث عنه من الثقات وبين وفاته ووفاة محمد بن عجلان مائة سنة سواء فان ابن عجلان مات سنة ثمان وأربعين ومائة ومات عيسى سنة ثمان وأربعين ومائتين وقيل سنة تسع وأربعين وقال ابراهيم بن محمد بن يحيى النيسابورى سمعت محمد بن المسيب يقول سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول سمعت الشافعي يقول ما فاتني أحد فأسفت عليه ما أسفت على الليث بن سعد وابن أبي ذئب: وقال الحسن بن يوسف سمعت الربيع بن سليمان يقول قال عبد الله بن وهب لولا مالك والليث لضللنا

(قلت) وأخذ عنه الفقه أيضاً مع ابن وهب عبد الرحمن بن القاسم وأشهب ويحيي بن بكير وأبو صالح وغيرهم لكنه ما صنف شيئاً من الكتب ولا دوّن أصحابه المسائل عنه ولذلك قال الشافعي ضيعه أصحابه يعنى لم يدوّنوا فقهه كما دونوا فقه مالك وغيره وان كان بعضهم قد جمع منها شيئاً وقد ذكر الشيخ أبو اسحق في الطبقات ان علم التابعين من أهل مصر تناهى الى الليث بن سعد قال وقال ابن وهب ومسائل الليث تقرأ عليه فمرت به مسئلة فاستحسنوها فقال رجل ما أحسن ما قال الليث كأنه كان يسمع مالكا فيجيب فقال ابن وهب بل لعل مالكا كان يسمع الليث يجيب فيجيب والله الذي لا إله إلا هو ما رأينا أحداً قط أفقه من الليث.

(قلت) ولقد تتبعت كتب الخلاف كثيراً فلم أقف فيها على مسئلة واحدة انفرد بها الليث عن الائمة من الصحابة والتابعين الا في مسئلة واحدة وهي أنه كان يرى تحريم أكل الجراد الميت وقد نقل ذلك أيضاً عن بعض المالكية والله سبحانه وتعالى أعلم.

الباب السابع

قال خالد بن عبد السلام الصدفى جالست الليث بن سعد وشهدت جنازته مع أبى فمارأيت جنازة قط بعدها أعظم منها ورأيت الناس كلهم عليهم الحزن ويعزى بعضهم بعضا فقلت لأبى يا أبت كأن كل واحد من هؤلاء صاحب الجنازة فقال لى يا بنى كان عالما كريما حسن العقل كثير الافضال يا بنى لا ترى مثله أبداً : وقال خليفة بن خياط ومحمد بن سعد والبخارى وغير واحد مات الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومائة زاد ابن سعد يوم الجمعة لاربع عشرة بقيت من شعبان وقال ابن حبان مات فى النصف من شعبان

(قلت) فيكون له منذ مات الى الآن ستمائة سنة وستون سنة لم تنقص سنة واحدة وقد وقعت لنا من عوالى حديثه اليه جملة بينى وبينه فيها ثمانية أنفس أكثرها بالسماع المتصل اليه وفي بعضها الاجازة وقد انتقيت منها أربعين حديثا تكلمت على حالها ومن أخرجها من الائمة واذا قسمت المدة المذكورة على عدد الرواة كان قسط كل واحد منهم ثمانين سنة وزيادة وقد عاش هو احدى وثمانين سنة على ما بينت من مولده ووفاته فتناسب الامر بعضه من بعض والله سبحانه وتعالى المستعان .

الباب الثامن

﴿ الحديث الاول ﴾ قرأت على الشيخ أبى اسحق ابراهيم بن احمد بن عبد الواحد التنوخي البعلبكي ثم الدمشقي ثم القاهرى بمنزله بالجامع الاقمر غير مرة ان أحمد ابن ابى طالب بن ابى النعم الصالحي اخبرهم سماعا عليه قال اخبرنا ابو المنجا عبد الله بن عمر ابن على بن يزيد البغدادي قرأت عليه ونحن نسمع بدمشق أخبرنا أبو الوقت عبد الاول بن عيسى بن شعيب الهروى قراءة عليه ونحن نسمع ببغداد اخبرنا ابو عبد الله

محمد بن ابي مسعود عبد العزيز الفارسى اخبرنا ابو محمد عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن ابى شريح الانصاري اخبرنا ابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى حدثنا أبو الجهم العلاء بن موسي بن عطية الباهلى املاء حدثنا الليث بن سعد المصرى عن نافع عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤية الصالحة قال نافع حسبت ابن عمر قال جزء من سبعين جزأ من النبوة هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن أبى النضر هاشم ابن القاسم: وأخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عاليًا بدرجتين على طريقى المسند والصحيح *

﴿ الحديث الثانى ﴾ وبهذا الاسناد الى ابى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى اذا كان ثلاثة نفر ان يتناجى اثنان دون واحد» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن يونس بن محمد المؤدب ومسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا بدرجتين ايضا واخرجه عوانة عن ابي الاحوص عن قتيبة فوقع لنا بدلا عاليا على طريقه بدرجتين ايضا

﴿ الحديث الثالث ﴾ وبه الى ابى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «لا يقيمن احدكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه» هذا حديث صحيح اخرجه احمد بن ابى النضر هاشم بن القاسم واخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عاليا

﴿ الحديث الرابع ﴾ وبه الى أبى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه قام فقال لا يحلبن أحد ماشية أحد بغير اذنه أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته فيكسر باب خزانته فينتقل

طعامه وانما يخزن لهم ضروع مواشيهم أطعمتهم فلايحلبن ماشية امرىء بغير اذنه» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وابن ماجه عن محمد بن رمح وأخرجه مسلم أيضاً عن قتيبة كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً*

﴿ الحديث الخامس ﴾ قرأت على أبي الحسن على بن محمد بن محمد الخطيب الدمشقي قدم علينا القاهرة وكتب الينا أبو العباس احمد بن أبى بكر بن احمد المقدسي غير مرة كلاهما عن أبي الفضل سليمان بن أبى طاهر المقدسي قال الاول كتابة والثاني سماعاً قالا أخبرنا عبدالله بن عمر البغدادى أخبرنا أبو القاسم سعيد ابن احمد البناء أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد بن على الزينبي أخبرنا أبو بكر محمد ابن عمر بن دينور حدثنا أبو بكر بن عبدالله بن أبي داود سليمان بن الاشعث السجستانى حدثنا عيسى بن حماد أخبرنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير هو يزيد بن عبدالله عن عقبة هو ابن عامر الجهنى رضى الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوماً يصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف الى المنبر فقال انى فرط لكم وأنا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضى الآن وانى قد أعطيت مفاتيح خزائن الارض أو مفاتيح الارض وانى والله ما أخاف أن تشركوا بعدى ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن حجاج بن محمد وابي النضر هاشم بن القاسم واخرجه البخارى عن عبدالله بن يوسف وسعيد بن شرحبيل وعمرو بن خالد وأخرجه هو ومسلم وابوداود والنسائي كلهم عن قتيبة الستة عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عالياً*

﴿ الحديث السادس ﴾ قرأت على زينب بنت العماد أبي بكر بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن جعوان الدمشقية بصالحية دمشق وعلى بن ابراهيم بن احمد القارىء بالقاهرة كلاهما عن ابن العباس الصالحى سماعاً أخبرنا أبو المنجا بن الليثى

أخبرنا أبو الوقت أخبرنا أبوعبدالله بن أبي سعيد أخبرنا أبومحمد بن أبي شريح حدثنا ابوالقاسم البغوي حدثنا أبو الجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر قال ان امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان: هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم وعلى بن عباس الحمصي ويونس بن محمد المؤدب فرتبهم وأخرجه البخارى عن احمد بن يونس ومسلم عن يحيي بن يحيي وأبوداود عن يزيد بن خالد بن موهب وأخرجه مسلم وأبوداود أيضا والترمذى والنسائى عن قتيبة كلهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عاليا: وأخرجه ابوعوانة عن محمد بن اسحاق الصنعانى عن أبي النضر وعن أبي أمية الطرسوسى عن احمد بن يونس به *

﴿ الحديث السابع ﴾ وبه الى ابى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية قبل نجد وفيهم عبدالله بن عمر وأن سهمانهم بلغت اثنى عشر بعيرا ونفلوا سوى ذلك بعيراً بعيراً فلم يغيره رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ذلك » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح واخرجه أبو داود عن يزيد بن خالد بن موهب والقعنبي اربعتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الثامن ﴾ وبه الى ابى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الا كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فالامير الذى على الناس راع وهو مسؤل عن رعيته والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤل عنهم وامرأة الرجل راعية على بيت بعلها وولده وهى مسؤلة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسؤل عنه الا فكلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته » هذا حديث صحيح اخرجه مسلم

عن قتيبة ومحمد بن رمح واخرجه الترمذي عن قتيبة كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث التاسع ﴾ وبه الى أبي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل المنبر يقول «ألا ان الفتنة ههنا مرتين من حيث يطلع قرن الشيطان» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن أبى النضر هاشم بن القاسم وأخرجه البخارى ومسلم جميعاً عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضاً عن محمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً وأخرجه أبوعوانة عن الحرث ابن أبي أسامة عن أبى النضر به *

﴿ الحديث العاشر ﴾ وبه الى الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله هو ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة ومسلم أيضاً وابن ماجه عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً *

﴿ الحديث الحادى عشر ﴾ أنبأنا أبوهريرة عبدالرحمن بن الحافظ أبى عبدالله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي اجازة أذن في كتابتها لنا غير مرة عن القاسم بن مظفر بن عساكر وأبى نصر بن الشيرازى سماعاً عليهما ح وقرأت على أم الحسن فاطمة بنت محمد بن احمد بن عثمان بدمشق عن أبي الفضل بن قدامة قالوا أخبرنا محمد بن عبد الواحد المدينى اجازة مكاتبة أخبرنا اسماعيل بن على الحمامي أخبرنا أبومسلم محمد بن على النحوى حدثنا أبوبكر محمد بن ابراهيم بن على بن عاصم المقرى ح أخبرنا أبوهريرة بن الذهبي اجازة من دمشق وقرأت على أبى الحسن على بن محمد بن أبي المجد بالقاهرة أن أبا القاسم بن مظفر بن عساكر أخبرهم قال الاول سماعاً عليه وأنا أسمع في الرابعة واجازة أخبرنا أبوبكر محمد ابن عبيدالله بن الزغوانى في كتابه أخبرنا أبوالقاسم على بن احمد البسرى أخبرنا

أبو طاهر محمد بن عبدالعزيز البغوي حدثنا كامل بن طلحة حدثنا الليث بن سعد عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أباهريرة رضى الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم «فقال بينا أنا نائم رأيتنى في الجنة فاذا أنا بامرأة تتوضأ الى جانب قصر فقلت لمن هذا القصر قالت لعمر بن الخطاب فذكرت غيرتك فوليت مدبراً قال أبوهريرة فبكى عمر وقال بأبى وأمى عليك أغار» هذا حديث صحيح أخرجه البخاري عن سعيد بن أبي مريم وسعيد بن كثير بن عفير ويحيي بن عبدالله بن بكير واخرجه ابن ماجه عن محمد ابن الحرث البصرى كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً*

﴿* الحديث الثانى عشر *﴾ قرأت على أبى عبدالله محمد بن بهادر المسعودى عن احمد بن أبى طالب بن الشحنة سماعاً أن عبـدالله بن عمر بن على أخبرهم أخبرنا عبدالاول بن عيسى أخبرنا محمد بن عبدالعزيز أخبرنا عبدالرحمن بن احمد أخبرنا عبدالله بن محمد حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن أبى الزبير المكي عن جابر بن عبدالله الانصارى قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل ممن بايع تحت الشجرة النار» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن يونس بن محمد وحجين بن المثنى وأخرجه ابوداود والترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة وأبوداود أيضا عن يزيد بن خالد بن موهب كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿* الحديث الثالث عشر *﴾ وبه الى الليث عن أبى الزبير عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا كان يتصدق بالنبل في المسجد أن لايمر بها الا وهو آخذ بنصولها» هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن حجين بن المثنى ويونس بن محمد وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن رمح كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الرابع عشر ﴾ وبه الى أبي الجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «خير ما ركبت اليه الرواحل مسجدى هذا والبيت العتيق » هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن حجين بن المثنى ويونس بن محمد وأخرجه النسائى عن قتيبة ثلاثتهم عن الليث وأخرجه الطبراني في الاوسط عن احمد بن علىّ الأبار عن أبي الجهم العلاء بن موسى فوقع لنا بدلا عاليا قال الطبرانى لم يروه عن الليث الا العلاء بن موسى *

(قلت) ورواية احمد والنسائى واردة عليه وقد رواه أيضا عبدالله بن يزيد المقرى عن الليث رويناه فى الجزء الاول من فوائد أبي يحيى بن أبي مصرة فهؤلاء الاربعة رووه عن الليث غير أبي الجهم :

﴿ الحديث الخامس عشر ﴾ وبه الى الليث عن أبي الزبير عن جابر قال جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقعد قبل أن يصل «فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاركعهما» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث السادس عشر ﴾ أخبرنا أبوبكر بن احمد بن عبد الهادى وأبوهريرة الذهبي اجازة مكاتبة قالا أخبرنا عيسى بن عبدالرحمن المطعم ح وأخبرنا علي بن محمد الخطيب فيما قرأت عليه عن التقى سليمان بن حمزة بن أبي عمر قالا أخبرنا أبو المنجا بن الليثي أخبرنا أبوالقاسم سعيد بن احمد بن البنا. اخبرنا أبو نصر الزينبي أخبرنا أبوبكر محمد بن عمر الوراق حدثنا أبوبكر بن داود حدثنا عيسى حدثنا الليث عن سعيد المقبرى يعنى أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال في الجنة شجرة يسير الراكب في

ظلها مائة سنة» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والترمذي والنسائى كلهم عن قتيبة عن الليث عن سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبرى عن ابيه عن أبى هريرة فوقع لنا بدلا عاليا وسقط من أصل سماعنا قوله في السند عن أبيه ولا بد منه والله اعلم

﴿ الحديث السابع عشر ﴾ وبالسند الماضى الى أبى الجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر الانصاري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من رآنى فى المنام فقد رآنى فانه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل في صورتى » هذا حديث صحيح اخرجه احمد عن يونس بن محمد وحجين بن المثنى وأخرجه مسلم عن قتيبة بن سعيد ومحمد بن رمح كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الثامن عشر ﴾ وبه الى أبى الجهم أخبرنا الليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احتلم أحدكم فلا يخبر الناس بتلاعب الشيطان به فى المنام » وبه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاعرابى جاءه انى حلمت ان رأسى قطع وأنا أتبعه فزجره النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا تخبر بتلاعب الشيطان بك في المنام» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح واخرجه النسائي عن قتيبة وابن ماجه عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث التاسع عشر ﴾ وبه الى أبي الجهم حدثنا الليث عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا رأى احدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه » هذا حديث صحيح اخرجه مسلم وابو داود والنسائى عن قتيبة وابو داود أيضا عن يزيد بن خالد ومسلم أيضا وابن ماجه عن محمد بن رمح خمستهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث العشرون ﴾ وبه الى أبي الجهم قال حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر «ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ام مبشر الانصارية فى نخل لها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم من غرس هذا النخل أمسلم ام كافر فقالت بل مسلم فقال لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعا فيأكل منه انسان ولا دابة ولا شيء الا كان له صدقة» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الحادى والعشرون ﴾ قرأت على فاطمة بنت محمد بن عبد الهادى المقدسية بصالحية دمشق عن أبي نصر محمد بن العماد محمد بن محمد الشيرازى أن محمود بن ابراهيم كتب اليهم أخبرنا مسعود بن الحسن الثقفي أخبرنا أبو عمر عبد الوهاب بن ابي عبد الله بن منده سماعا عليه أخبرنا ابو الحسن احمد بن محمد بن عمر الخفاف اجازة حدثنا ابو العباس محمد بن اسحاق السراج حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا الليث عن أبى الزبير عن جابر وعن سعيد بن جبير وطاوس عن ابن عباس انه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن وكان يقول التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وابو داود والترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة واخرجه ابن ماجه عن بن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً *

﴿ الحديث الثانى والعشرون ﴾ وبهذا الاسناد الى السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن عجلان عن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبى السائب مولى هشام بن زهرة عن أبى هريرة أنه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما رجل صلى صلاة بغير قراءة فهي خداج فهي خداج غير تمام قال قلت اني

لاأستطيع أن اقرأ مع الامام قال اقرأ في نفسك فان الله عز وجل يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فأولها لي وأوسطها بيني وبين عبدي وآخرها لعبدي وله ما سأل قال الحمد لله رب العالمين قال حمدني عبدي قال الرحمن الرحيم قال أثنى عليّ عبدي قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي قال اياك نعبد وإياك نستعين قال اخلص العبادة لي واستعانني عليها فهذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذا له وله ما سأل» هذا حديث صحيح اخرجه احمد ومسلم واصحاب السنن الثلاثة من طرق العلاء بن عبد الرحمن ابن يعقوب مولى الحرقة عن ابى السائب مولى هشام بن زهرة عن أبي هريرة ومنهم من قال عن ابيه وأبي السائب به *

﴿ الحديث الثالث والعشرون ﴾ وبه الى السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن ابن شهاب عن أنس «قال خر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرس فجحش فصلى بنا قاعداً فصلينا معه قعوداً ثم انصرف فقال انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا واذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً أجمعون» هذا حديث صحيح اخرجه البخارى ومسلم والترمذي عن قتيبة عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الرابع والعشرون ﴾ وبه الى السراج حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابى الزبير عن جابر انه قال «اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلينا وراءه وهو قاعد وابو بكر يكبر يسمع الناس تكبيره قال فالتفت الينا فرآنا قياما فأشار الينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعوداً فلما سلم قال ان كدتم آنفا لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا ائتموا بأئمتكم ان صلى قائما فصلوا قياما وان صلى قاعداً فصلوا قعوداً» هذا حديث صحيح اخرجه مسلم وابو داود والنسائى عن قتيبة عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الخامس والعشرون ﴾ اخبرنى الشيخ ابو اسحاق التنوخي اخبرنا ابو العباس الصالحي اخبرنا ابو المنجا الليثى اخبرنا ابوالوقت اخبرنا ابوعبدالله الفارسى اخبرنا ابومحمد الشريحي اخبرنا ابو القاسم البغوي حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث عن نافع ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان يقول «من صلى من الليل فليجعل آخر صلاته وتراً فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بذلك» هذا حديث صحيح اخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة واخرجه مسلم ايضا عن محمد ابن رمح كلاهما من الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث السادس والعشرون ﴾ وبه الي العلاء بن موسى حدثنا الليث ابن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر انه ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء «فقال صلى الله عليه وسلم كان يوما تصومه اهل الجاهلية فمن احب منكم ان يصومه فليصمه ومن كرهه فليدعه» هذا حديث صحيح اخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة واخرجه مسلم ايضا وابن ماجه عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث السابع والعشرون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وعمر يحلف بأبيه فناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله والا فليصمت» هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم عن قتيبة زاد مسلم ومحمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً *

﴿ الحديث الثامن والعشرون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أيما مملوك كان بين شركاء فأعتق أحدهم نصيبه فانه يقوم في مال الذى يعتق قيمة عدل فيعتق ان بلغ ذلك ماله» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن أبى النضر هاشم بن القاسم وأخرجه مسلم والنسائي عن

قتيبة زاد مسلم ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وعلقه البخاري لليث *

﴿ الحديث التاسع والعشرون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن ابراهيم بن عبد الله بن معبد عن ابن عباس أن امرأة اشتكت شكوى فنذرت ان شفاني الله لاخرجن ولاصلين في بيت المقدس فبرئت وصحت وتجهزت تريد الخروج فلما أتت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرتها بذلك فقالت انطلقي وكلي ما صنعت وصلي في مسجد الرسول فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا مسجد الكعبة» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضاً عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه الطحاوي من طريق ابن وهب عن الليث واخرجه النسائي من رواية ابن جريج فأدخل بين ابراهيم وميمونة رجلا قال سمعت نافعا يحدث عن ابراهيم بن عبد الله بن معبد أنه حدثه ان ابن عباس حدثه ان ميمونة قالت هكذا أخرجه النسائي من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج وأخرجه احمد من طريق ابن المبارك عن ابن جريج كما قال الليث والله أعلم *

﴿ الحديث الثلاثون ﴾ قرأت على فاطمة بنت المنجا عن سليمان بن حمزة أن محمد بن عماد كتب اليهم أخبرنا القاسم بن أبي شريك إذنا وهو آخر من حدث عنه مطلقا أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن المنقور حدثنا أبو القاسم عيسى بن الجراح قال قرىء على أبي بكر بن أبي داود وسليمان بن الاشعث السجستاني وأنا أسمع في سنة ٣١٢ اثنتي عشرة وثلثمائة قيل له حدثكم عيسى ابن حماد قال أخبرنا الليث عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عن أبيه عن عائشة قالت « طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحرمه وحله» هذا حديث صحيح أخرجه باللفظ الاول النسائي عن قتيبة وابن ماجه عن

محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً وأخرجه احمد باللفظ الاول بمعناه من طريق الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم بسنده باللفظ الثاني

﴿ الحديث الحادي والثلاثون ﴾ أخبرني ابن بهادر المسعودي وزينب بنت العماد بن جعوان وابراهيم بن احمد القارىء بقراءتي عليهم متفرقين كلهم عن احمد بن الشحنة سماعا أخبرنا أبو المنجا بن الليثي أخبرنا عبد الاول بن عيسى أخبرنا محمد بن عبد العزيز أخبرنا عبدالرحمن بن احمد أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث عن نافع أن عبد الله بن عمر طلق امرأة له وهي حائض تطليقة واحدة فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض عنده حيضة أخرى ثم يمهلها حتى تطهر من حيضها فان أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء وكان عبد الله بن عمر اذا سئل عن ذلك قال أما أنت ان طلقت امرأتك تطليقة أو تطليقتين فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بهذا فان كنت طلقتها ثلاثا فقد حرمت عليك حتى تنكح زوجا غيرك وعصيت الله تعالى فيما أمرك من طلاق إمرأتك هذا حديث صحيح اخرجه احمد عن ابي النضر هاشم بن القاسم واخرجه البخاري ومسلم وابو داود عن قتيبة زاد مسلم ويحيي بن يحيي ومحمد بن رمح اربعتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وزاد مسلم في رواية عن محمد بن رمح القصة الاخيرة وعلقها البخاري فقال وقال الليث واخرجه الدارقطني بمامه عن البغوي فوقع لنا موافقة عالية *

﴿ الحديث الثاني والثلاثون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ان عمر بن الخطاب سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم «ايرقد احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ احدكم فليرقد» هذا حديث صحيح اخرجه البخاري عن قتيبة عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا*

﴿ الحديث الثالث والثلاثون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال « سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل الضب فقال لا آكله ولا احرمه » هذا حديث صحيح اخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد ابن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا *

﴿ الحديث الرابع والثلاثون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يبع بعضكم على بيع بعض » وبه قال « رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه » هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن يونس بن محمد وأخرجه مسلم والترمذى والنسائي عن قتيبة زاد مسلم ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث جمعهما مسلم والترمذى وفرقهما النسائي واقتصر احمد على الاول فوقع لنا بدلا عالياً *

﴿ الحديث الخامس والثلاثون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما « ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع حبل الحبلة » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضاً عن يحيى بن يحيي ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً *

﴿ الحديث السادس والثلاثون ﴾ قرأت على أم الحسن التنوخية عن أبى الفضل بن أبى الطاهر وهي آخر من حدث عنه مطلقاً أخبرنا محمد بن عماد الحرانى في كتابه وهو آخر من حدث عنه عن أبى القاسم هبة الله بن الحسين الحاسب وهو آخر من حدث عنه أخبرنا أبو الحسين أحمد بن المنقور البزار وهو اخر من حدث عنه بالسماع حدثنا أبو القاسم عيسى بن على بن عيسى بن داود حدثنا عبدالله بن سليمان املاء حدثنا عيسى بن حماد أخبرنا الليث عن سعيد المقبرى عن أبيه ان أباهريرة قال « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة مسلمة تسافر مسيرة ليلة الا ومعها رجل ذو محرم منها » هذا حديث صحيح

أخرجه مسلم وأبوداود عن قتيبة عن الليث وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن عمر بن محمد الهمدانى عن عيسى بن حماد فوقع لنا بدلا عاليا : وأخرجه البخارى من رواية ابن أبي ذئب عن سعيد عن أبيه كذلك واختلف على مالك فيه فأخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى عنه عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة لم يقل عن أبيه وفي بعض النسخ عن أبيه وحكى أبو داود الاختلاف فيه والا كثر لم يقولوا عن أبيه

﴿ الحديث السابع والثلاثون ﴾ قرأت على أبى محمد عمر بن محمد بن احمد ابن سليمان البالسى ثم الصالحي بها عن زينب بنت احمد بن عبدالرحيم المقدسية سماعًا عن عبدالخالق بن الانجب الماردينى أخبرنا أبو بكر وجيه بن طاهر الشحامى ح وأخبرنا عبدالرحمن بن محمد الفارقى اجازة عن احمد بن نعمة سماعا أخبرنا داود بن معمر بن الفاخر عموما قال قرىء على فاطمة بنت محمد البغدادية ونحن نسمع كلاهما عن أبى عثمان سعيد العيار سماعا أخبرنا أبو محمد الحسن بن احمد المجلدى حدثنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن عقيل عن الزهرى عن سالم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن أخيه كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة» هذا حديث صحيح أخرجه البخارى عن يحيي بن بكير عن الليث فوقع لنا بدلا عاليًا وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي أربعتهم عن قتيبة عن الليث فوقع لنا موافقة عالية للجميع *

﴿ الحديث الثامن والثلاثون ﴾ وبه الى السراج حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه قال لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح من البيت الا الركنين اليمانيين : هذا حديث صحيح أخرجه البخارى وأبو داود جيعا عن أبي الوليد الطيالسى ومسلم عن يحيي بن يحيي كلاهما عن الليث فوقع

لنا بدلا عاليا وأخرجه مسلم أيضاً والنسائى عن قتيبة فوافقناهما فيه بعلوّ وهذا من الامثلة التى قدمت الاشارة اليـه في آخر الترجمة أن الليث كان يحدث عن بعض شيوخه ثم يحدث عنه بواسطة فقد حدث في هذا عن ابن شهاب وحدث في الذى قبله عن عقيل عن الزهرى وهو ابن شهاب و كلا الحديثين صحيحان والله تعالى أعلم

﴿ الحديث التاسع والثلاثون ﴾ وبه الى السراج حدثنا قتيبة حدثنا الليث وبكر بن مضمر كلاهما عن ابن الهاد هو يزيد بن عبد الله بن أسامة عن محمد ابن ابراهيم التيمي عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن أبى هريرة رضى الله عنه« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل كل يوم منه خمس مرات هل يبقى من درنه شىء قالوا لا يا رسول الله قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والترمذى عن قتيبة بن سعيد فوقع لنا موافقة عالية *

﴿ الحديث الاربعون ﴾ قرأت على الشيخ ابى إسحق التنوخى ان احمد ابن أبي طالب أخبرهم سماعا أخبرنا عبـد الله بن عمر أخبرنا أبو الوقت أخبرنا عبد الله الفارسى أخبرنا أبو محمد الشريحى أخبرنا أبو القاسم البغوى حدثنا أبو الجهم الباهلى حدثنا الليث عن هشام بن عروة عن عروة عن المسور بن مخرمة أن سبيعة الاسلمية توفي عنها زوجها وهي حبلى فلم تلبث الا ليالى حتى وضعت فلما حلت خطبت فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النكاح حين وضعت فأذن لها فنكحت: هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم من طريق مطولا ومختصراً من حديث سبيعة الاسلمية وأخرجه النسائى عن محمد بن وهب الحرانى عن محمد ابن سلمة الحرانى عن أبى عبد الرحمن خالد بن يزيد الحراني عن زيد بن أبي أنيسة عن يزيد بن أبى حبيب عن الزهرى عن عبد الله بن عبد الله بن عبيد عن زفر بن

أوس بن الحدثان عن أبى السنابل عن سبيعة وباعتبار العدد كأن شيخاً سمعه من النسائي وصافحه وبين وفاتيهما أربعمائة سنة الا يسيراً وهذا في غاية العلو

أنشدنا العلامة أبو إسحق ابراهيم بن احمد بن عبد الواحد فيما قرىء عليه ونحن نسمع عن الشهاب أبى الثناء محمود بن سليمان قال أنشدنا العلامة مجد الدين محمد بن احمد بن الظهير لنفسه

أهل الحديث فلذ بهم ... أعلا الورى قدراً وأغلا
نقلوا لنا سنن الرسو ... ل وأحسنوا عدلا فعدلا
جابوا لسعيهم لذا ... لك حسبة حزناً وسهلا
وسروا كما تسري النجو ... م فأرشدوا من كان ضلا
آيات فضلهم المبين ... ن بألسن الحساد تتلا

أنشدنا الشيخ أبو إسحق التنوخى أنشدنا يحيى بن فضل الله العدوى أنشدنا القاضى أبو الفضل يحيى بن محمد القرشى لنفسه اجازة

الهى ان عفوت ففضل جود ... وان عاقبت قد أوسعت فضلا
فقد خولتنى نعما جساما ... ولم أك ما علمت لذاك أهلا
ولم يمنعك تقصيرى وجهلى ... وشر صنائعي قولا وفعلا
من الاحسان بدأ ثم عوداً ... مع الانفاس اسعافا وفضلا
فتممها بمغفرة بعفو ... ذنوباً جئتها خطأً وجهلا

وأنشد الشيخ أبو إسحق قال أنشدنا يحيى بن فضل الله قال أنشدنا أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الانصارى شيخ الشيوخ بحماه اجازة وكتبها عنه الحافظ الدمياطى رحمهم الله تعالى فقال

لا تغفلن أحاديث الرسول ولا ... تهمل تتبعها معنى وألفاظا
وعد عمن تعداها وضيعها ... واجعل صحابك طلابا وحفاظا

ولا تغيضن في علم يخالفها فهي النجاة لراويها اذا فاظا

انتهى ما جمعه الامام الحافظ أبو الفضل شهاب الدين احمد بن على بن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى وقال فى آخره ما صورته: علقه احمد بن على بن حجر في يومين آخرهما الثالث عشر من شعبان سنة أربع وثلاثين وثمانمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل

وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه
وسلم

مما أنشده الامام العلامة الحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلانى فى مرضه الذى توفى فيه هذه الابيات

قرب الرحيل الى ديار الآخره فاجعل إلهي خير عمرى آخره
وارحم مبيتى فى القبور ووحدتى وارحم عظامي حين تبقى ناخره
فأنا المسيكين الذى أيامه جاءت بأوزار غدت متواتره
فلئن رحمت فأنت أكرم راحم وبحار جودك يا إلهي زاخره



كتاب شرح الصدر

بذكر ليلة القدر

﴿ تأليف الشيخ الامام العالم العلامة ﴾

﴿ ولي الدين بن الحافظ الزين العراقى عليه الرحمة ﴾



الحمد لله الذي نطقت بشكره الالسنة * وجل عن أن يأخذه نوم أو سنة * وفضل أزمنة كما فضل أمكنة * فجعل ليله القدر خيراً من ثلاث وثمانين سنة * فقال تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليـلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر * سلام هى حتى مطلع الفجر)[1] *

قال المفسرون ان الضمير في أنزلناه عائد على القرآن الكريم (٢) وان لم يتقدم ذكره لدلالة المعنى عليه كما قال تعالى (حتى توارت بالحجاب)[2] ولم يتقدم للشمس ذكر ثم اختلفوا فقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وجماعة آخرون أنزل الله تعالى القرآن ليلة القدر إلى سماء الدنيا جملة واحدة ثم نجمه على محمد عليه الصلاة والسلام فى عشرين سنة فذلك قوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم)[3]

(٢) هذا قول الجمهور وادعى الامام الرازى في تفسيره انه اجماع المفسرين : ولعله لم يعتد بقول من قال منهم ان الضمير راجع لجبريل عليه السلام و غيره لضعفه : والله اعلم

١ ـ سورة القدر

٢ ـ صٓ ٣٢

٣ ـ الواقعة ٧٥

وقال الشعبي وجماعة انا ابتدأنا إنزال هذا القرآن اليك ليلة القدر ويؤيده ما ذكره جماعة ان ابتداء مجيء جبريل الى النبي عليه الصلاة والسلام كان في رمضان قيل في سابعه وقيل في سابع عشره * ومنهم من قال ابتداء مجيئه اليه في شهر رجب * ومنهم من قال في ربيع الاول : وقيل في هذه الآية انما جعل الانزال من رمضان لان جبريل كان يعارض النبي عليها الصلاة والسلام بالقرآن فيمحو الله ما يشاء ويثبت * وقال جماعة المعنى انزلنا هذه السورة في شأن ليلة القدر وفضلها فجعلوا في للسببية كقول عمر رضى الله عنه ليلة نزول سورة الفتح لقد خشيت ان ينزل فيّ قرآن * وقول عائشة رضى الله عنها في قصة الافك لانا احقر في نفسي من ان ينزل فيّ قرآن : قالوا ولما كانت سورة من القرآن جاء الضمير للقرآن تفخيما وتجسيما كقوله تعالى (وما أدراك ما ليلة القدر) عبارة تفخيم لها كقوله تعالى (الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة)[1] وقوله (القارعة ما القارعة)[2] ثم ادراه تعالى بعد بقوله تعالى (ليلة القدر خير من الف شهر) * وقد ذكر البخاري في صحيحه عن سفيان بن عيينة انه قال ما كان في القرآن ما ادراك فقد اعلمه وما قال وما يدريك فانه لم يعلمه[(1)] *

وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها ليلة القدر على اقوال أحدها انها سميت بذلك لان الله تعالى يقدر فيها الارزاق والآجال وحوادث العالم كلها ويدفع ذلك الى الملائكة لتمتثله كما قال تعالى (فيها يفرق كل امر حكيم)[3] روى ذلك عن ابن عباس وقتادة وغيرهما وعزاه النووي للعلماء : ومعناه انه يظهر للملائكة والا فتقدير الله تعالى قديم * ثانيها ان هذا من عظم القدر والشرف والشأن كما تقول فلان له قدر : روى عن الزهري * ثالثها سميت بذلك لانها تكسب من أحياها قدراً عظيما لم يكن له قبل ذلك وتزيده شرفاً عند الله تعالى * رابعها

١ ـ الحاقة ١ـ٣
٢ ـ القارعة ١ـ٢
٣ ـ الدخان ٤

(١) قال الحافظ في الفتح ومقصود ابن عيينة انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف تعيين ليلة القدر : وقد تعقب هذا الحصر بقوله تعالى (لعله يزكى) فانها نزلت في ابن أم مكتوم وقد علم صلى الله عليه وآله وسلم بحاله وانه ممن تزكي ونفعته الذكرى:

لان العمل فيها له قدر عظيم : وقد خص الله تعالى هذه الامة بهذه الليلة

واختلف في سبب ذلك فروى مالك فيالموطأ عمن يثق بقوله من أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله[١] أو ماشاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لايبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من الف شهر» وروى الترمذى في جامعه عن يوسف بن سعد قال « قام رجل الى الحسن بن على بعد مابايع معاوية فقال سودت وجوه المؤمنين أو يامسود وجوه المؤمنين فقال لاتؤذنى رحمك الله فان النبي صلى الله عليه وسلم أرى بنى أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت (انا أعطيناك الكوثر)[١] يعنى نهراً في الجنة ونزلت (انا انزلناه في ليلة القدر وماادراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر)[٢] يملكها بعدك بنو أمية يامحمد قال القاسم بن الفضل أحد رواته فعددناها فاذا هى الف شهر لاتنقص يوماً ولاتزيد يوماً[٢] قلت نعم كان من سنة الجماعة الى قتل مروان الجعدي آخر ملوك بنى أمية هذا القدر أعنى الف شهر وهي ثمانون سنة وثلاثة أعوام وثلث عام» وقال الترمذي هذا حديث غريب[٣]

١ - سورة الكوثر ١

٢ - سورة القدر ١ - ٢

قوله (تنزل الملائكة والروح) فقيل هو جبريل عليه السلام وقيل هم صنف من

---

(١) قال الباجى فى شرح هذا الحديث: يحتمل ان يريد انه رأى اعمار سائر الامم أطول فخاف ان لاتبلغ امته من العمل فى قصر اعمارها ما بلغه غيرها من الامم فى طول اعمارها فتفضل الله تبارك وتعالى على هذه الامة بليلة القدر وهى تقتضى اختصاص هذه الامة بهذه الليله : والله اعلم

(٢) فى الاصل المنقول منه ما نصه فائدة نقل عن الخليل بن احمد انه قال القدر هو الضيق لانها ليلة تضيق فيها الارض عن الملايكة الذين ينزلون وهذا قول خامس كذا بالهامش

(٣) وطعن القاضى عبد الجبار فى كون الاية اشارة لما ذكر بان ايام بنى امية كانت مذمومة اى باعتبار الغالب فيبعد ان يقال في شأن تلك الليله انها خير من الف شهر مذمومة

الم تر ان السيف ينقص قدره * اذا قيل ان السيف خير من العصا

اجيب بان تلك الايام كانت عظيمة بحسب السعادات الدنيوية :

الملائكة وعلى كلا القولين هو عطف خاص على عام وقيل هم صنف من الخلق سماوى حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على بنى آدم وهم على صفة بنى آدم ولا تراهم الملائكة

وقوله «باذن ربهم» الى آخره من قال ان الارزاق تقدر في هذه الليلة جعل نزول الملائكة بسبب ذلك وجعل من سببية التقدير تنزل الملائكة بسبب كل أمر وجعل سلام هى ابتداء كلام اى هي سلام الى طلوع فجر يومها: ومن لم يقل بتقدير الارزاق في هذه الليلة جعل قوله (من كل امر) متعلقاً بقوله سلام اى انها سلام أى سلامة من كل امر * قال مجاهد لا يصيب احداً بها داء: وقال الشعبي ومنصور هي سلام بمعنى التحية اى تسلم فيها الملائكة على المؤمنين: وهذه الآيات مصرحة بشرفها ومنوهة باسمها وذكرها وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) وفي سنن النسائى الكبرى (وما تأخر) وكذا في مسند احمد ومعجم الطبرانى من حديث عبادة «وما تأخر» وسيأتي ذكره وهذه فضيلة عظيمة حاضة على طلبها *

وقد أجمع من يعتد به من العلماء على بقائها وأنها لم ترفع بل هى باقية الى آخر الدهر قال القاضى عياض رحمه الله وشك قوم فقالوا رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان «فرفعت» وهذا غلط من هؤلاء الشاكين لان آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال «فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في السبع او التسع» هكذا هو فى اول صحيح البخاري (١) وفيه تصريح المراد برفعها رفع بيان علم عينها ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها * قلت وحكاه ابن عطية عن ابى حنيفة وقوم اعنى القول برفعها قال وهذا قول مردود وانما رفع تعيينها انتهى

(١) هكذا الاصل وليس كذلك ولعله في أول باب ليلة القدر في صحيح البخارى

وقد اختلف العلماء في محلها فذهب جمع من العلماء الى أنها تلزم ليلة بعينها واختلف هؤلاء في تعيين تلك الليلة على اقوال احدها أنها في جميع السنة وهو المشهور عن ابي حنيفة رضى الله عنه ويشهد له قول عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ومن يقم الحول يصبها لكن في صحيح مسلم عن زر ابن حبيش قال سألت أبي بن كعب فقلت ان أخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصيب ليلة القدر فقال رحمه الله أراد أن لا يغفل الناس أما انه قد علم أنها فى رمضان وأنها في العشر الاواخر وأنها ليلة سبع وعشرين فبهذا فهم أبى من كلام عبدالله » ويشهد له ما في مسند احمد عن أبى عقرب قال «غدوت الى ابن مسعود ذات غداة في رمضان فوجدته فوق بيت جالساً فسمعنا صوته وهو يقول صدق الله وبلغ رسوله فقلنا سمعناك تقول صدق الله وبلغ رسوله فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر في السبع الاواخر تطلع الشمس غداة غدها صافية ليس لها شعاع فنظرت فوجدتها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم» ورواه البزار في مسنده بنحوه: وفي معجم الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال أيكم يذكر ليلة القدر الصهباوات فقال عبدالله أنا بأبى أنت وأمى يارسول الله حين طلع الفجر وذلك ليلة سبع وعشرين » والحديث في عدة كتب لكن لم أر التصريح بليلة سبع وعشرين الا في معجم الطبرانى الكبير فلذلك اقتصرت على عزوه اليه :

الثانى أنها في شهر رمضان كله وهو قول ابن عمر رضى الله عنهما وجماعة من الصحابة : وفي سنن أبى داود عن ابن عمر قال «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وأنا أسمع قال هي في كل رمضان » قال قال أبو داود وروى موقوفاً عليه قلت الحديث محتمل للتأويل بأن يكون المعنى بأنها تتكرر وتوجد في كل سنة في رمضان لانها وجدت مرة في الدهر فلا يكون له دليل لهذا القول:

الثالث انها أول ليلة من شهر رمضان قاله ابو رزين العقيلي الصحابى رضى الله عنـــه

الرابع أنها في العشر الاوسط والاواخر ويرده مافى الصحيح عن أبى سعيد من قول جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم لما أن اعتكف العشر الاوسط « ان الذى تطلب أمامك »

الخامس انها فى العشر الاواخر فقط ويدل له قول النبي صلى الله عليه وسلم «التمسوها فى العشر الأواخر» وقوله صلى الله عليه وسلم «انى أعتكف العشر الاول ألتمس هذه الليلة ثم ألتمس العشر الاوسط ثم أتيت قيل لى انها في العشر الأواخر»

السادس أنها تختص بأوتار العشر الأواخر لقوله صلى الله عليـه وسلم « التمسوها في العشر الاواخر في وتر» وفي مسند احمد ومعجم الطبرانى الكبير عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فالتمسوها في العشر الاواخر فانها في وتر في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة فمن قامها ابتغاها إيمانا واحتساباً ثم وفقت له غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » فيـه عبد الله بن محمد بن عقيل وحديثه حسن يرويه عمر بن عبد الرحمن وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال ليس بابن عوف: وقال الطبرانى أظنه ابن الحارث بن هشام * وفي هذا الحديث فائدتان حسنتان احداهما قوله وما تأخر وقد تقدم التنبيه عليها * الثانية انه انما يترتب الثواب على قيامها بقصد ابتغائها لا على مطلق القيـام : وفيه اشكال لقوله « أو آخر ليلة» لانه قال أولا فانهـا في وتر وآخر ليلة ليست وتراً ان كان الشهر كاملا وان كان ناقصا فهى ليلة تسع وعشرين فلا معنى لعطفهـا عليها لأن العطف يقتضى المغايرة * ويجاب عنه بأن قوله أو في آخر ليـلة معطوف

على قوله فانهـا في وتر لا على قوله أو تسع وعشرين فليس تفسيراً للوتر بل معطوف عليه

السابع انها تختص باشفاعه لقول أبي‌سعيد الخدرى «وقد قيل له ما التاسعة والسابعة والخامسة اما[١] واحد وعشرون فالتى تليها ثنتان وعشرون وهي التاسعة فاذا مضت ثلاث وعشرون فالتي‌تليها السابعة فاذا مضت‌خمس وعشرون فالتى تليها الخامسة

الثامن انها ليـلة سبع عشرة وهو مروي عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضاً * ففى معجم الطبراني عن زيد بن أرقم قال ما أشك وما امترى انها ليلة سبع عشرة ليلة أنزل القرآن ويوم التقى الجمعان[٢] * وعن‌زيد بن‌ثابت انه كان يحيي ليلة سبع عشرة فقيل له تحيي ليلة سبع عشرة قال ان فيها نزل القرآن وفي صبيحتها فرق بين الحق والباطل وكان يصبح فيهـا مبتهج الوجه قلت : وحكى أيضاً عن الحسن البصري

التاسع انها ليلة تسع عشرة وهو محكى عن على بن أبى طالب وابن مسعود أيضـا[٣]

العاشر انها تطلب ليلة سبع عشرة بتقديم السين أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين حكى عن على وابن مسعود أيضاً ويشهد له ما في‌سنن أبى داود عن ابن مسعود رضي الله عنه قال « قال لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم فى ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع عشرة من رمضان وليـلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت » والله أعلم

---

(١) أقول رواية ابي سعيد فى صحيح مسلم ليس فيها أما ونصها هكذا قال‌قلت ما التاسعة والسابعة والخامسةقال اذا مضت واحدة وعشرون فالتي تليها الخ ما ذكر هنا : تنبه

(٢) ورواه ابن أبي‌شيبة عن زيد بن‌أرقم : وأخرجه أبو داود أيضاً عن‌ابن‌مسعود:

(٣) قال الحافظ فى الفتح رواه عبد الرزاق عن‌على وعزاه الطبرى لزيد بن ثابت وابن مسعود ووصله الطحاوى عن ابن مسعود :

الحادى عشر أنها ليلة احدى وعشرين يدل له حديث أبى سعيد الثابت في الصحيح الذي فيه وانى رأيتها ليلة وترو انى أسجد فى صبيحتها في ماء وطين فأصبح من ليلة إحدى وعشرين وقد قام الى الصبح فمطرت السماء فوكف المسجد فأبصرت الطين والماء فخرج حين فرغ من صلاته وجبينه وأنفه فيهما الماء والطين واذا هي ليلة إحدى وعشرين من العشر الأواخر»

الثاني عشر انها ليلة ثلاث وعشرين وهو قول جمع كثير من الصحابة وغيرهم ويدل لها مافي صحيح مسلم عن عبد الله بن انيس « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت ليلة القدر ثم أنسيتها واذا في صبيحتها اسجد في ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف وان اثر الماء والطين على جبهته وانفه » وفي صحيح مسلم ايضاً عن أبى هريرة « قال تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يذكر ليلة طلع القمر وهو مثل شق جفنة[1] » وفي مسند احمد عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم « قال نظرت الى القمر صبيحة ليلة القدر فرأيته كأنه فلق جفنة » قال ابو اسحق السبيعي انما يكون القمر كذلك صبيحة ثلاث وعشرين: ورواه عبد الله بن احمد في زياداته عن على قال « قال النبي صلى الله عليه وسلم خرجت ليلة حين بزغ القمر كأنه فلق جفنة فقال الليلة ليلة القدر » وكذا رواه ابو يعلى الموصلي في مسنده مرفوعا: وفيه ان الصحابى هو على رضى الله عنه * وفي سنن أبى داود عن عبد الله بن انيس قال قلت « يارسول الله ان لى بادية أكون فيها واصلى فيها بحمد الله فمرنى بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين» وروى الطبرانى في معجمه الكبير مثله عن عبد الله بن جحش

---

(١) الشق بكسر الشين النصف والجفنة بفتح الجيم وسكون الفاء اناء معروف كالقصعة وهو اشارة الى أنها موجودة متحققة الرؤية :

عن ابيه مرفوعا : وفي مسند احمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اتيت وانا نائم في رمضان فقيل لى ان الليلة ليلة القـــدر قال فقمت وانا ناعس فتعلقت ببعض أطناب النبي صلى الله عليه وسلم فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يصلي فنظرت في تلك الليلة فاذا هى ليـلة ثلاث وعشرين » ورجاله رجال الصحيح * ورواه الطبرانى فى معجمه الكبير ايضا

الثالث عشر انها ليلة اربع وعشرين وهو مروى عن بلال وابن عباس والحسن وقتادة : وفي صحيح البخارى عن ابن عباس موقوفا عليه « التمسوها ليلة القدر فى اربع وعشرين » ذكره عقب حديثه الآتى « هي فى العشر في سبع يمضين أو في سبع بقين » : وظاهره انه تفسير للحديث فيكون عمدة * وفي مسند احمد عن بلال « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر ليلة اربع وعشرين »

الرابع عشر انها تكون في ليلة ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين وهو محكي عن ابن عباس رضى الله عنه ويدل له مافي صحيح البخاى عن ابن عباس « قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في العشر في سبع يمضين أو سبع يقين يعنى ليلة القدر » * ومافى مسند البزار باسناد جيد عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال « سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال كنت أعلمتها ثم انفلتت منى اطلبوها في سبع بقين أو ثلاث بقين »

الخامس عشر انها ليلة سبع وعشرين وهذا عليه جمع كثيرون من الصحابة وغيرهم فكان أبى بن كعب رضي الله عنه يحلف لا يستثنى انها ليلة سبع وعشرين كما هو ثابت في الصحيح فقيل له بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر فقال بالعلامة أو بالآية التى أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع يومئذ لاشعاع لها * وفي سنن أبي داود عن معاوية رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر « قال ليلة سبع وعشرين » * وفي مسند احمد باسناد

على شرط الشيخين عن ابن عمر قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان متحريها فليتحراها ليلة سبع وعشرين وقال تحروها ليلة سبع وعشرين يعني القدر» ورواه الطبراني في معجمه الكبير : وفي معجم الطبراني الاوسط باسناد لا بأس به عن جابر بن سمرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التمسوا ليلة القدر ليلة سبع وعشرين » * واستدل ابن عباس على ذلك بأن الانسان خلق من سبع وجعل رزقه في سبع واستحسن ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه : واستدل بعضهم على ذلك بأن الله سبحانه وتعالى كرر ذكر ليلة القدر في السورة المتقدم ذكرها ثلاث مرات وعدد حروف ليلة القــدر تسعة أحرف والمرتفع من ضرب ثلاثة في تسعة سبع وعشرون فتكريرها ثلاثاً دون غيره اشارة الى ذلك : واستدل أيضاً بأن عدد كلمات السورة الى قوله هي سبع وعشرون كلمة : وفيه اشارة الى ذلك *

ونقل أبو محمد بن عطية في تفسيره نظير ذلك في قول بعضهم ان ملائكة النار الذين قال فيهم الله (عليها تسعة عشر) عددهم كعدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم لكل حرف ملك وهم يقولون في كل أفعالهم بسم الله الرحمن الرحيم فيها قوتهم واستغاثتهم: وفي قول بعضهم في عدد الملائكة الذين ابتدروا قول القائل ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه انها بضعة وثلاثون حرفاً فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها » قال ابن عطية وهذه من ملح التفسير وليست من متين العلم

السادس عشر انها في آخر ليلة من الشهر : وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن أنيس قال « كنت في مجلس بني سلمة وأنا أصغرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب وقمت بباب

بيته فمر بي فقال ادخل فدخلت فأتي بعشائه فلقد كنت أكف يدي عنه من قلته فلما فرغ قال ناولني نعلي فقام وقمت معه فلما خرجنا قال كانت لك حاجة فقلت أجل أرسلني اليك رهط من بني سلمة يسئلونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة قلت اثنتان وعشرون قال هي الليلة ثم رجع فقال أو القابلة يريد ليلة ثلاث وعشرين » * وفي جامع الترمذي عن أبي بكرة رضي الله عنه « قال ما أنا ملتمسها لشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الأواخر فاني سمعته يقول التمسوها لتسع بقين أو لسبع بقين أو خمس بقين أو ثلاث أو اخر ليلة » * قال ت حسن صحيح * وفي صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت « قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى رجلان فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة . » * وفي سنن أبي داود عن ابن عباس « ان النبي صلى الله عليه وسلم قال التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى » * وفي مسند احمد عن معاذ بن جبل « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ليلة القدر فقال هي في العشر الأواخر قم في الثالثة أو الخامسة » * وفي مسند احمد أيضاً باسناد جيد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر انها ليلة سابعة أو تاسعة عشرين ان الملائكة تلك الليلة في الارض اكثر من عدد النجوم » * وفي معجم الطبراني الاوسط عن أبي هريرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال التمسوا ليلة القدر في سبع عشرة أو تسع عشرة أو احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين » وفيه أبو المهزم ضعيف

وقد تضمنت هذه الاحاديث أقوالا في ليلة القدر لم أر أحداً من العلماء

صرح بالقول فيها فان عددناها فيكون في المسئلة اثنان وعشرون قولا تقدم بيان ستة عشر منها

السابع عشر ليلة اثنين وعشرين أو ثلاث وعشرين (١)

الثامن عشر ليلة احدى أو ثلاث أو خمس أو سبع وعشرين أو آخر ليلة:

التاسع عشر ليلة احدى أو ثلاث او خمس وعشرين دليله حديث عبادة المتقدم فان الظاهر ان المراد بالتاسعة تبقى لتقديمه التاسعة على السابعة وهي الخامسة.

العشرون ليلة ثلاث او خمس وعشرين دليله حديث معاذ المتقدم اذ الظاهر أن المراد قم في الثالثة بمعنى لتقديمه على الخامسة

الحادي والعشرون ليلة السابع او التاسع والعشرين

الثانى والعشرون انها في أوتار العشر الاخير أو في ليلة سبع عشرة أو تسع عشرة هذا كله تفريع على القول بأنها تلزم ليلة بعينها كما هو مذهب الشافعي والصحيح من مذهبه انها تختص بالعشر الاخير وانها في الاوتار ارجاها في الاشفاع وارجاها ليلة الحادى والعشرين والثالث والعشرين وهذا أيضاً يحسن أن يكون قولا في المسئلة فيكمل به الاقوال ثلاثة وعشرين قولا وتقدم قول من يرى أنها رفعت فيكون اربعة وعشرين قولا

وذهب جماعة من العلماء الى أنها تنتقل فتكون سنة في ليلة وسنة في ليلة أخرى وهكذا : وهذا قول مالك وسفيان الثورى واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وابى ثور وغيرهم وعزاه ابن عبد البر في الاستذكار للشافعي ولا نعرفه عنه ولكن قال به من أصحابه المزنى وابن خزيمة وهو المختار عند النووى وغيره للجمع بين الاحاديث الواردة في ذلك فانها اختلفت اختلافا لا يمكن معه الجمع بينها الا بما ذكرناه وبه يصير في المسئلة خمسة وعشرون قولا

---

(١) لحديث عبد الله بن أنيس عند احمد .

وذهب ابن حزم الظاهرى الى انحصارها في اوتار العشر الاخير لكن أول العشرين ليلة العشرين ان كان ناقصاً وليلة الحادي والعشرين ان كان تاماً فهي مترددة بين ليلة الحادى والعشرين ومابعدها من الاوتار ان تم الشهر وبين ليلة العشرين ومابعدها من الأشفاع ان نقص الشهر وهذا قول سادس وعشرون

واعلم ان ليلة القدر موجودة ويريها الله تعالى لمن شاء من بني آدم بحيث يتحققها: واخبار الصالحين برؤيتهم لها كثيرة ولا يلتفت الى قول المهلبة(٢) أى صغيرة لا يمكن رؤيتها حقيقة فانه غلط فاحش كما قاله النووى رحمه الله * وقال بعض العلماء اخفى الله هذه الليلة عن عباده كيلا يتكلوا على فضلها ويقصروا في غيرها فأراد منهم الجد في العمل ابداً فانهم لذلك خلقوا كما قال الله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وبهذا يصير في المسئلة سبعة وعشرين قولا *

ويدل لهذا القول مافى معجم الطبراني الكبير باسناد حسن عن عبد الله بن انيس انه قال « يارسول الله اخبرنى أى ليلة تبتغى فيها ليلة القدر فقال لو لا أن يترك الناس الصلاة الا تلك الليلة لاخبرتك » * وفي مسند البزار عن الاوزاعي حدثنى مرثد او ابو مرثد عن ابيه « قال لقيت أبا ذر عند الجمرة الوسطى فسألته عن ليلة القدر فقال ماكان احد باسأل لهذا مني قلت يارسول الله انزلت على الانبياء بوحى اليهم ثم رفع قال بل هى الى يوم القيامة قلت يارسول الله اينها هي قال لو أذن لى لأنباتك بها ولكن التمسها فى التسعين او السبعين ولا تسألنى بعدها قال ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يحدث قلت يارسول الله أي السبعين فغضب علىّ غضبة لم يغضب علىّ قبلها ولا بعدها مثلها ثم قال ألم أنهك عنها لو أذن لى لأنبأتك بها وذكر كلمة ان تكون فى السبع الاواخر* »

فصل

قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر علامات لليلة القدر تقدم ذكر واحدة منها وهى كون الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها وهى اصح العلامات *

(١) هكذا الاصل فلينظر

وفي مسند احمد باسناد جيد عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امارات ليلة القدر انها صافية بلجة كأن فيها قمراً ساطعاً ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب يرمى بها حتى يصبح وان من اماراتها ان الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ»

وقد ذكر القاضى عياض رحمه الله قولين في كونها تطلع لاشعاع لها احدهما انها علامة جعلها الله تعالى ثانيهما ان ذلك لكثرة اختلاف الملائكة فى ليلتها ونزولها الى الارض وصعودها بما تنزل به سترت بأجنحتها وأجسامها اللطيفة ضوء الشمس وشعاعها : وفي معجم الطبراني الكبير عن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ليلة القدر بلجة لاحارة ولاباردة ولاسحاب فيها ولامطر ولاريح ولايرمى فيها بنجم ومن علامة يومها تطلع الشمس ولاشعاع لها» فيه بشر بن عون وبكار بن تميم وهما ضعيفان* وفي مسند البزار عن ابن عباس قال «قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ليلة القدر طلقة لاحارة ولا باردة» فيه مسلمة بن حبان وغيره وتكلم فيه* فان قلت فقد روى الطبراني في معجمه الكبير من رواية شريك عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة يرفع الحديث «قال قال رأيت ليلة القدر فأنسيتها فاطلبوها في العشر الاواخر وهى ليلة ريح ومطر ورعد» ورواه البزار بنحوه ويوافقه حديث أبي سعيد الذى فيه «فوكف المسجد فأبصرت عيناي النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وجهه أثر الماء والطين» قلت هذا تقرر عندك وما اخترناه من أنها لاتلزم ليلة بعينها بل تنتقل فلعلها كانت في سنة ساكنة ليس فيها ريح ولامطر والله أعلم

تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه* وحسبنا الله ونعم الوكيل* ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم* وكان الفراغ من ذلك في يوم الاحد المبارك ثانى عشرين من شهر رمضان المعظم من شهور سنة الف ومائة وسبع وثلاثين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحمد لله وحده

رسالة الحافظ البيهقى

الى

أبى محمد الجوينى والد امام الحرمين [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب الى أبو عبدالله الحافظ وخلق من مشايخنا عن أبى الفضل بن عساكر عن أبى روح الهروى عن أبي المظفر السمعانى عن أبيه الحافظ أبي سعد قال أنا أبو نصر على بن مسعود محمد الشجاعى اذنا قال حدثنا الامام الحافظ أبو بكر أحمد ابن الحسين البيهقى قال سلام الله ورحمته على الشيخ الامام وانى أحمد اليه الله الذى لا إله الا هو وحده لاشريك له وأصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم :

أما بعد عصمنا الله بطاعته وأكرمنا بالاعتصام بسنة خيرته من بريته صلى الله عليه وسلم وأعاننا على الاقتداء بالسلف الصالحين من أمته وعافانا فى ديننا ودنيانا وكفانا كل هول دون الجنة بفضله ورحمته انه واسع المغفرة والرحمة وبه التوفيق :

---

(١) المقصود من ادراج هذه الرسالة ضمن الجزء الثاني من مجموعة الرسائل المنيرية بيان ما كان عليه الاوائل من الاخلاص والرجوع الى الحق بعد ظهوره والاقرار بالصواب : وأرجو الله أن يوفق علماءنا الى ذلك : ولينظر القارىء الى كيفية الرد واستعمال الادب مع الاكابر ولين الجانب لهم : والحجة انما تكون بالدلائل النقلية والبراهين العقلية لا كما يفعله أهل هذا الزمان من السباب والشتائم وغير ذلك من أنواع الفسوق نسأل الله التوفيق

والعصمة فقلبي للشيخ أدام الله عصمته وأيد أيامه مقتد ولسانى له بالخير ذاكرٍ ولله تعالى على حسن توفيقه إياه شاكر والله جل ثناؤه يزيده توفيقا وتأييداً وتسديداً وقد علم الشيخ أدام الله توفيقه اشتغالي بالحديث واجتهادى في طلبه ومعظم مقصودى منه فى الابتداء التميز بين مايصح الاحتجاج به من الاخبار و بين مالايصح حتى رأيت المحدثين من أصحابنا يرسلونها فى المسائل على مايحضرهم من ألفاظها من غير تميز منهم بين صحيحها وسقيمها ثم اذا احتج عليهم بعض مخالفيهم بحديث شق عليهم تأويله أخذوا فى تعليله بما وجدوه فى كتب المتقدمين من أصحابنا تقليداً ولو عرفوه معرفتهم لميزوا بين صحيح مايوافق أحوالهم من سقيمه ولأمسكوا عن كثير مما يحتجون به وان كان يطابق آراءهم ولاقتدوا فى ترك الاحتجاج برواية الضعفاء والمجهولين بامامهم فشرطه فيمن يقبل خبره عند من يعتنى بمعرفته مشهور وهو بشرحه فى كتاب الرسالة مسطور وماورد من الاخبار بضعف روايته أو انقطاع اسناده كثير والعلم به على من جاهدفيه سهل يسير وقد احتج في ترك الاحتجاج بالمجهولين بما أنبأنا أبوعبدالله محمدبن عبدالله الحافظ قال حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب قال حدثنا الربيع بن سليمان قال حدثنا الشافعي حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حدثوا عن بنى اسرائيل ولاحرج وحدثوا عنى ولاتكذبوا على »

قال الشافعي أحاط العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لايأمر أحداً بحال أن يكذب على بنى اسرائيل ولا على غيرهم فاذا أباح الحديث على بنى اسرائيل فليس أن يقبلوا الحديث الكذب على بنى اسرائيل لانه يروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال «من حدث بحديث وهو يراه كذبا فهو أحد الكذابين» وانما أباح قبول ذلك عمن حدث به ممن يحتمل صدقه وكذبه قال واذا فرق بين

الحديث عنه والحديث عن بنى اسرائيل فقال حدثوا عنى ولا تكذبوا على فالعلم ان شاء الله يحيط ان الكذب الذي نهاهم عنه هو الكذب الخفى وذلك الحديث عمن لا يعرف صدقه ثم حكى الشافعى في رد حديث الضعفاء عن ابن عمر وعن عروة بن الزبير وسعد بن ابراهيم وحكاه في كتاب العمرى عن عطاء بن أبى رباح وطاووس وابن سيرين وابراهيم النخعى ثم قال ولا لقيت ولا علمت أحداً من أهل العلم بالحديث يخالف هذا المذهب قال الشيخ الفقيه احمد وانما يخالفه بعض من لا يعد من أهل الحديث فيرى قبول رواية المجهولين مالم يعلم مايوجب رد خبرهم وقد قال الشافعى رضى الله عنه في أول كتاب الطهارة حين ذكر ما تكون به الطهارة من الماء واعتمد فيه على ظاهر القرآن وقد روى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا يوافق ظاهر القرآن فى اسناده من لا اعرفه ثم ذكر حديثه عن مالك عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة عن المغيرة بن أبي بردة عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في البحر وعسى لم يخطر ببال فقيه من فقهاء عصرنا ريب فى صحة هذا الحديث وامامه يقول في اسناده من لا أعرفه وانما قال ذلك لاختلاف وقع في اسم المغيرة بن ابى بردة ثم في وصله بذكر أبى هريرة مع ايداع مالك بن انس اياه كتابه الموطأ ومشهور فيما بين الحفاظ انه لم يودعه رواية من يرغب عنه الا رواية عبد الكريم بن أمية وعطاء الخراسانى فقد رغب عنهما غير مرة

وتوقف الشافعي في ايجاب الغسل من غسل الميت واعتذر بان بعض الحفاظ أدخل بين ابى صالح وأبى هريرة اسحق مولى زائدة وانه لا يعرفه ولعله ان يكون ثقة وتوقف في اثبات الوقت الثاني لصلاة المغرب مع احاديث صحاح رويت فيه بعد امامة جبريل عليه الصلاة والسلام النبي صلى الله عليه وسلم حين لم يثبت عنده من عدالة رواتها من قبول خبرهم وكأنه وقع لمحمد بن اسماعيل

البخاري رحمه الله بعده ما وقع له حتى لم يخرج شيئا من تلك الاحاديث في كتابه ووقف مسلم بن الحجاج على ما يوجب قبول خبرهم ووثق بحفظ من رفع المختلف فى رفعه منها فقبله وأخرجه في الصحيح وهو في حديث ابي موسى وبريرة وعبد الله بن ابى عمر واحتج الشافعي في كتاب احكام القرآن برواية عائشة في ان زوج بريرة كان عبدا وأن بعض من تكلم فيه قال له هل يروون عن غير عائشة انه عبد قال الشافعي في المعتقة وهى أعلم به من غيرها وقد روي من وجهين قد أثبت أنت ما هو أضعف منهما ونحن انما نثبت ما هو أقوى منهما فذكر حديث عكرمة عن ابن عباس وحديث القاسم العمرى عن عبد الله بن دينار عن ابى عمرو ان زوج بريرة كان عبدا وحديث عكرمة عن ابن عباس قد أخرجه البخاري في الصحيح الا ان عكرمة مختلف في عدالته كان أنس بن مالك رحمه الله تعالى وأبان لا يرضاه وتكلم فيه سعيد بن المسيب وعطاء وجماعة من أهل العلم بالحديث ولذلك ترك مسلم بن الحجاج الاحتجاج بروايته في كتابه والقاسم العمري ضعيف عندهم قال الشافعي لخصمه نحن انما نثبت ما هو أقوى منهما وقال في أثرين ذكرهما في كتاب الحدود وهاتان الروايتان وان لم يخالفانا غير معروفتين ونحن نرجو ان لا نكون ممن تدعوه الحجة على من خالفه الى قبول خبر من لا يثبت خبره بمعرفته عنده

وله من هذا أشياء كثيرة يكتفي باقل من هذا من سلك سبيل النصفة فهذا مذهبه فى قبول الاخبار وهو مذهب القدماء من أهل الآثار: قال البيهقي رضى الله عنه وكنت اسمع رغبة الشيخ رضى الله عنه فى سماع الحديث والنظر في كتب أهله فاشكر اليه واشكر الله تعالى عليه وأقول في نفسى ثم فيما بين الناس قد جاء الله عز وجل بمن يرغب في الحديث ويرغب فيه من بين الفقهاء ويميز فيما يرويه ويحتج به الصحيح من السقيم من جملة العلماء وأرجو من الله ان

يحيي سنة إمامنا المطلبي في قبول الآثار حيث أماتها أكثر فقهاء الامصار بعدمن مضى من الائمة الكبار الذين جمعوا بين نوعي العلم والاخبار ثم لم يرض بعضهم بالجهل به حتى رأيته حمل العامل به في الوقوع فيه والازدراء به والضحك منه وهو مع هذا يعظم صاحب مذهبه ويجله ويزعم انه لا يفارق في منصوصاته قوله ثم بدع في كيفية قبول الحديث ورد طريقته ولا يسلك فيها سيرته لقلة معرفته بما عرف وكثرة غفلته عما عليه وقف هلا نظر في كتبه ثم اعتبر باحتياطه في انتقاده لرواة خبره واعتماده فيمن اشتبه عليه حاله على رواية غيره فترى سلوك مذهبه مع دلالة العقل والسمع واجبا على كل من انتصب للفتيا فاما أن يجتهد في تعلمه أو يسكت عن الوقوع فيمن يعلمه ولا يجتمع عليه وزران حيث فاته الاجران والله المستعان وعليه التكلان

ثم ان بعض اصحاب الشيخ أدام الله عزه وقع الى هذه الناحية فعرض علي أجزاء ثلاثة مما أملاه من كتابه المسمى بالمحيط فسررت به ورجوت ان يكون الامر فيما يورده من الاخبار على طريقة من مضى من الائمة الكبار لائقا بما خص به من علم الاصل والفرع موافقا لما ميزبه من فضل العلم والورع فاذا أول حديث وقع عليه بصري الحديث المرفوع في النهى عن الاغتسال بالماء المشمس فقلت في نفسي يورده ثم يضعفه ويضعف القول فيه فرأيته قد أملى والخبر فيه ما روى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فقلت هلا قال روى عن عائشة أو روى عن ابن وهب عن مالك أو روى عن مالك أو روى عن اسماعيل بن عمرو الكوفي عن ابن وهب عن مالك أو روى خالد بن اسماعيل أو وهب بن وهب ابو البحترى عن هشام بن عروة أو روى عمرو بن محمد الاعسم عن فليح عن الزهرى عن عروة ليكون الحديث مضافا الى ما يليق به مثل هذه الرواية ولا يكون فى مثل هذا على مالك بن انس ما أظنه يبرأ الى الله تعالى

من روايته ظنا مقرونا بعلم

ثم انى رأيتـه أدام الله عصمته أول حـديث التسمية وضـعف ما روى عن ربيعة بن ابى عبد الرحمن فى تأويله بحديث شهد به على الاعمش انه رواه عن شقيق بن سلمة عن ابن مسعودعن النبي صلى الله عليه وسلم فيمن توضأ وسمى وفيمن توضأ ولم يسم وهذا حديث تفرد به يحيى بن هاشم السمسار عن الاعمش ولا يشك أحد في ضعفه ورواه أيضاً عبد الله بن حكيم عن ابى بكر الزاهري عن عاصم بن محمد عن نافع بن عمر مرفوعا وابو بكر الزاهرى ضعيف لا يحتج بخبره وروى من وجه آخر مجهول عن ابي هريرة ولا يثبت وحديث التسمية قد روى من أوجه ما وجه من وجوهها الا وهو مثل اسناد من اسانيد ما روى فى مقالته ومع ذلك فاحمد بن حنبل يقول لا أعلم فيه حديثا ثابتا فقلت في نفسي قد ترك الشيخ حرس الله مهجته القوم فيما أحدثوا من المساهلة فى رواية الاحاديث وأحسبه سلك هذه الطريقة فيما حكى له عند مسح وجهه بيديه في قنوت صلاة الصبح واحسن الظن برواية من روى مسح الوجه باليدين بعد الدعاء مع ما اخبرنا ابو عبد الله الحافظ قال اخبرنا ابو بكر الخراجى قال حدثنا سارية حدثنا عبد الكريم السكري قال حدثنا وهب بن زمعة اخبرنا على النسائى قال سألت عبد الله بن المبارك عن الذى إذا دعا مسح وجهه فلم يجب قال على ولم اره يفعل ذلك قال وكان عبد الله يقنت بعد الركوع فى الوتر وكان يرفع يديه فى القنوت واخبرنا ابو على الرويز بادي حدثنا ابو بكر بن داسة قال قال ابو داود السجستاني روى هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب وهذا الطريق امثلها وهو ضعيف ايضا يريد به حديث عبد الله بن يعقوب عمن حدثه عن محمد بن كعب القرظى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم «سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم» وروي ذلك من اوجه اخر

كلها اضعف من رواية من رواها عن ابن عباس وقال احمد بن حنبل ينكرها وحكى عنه انه قال فى الصلاة ولا بأس به فى غير الصلاة وقال هذا لما فى استعماله فى الصلاة من ادخال عمل عليها لم يثبت به اثر وقد يدعو فى آخر تشهده ثم لا يرفع يديه ولا يمسحها بوجهه اذ لم يرد بهما أثر فكذا فى دعاء القنوت يرفع يديه لورود الاثر به ولا يمسح بهما وجهه اذ لم يثبت فيه اثر وبالله التوفيق

وعنـــدي ان من سلك من الفقهاء هذه الطريقة فى المساهلة أنكر عليه قوله مع كثير ممن روى هذه الاحاديث في خلافه واذا كان هذا اختياره فسبيله أدام الله توفيقه على في مثل هذه الاحاديث روى عن فلان ولا يقول روى فلان لئلا يكون شاهدا على فلان بروايته من غير ثبت وهو ان فعل ذلك وجد لفعله متبعا فقد أخبرنا ابو عبد الله الحافظ قال سمعت ابا الوليد الفقيه يقول لما سمع ابو عثمان الحيرى من ابى حنيفة ان كتابه المخرج على كتاب مسلم كان يديم النظر فيه فكان اذا جلس للذكر يقول في بعض ما يذكر من الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول في بعضه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنظرنا فاذا به قد حفظ ما في الكتاب حتى ميز بين صحيح الاخبار وسقيمها وأبو عثمان الحيرى يحتاط في هذا النوع من الاحتياط فيما يورد من الاخبار في المواعظ وفي فضائل الاعمال فالذي يوردها في الفرض والنفل ويحتج بها في الحلال والحرام أولى بالاحتياط وأحوج اليه وبالله التوفيق * قال الفقيه قد رأيت بعضا مما أوردت عليه شيئا من هذه الطريقة فزع في ردها الى اختلاف الحفاظ في تصحيح الاخبار وتضعيفها ولو عرف اختلافهم لعرف انه لا فرج له في الاحتجاج به كما لا فرج لمن خالفنا في أصول الديانات في الاحتجاج علينا باختـلافنا في المجتهدات واختلاف الحفاظ في ذلك لا يوجب رد الجميع ولا قبول الجميع وكان من سبيله ان يعلم ان الاحاديث المروية على ثلاثة أنواع نوع اتفق أهل العلم

به على صحته ونوع اتفقوا على ضعفه ونوع اختلف في ثبوته فبعضهم يضعف بعض رواته بجرح ظهر له وخفى على غيره أو لم يظهر له من عدالته ما يوجب قبول خبره وقد ظهر لغيره أو عرف منه معنى يوجب عنده رد خبره وذلك المعنى لا يوجبه عند غيره أو عرف أحدهما علة حديث ظهر بها انقطاعه او انقطاع بعض الفاظه أو ادراج لفظ من الفاظ من رواه فى متنه أو دخول اسناد حديث في اسناد غيره خفيت تلك العلة على غيره فاذا عرف هذا وعرف بمعنى رد منهم خبرا أو قبول من قبله منهم هذا الوقوف عليه والمعرفة به الى اختيار أصح القولين قال الفقيه وكنت أدام الله عز الشيخ أنظر فى كتب بعض أصحابنا وحكايات من حكى منهم عن الشافعى رضى الله عنه نصا فانظر اختلافهم في بعضها فيضيق قلبي بالاختلاف مع كراهية الحكايه من غير ثبت فحملني ذلك على نقل مبسوط ما اختصره المزني على ترتيب المختصر ثم نظرت في كتاب التقريب وكتاب جمع الجوامع وعيون المسائل وغيرها فلم أر أحداً منهم فيما حكاه أوثق من صاحب التقريب وهو في النصف الاول من كتابه أكثر حكاية لالفاظ الشافعي منه فى النصف الاخير وقد غفل فى النصفين جميعا مع اجتماع الكتب له أو أكثرها وذهاب بعضها فى عصرنا عن حكاية ألفاظ لا بد لنا من معرفتها لئلا نجرى على تخطئة المزني فى بعض ما يخطئه فيه وهو برىء ولنتخلص بهذا عن كثير من تخريجات أصحابنا

ومثال ذلك من الاجزاء التى رأيتها من كتاب المحيط من أوله الى مسألة التفريق ان اكثر أصحابنا والشيخ أدام الله عزه معهم يوردون الذنب فى تسمية البحر بالمالح الى ابى ابراهيم المزنى ويزعمون انها لم توجد للشافعى رحمه الله تعالى : قد سمى الشافعى البحر مالحا في كتابين قال الشافعى في امالي الحج في مسألة كون المحرم في صيد البحر كالحلال والبحر اما العذب واما المالح

قال الله تعالى (هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) وقال فى كتاب المناسك الكبير فى الآية دليل ان البحر العذب والمالح

وذكر الشيخ ابقاه الله حدثنا الشيخ الامام ابو بكر رحمه الله قول الشافعى فى اكل الجلد المدبوغ على ما بنى عليه ثم ذكر الشيخ حفظه الله تصحيح القول بمنع الاكل عند نفسه بايراد حجته وقد نص الشافعي فى القديم وفى رواية حرملة على ماهداه اليه خاطره المتين قال الزعفرانى قال ابو عبد الله الشافعى في كلام ذكره يحل ان تتوضأ فى جلدها اذا دبغ وذلك الذى أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فابحناه كما أباحه ونهينا عن اكله بحمله انه ميتة ولم يرخص في غير ما رخص فيه خاصة ثم قال وليس ما حل لنا الاستمتاع ببعضه بخبر بالذى يبيح لنا ما نهينا عنه من ذلك الشيء بعينه بخبر الا تري انا لا نعلم اختلافا فى انه يحل شراء الحمر والهر والاستمتاع بها ولا يبيح اكلها وانما نبيح ما يبيح ونحظر ما حظر وقال فى رواية حرملة يحل الاستمتاع به بالحديث ولا يحل أكله باصل انه من ميتة ورأيته ادام الله عصمته اختار فى تحلية الدابة بالفضة جوازها وأظنه علم كلام الشافعى فى كتاب مختصر البويطى والربيع ورواية موسى بن ابى الجارود حيث يقول وان اتخذ رجل أو امرأة آنية من فضة أو من ذهب او ضببا بهما آنية او ركباه على مشجب أو سرج فعليهما الزكاة وكذلك اللجم والركب هذا مع قوله فى روايتهم لا زكاة فى الحلى المباح وحيث لم يخص به الذهب بعينه فالظاهر انه اراد به كليهما جميعا وان كانت الكناية بالتذكير يحتمل ان تكون راجعة الى الذهب دون الفضة كما قال الله عز وجل (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله)[1] فالظاهر عند اكثر أهل العلم انه اراد به كليهما معا وان كانت الكناية بالتأنيث يحتمل أن تكون راجعة الى الفضة دون الذهب

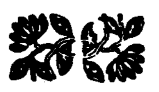
[1] - التوبة ٣٤

وقـد علم الشيخ أبقاه الله ورود التحريم فيا لاواني المتخذة من الذهب والفضة عامة ثم وردت الاباحة في تحلية النساء بهما وتختم الرجال بالفضة خاصة ووقف على اختلاف الصدر الاول رضي الله عنهم في حلية السيوف واحتجاج كل فريق منهم لقوله بخبر فنحن وان رجحنا قول من قال باباحتها بنوع من وجوه الترجيحات ثم حظرنا تحلية السيف والسرير وسائر الآلات ولم نقسها على التحريم بالفضة ولا على حلية السيوف فتصحيح إباحة تحلية الدابة بالفضة من غير ورود أثر صحيح مما يشق ويتعذر وهو أدام الله توفيقه أهل ان يجتهد ويتخير وما استدل به من الخبر بان ابا سفيان أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيرا برته من فضة فغير مشتهر وهو ان كان فلا دلالة له في فعل ابى سفيان اذ لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تركه ثم ركبه أو أركبه غيره وانما الحديث المشهور عندنا ما رواه محمد بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدية جملا لابى جهل في أنفه برة من فضة ليغيظ به المشركين أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا ابن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن ابى اسحاق الحديث وكان على بن المدينى يقول كنت أرى هذا من صحيح حديث بن اسحاق فاذا هو قد دلسه حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد بن اسحق قال حدثنى من لا أتهم عن ابن ابى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس فاذا الحديث مضطرب اخبرنا بهذه الحكاية محمد ابن عبد الله الحافظ اخبرني محمد بن صالح الهاشمي حدثنا ابو جعفر السبيعى حدثنا عبد الله بن على المدينى قال حدثنى أبى فذكرها وقد روى الحديث عن جرير بن حازم عن ابن ابي نجيح ورواه محمد بن عبد الرحمن بن ابى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وليس بالقوى وقد أخبرنا محمد بن موسى بن الفضل

أخبرنا أبو عبد الله الصفار حدثنا احمد بن محمد المزنى القاضى حدثنا محمد بن المنهال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا محمد بن اسحاق عن عبد الله بن ابى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى جملا لابى جهل يوم الحديبية كان استلبه يوم بدر وفي انفه برة من ذهب وكذلك رواه ابو داود السجستانى في كتاب السنن عن محمد بن المنهال برة من ذهب أخبرنا ابو على الروذبادى أخبرنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود فذكره وقال عام الحديبية ولم يذكر قصة بدر وقد أجمعنا على منع تحلية الدابة بالذهب ولم ندع فيه ظاهر الكتاب بايجاب الزكاة فيه وعده اذا لم يخرجها من الكنوز بهذا الخبر وكذلك لاندعه في الفضة وليس في الحديث ان ثبت فى الفضة صريح دلالة في المسألة وبالله التوفيق والعصمة وقد حكى لى عن الشيخ أدام الله عزه انه اختار جواز المكتوبة على الراحلة الواقفة اذا تمكن من الاتيان بشرائطها مع ما في النزول للمكتوبة في غير شدة الخوف من الاخبار والآثار الثابتة وعدم ثبوت ماروي في مقابلتها دون الشرائط التى اعتبرها وقد قال الشافعي رضى الله تعالى عنه فى الاملاء ولا يصلى المسافر المكتوبة بحال أبداً الا حالا واحداً الا نازلا في الارض أو على ما هو ثابت على الارض لا يزول بنفسه مثل البساط والسرير والسفينة في البحر :

﴿ تمت الرسالة وبها تم المجلد الثانى من المجموعة المنيرية ﴾

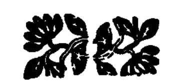
﴿ والحمد لله أولا وآخرا ﴾



﴿ فهرست الجزء الثاني ﴾

﴿ من مجموعة الرسائل المنيرية ﴾

نمرة الصفحة



إحكام الأحكام

شرح

عمدة الأحكام

﴿ للعالم العلامة الاصولي المجتهد أبي الفتح الشهير بابن دقيق العيد ﴾

المتوفي سنة ٧٠٢

عمدة الاحكام من تصانيف الامام الحافظ الفقيه الشيخ عبدالغنى المقدسى الجماعيلى المتوفي سنة ٥٠٠ ، وهذا الكتاب من أجل كتب الحديث نفعاً وأصحها سنداً ومتناً وهو من تخريج الامامين الجليلين أعنى البخارى ومسلماً ابن الحجاج رتبه على حسب أبواب الفقه . وقد شرحه الامام المجتهد الحافظ علامة المعقول والمنقول شيخ الاسلام تقى الدين ابوالفتح الشهير بابن دقيق العيد وهو شرح لم يؤلف مثله ولم تر العيون أحسن منه بين فيه كيفية استنباط الاحكام من الاحاديث وأورد اشكالات عجيبة للعلماء وردما صح رده واعتمد من الاحكام ماتشهد له الادلة الصحيحه وتصحبه الحكم العقلية وبين مآخذ أئمة المذاهب فيها وراجحها من مرجوحها غير متعصب ولا متعسف بل سلك طريق السلف الصالح في ذلك . وفي الجملة هو خير مؤلف ظهر للناس وفضل مؤلفه شهير وقد كستها بحواشي نفيسة ادارة الطباعة المنيرية وعرضتها للاشتراك وجعلت قيمة الاشتراك فيه أربعين قرشاً صاغاً من الورق الكتان العال وقد ظهر منه جزآن وعن قريب سيظهر الجزء الثالث والباقي تحت الطبع فنحث طلاب العلم والعلماء على اقتنائه والمبادرة الى الاشتراك فيه قبل نفاد نسخه



الجزء الثاني

﴿ يشتمل على ١٠ رسائل ﴾

(١) الدواء العاجل في دفع العدو الصائل (٢) العقل والروح (٣) قاعدة نافعة في صفة الكلام كلاهما لابن تيمية (٤) التحف في مذاهب السلف للشوكاني (٥) ايضاح الدلالة (٦) الانصاف لابن عبد البر (٧) الزهر النضر في نبأ الخضر (٨) ترجمة حياة الامام الليث بن سعد المجتهد المطلق كلاهما لابن حجر العسقلاني (٩) شرح الصدر بذكر ليلة القدر للعراقي (١٠) رسالة الامام البيهقي الى الامام الجويني

عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الاولى سنة ١٣٤٣ هـ

إدارة الطباعة المنيرية

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله * والصلاة والسلام على نبيه ورسوله ومصطفاه * وعلى آله وصحبه ومن عمل لسعادته في دنياه وأخراه *

اما بعد فهذا ما وعدت به ادارة الطباعة المنيرية من تتبع نشر اجزاء مجموعة الرسائل المنيرية : وقد تم والحمد لله الجزء الثانى منها واشتمل على ١٠ رسائل نزفه الى قرائها للافادة والاستفادة ونسأل الله التوفيق لاتمام نشر باقى الاجزاء وهو حسبنا ونعم المعين : مدير

إدارة الطباعة المنيرية

محمد منير الدمشقي

من علماء الازهر الشريف

